



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مجلة تأصيل العلوم

علمية - محكمة - نصف سنوية تصدر عن مركز تأصيل العلوم - جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم



السنة التاسعة العدد الثالث عشر - المحرم ١٤٣٩ هـ - أكتوبر ٢٠١٧ م

اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان

د. مهند بابكر موسى البدوي

من النصف الأول من القرآن - جمعاً وتوجيهاً

د. مرهف عبد الجبار سقا

منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم

د. حامد أحمد عبد اللطيف

الإعجاز القرآني في تركيب الجلد

د. جودة إبراهيم محمد النور

التدابير الشرعية للمخدم والمستخدم في ظل قانون العمل لسنة ١٩٩٧ م

د. علي حسين الجيلاني حسين

عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)

د. محمد الأمين علي محمد

الوسائل الحديثة ودورها في إبرام العقود المئوية

د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي

الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً

د. أبو حنيفة عمر الشريف علي

الفاعل وأبنيته المصرفية (أربعة دمعات على رجال سادات)

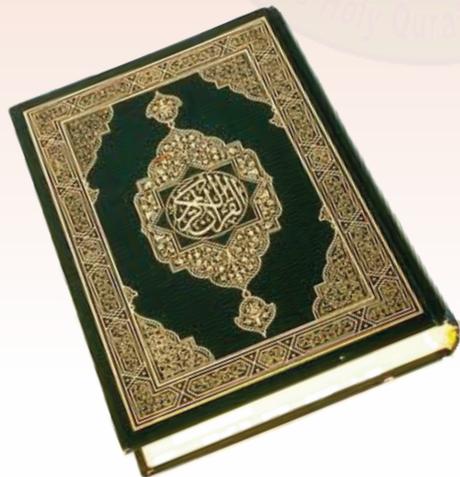
لعبد الله الطيب المجذوب

د. بخيته حمد أحمد الجزولي

دور القرآن الكريم في توظيف حركة التاريخ

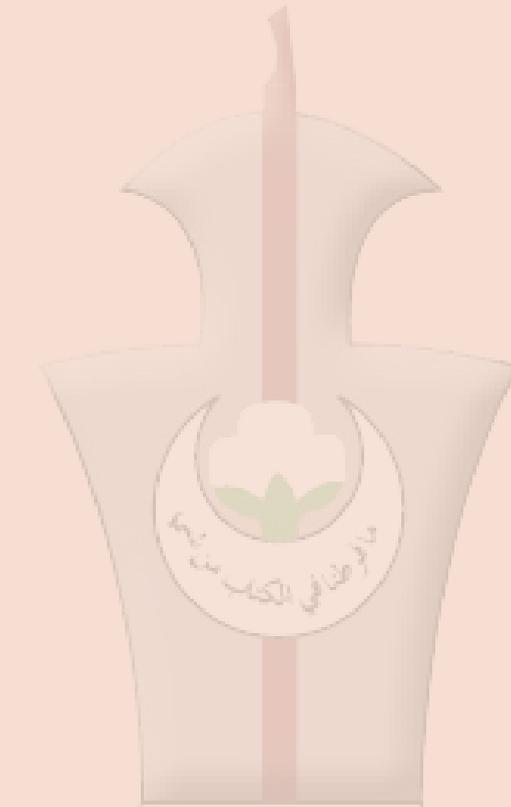
د. إبراهيم الصادق سالم

التربية البيئية - رؤية تأصيلية



مجلة تأصيل العلوم

السنة التاسعة العدد الثالث عشر - المحرم ١٤٣٩ هـ - أكتوبر ٢٠١٧ م



جامعة القرآن الكريم

وتأصيل العلوم

ولاية الجزيرة - ودمدني

ت: ٠١١٩٢١٥٩٣ . ت: ٠١٢٣٢٢١٣٣٧

الموقع الإلكتروني : mtaaseel@gmail.com

www.uofg.ed.sd

ردمدا: ٦٩٦١ - ١٨٥٨ ISSN

مطابع الفرقان - الخرطوم - السودان

+249 122141712 - +249 122631834

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مجلة تأصيل العلوم



تصدر في مركز تأصيل العلوم  
بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - السودان  
السنة التاسعة - العدد الثالث عشر  
المحرم ١٤٣٩ هـ  
أكتوبر ٢٠١٧ م

قال تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ  
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

الأنعام ٣٨

## مجلة تأصيل العلوم

### المشرف العام

د. محمود مهدي الشريف خالد

### رئيس هيئة التحرير

د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي

### مدير التحرير

د. الهندي احمد الشريف مختار

### التدقيق اللغوي

أ.محمد زين محمد عبد الله الفكي

### هيئة التحرير

- ١ / د.برير سعد الدين الشيخ السماني /٥ د. فوزية عمر محمد علي العوض  
٢ / أ.د. محمد الفاتح زين العابدين احمد /٦ د. لؤي عبد الوهاب الصقري  
٣ / د. بثينة عبد القادر عبد الكريم بابتوت /٧ د. فتح الرحمن عدلان موسي أحمد  
٤ / د. رقية عبد الله الطيب الماحي /٨ د. حامد أحمد عبد اللطيف محمد

### الهيئة الاستشارية

- ١ / أ.د. علي العوض عبد الله /٧ أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن  
٢ / أ.د. محمد حسب الله محمد علي /٨ أ.د. علي الطاهر شرف الدين  
٣ / أ.د. إبراهيم احمد عمر /٩ أ.د. محمد الحسن إبراهيم بريمة  
٤ / أ.د. يوسف الخليفة أبوبكر /١٠ أ.د. عبد الله محمد الأمين النعيم  
٥ / أ.د. إسماعيل حسن حسين /١١ أ.د. الزبير بشير طه  
٦ / أ.د. أحمد خالد بابكر /١٢ د. رحاب عبد الرحمن الشريف أحمد

فهرسة المكتبة الوطنية - السودان

مجلة مركز تأصيل العلوم

ردمد: ISSN 1858 - 6961

جمهورية السودان- ولاية الجزيرة- ود مدني

المراسلات باسم السيد رئيس تحرير مجلة تأصيل العلوم

مركز تأصيل العلوم - ود مدني - السودان

فاكس : 0511832715 : تلفونات : 00249111921593 - 00249123221337

E-mail: mtaaseel@gmail.com

التصميم

سنان العالمية للطباعة

تلفون: 0121240012 - E-mail : sinaninternational@gmail.com

الطابعون

مطابع الفرقان

تلفونات: 0122631834 - 0122141712

## محتويات العدد

رقم الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
٩	رئيس هيئة التحرير	افتتاحية العدد
١	د. مهند بابكر موسى البدوي	اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من النصف الأول من القرآن - جمعاً وتوجيهاً
٢١	د. مرهف عبد الجبار سقا	منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم
٥٩	د. حامد أحمد عبد اللطيف	الإعجاز القرآني في تركيب الجلد
٧٧	د. جودة إبراهيم محمد النور	التدابير الشرعية للمخدم والمستخدم في ظل قانون العمل لسنة ١٩٩٧م
٩٩	د. علي حسين الجيلاني حسين	عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)
١٣١	د. محمد الأمين علي محمد	الوسائل الحديثة ودورها في إبرام العقود المالية
١٧٥	د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي	الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً
٢٠٣	د. أبو حنيفة عمر الشريف عمر	الفاعل وأبنيته المصرفية (أربعة دمعات على رجال سادات) أ.د. عبد الله الطيب المجذوب
٢٤١	د. بخيته حمد أحمد الجزولي	دور القرآن الكريم في توظيف حركة التاريخ
٢٧٥	د. إبراهيم الصادق سالم	التربية البيئية - رؤية تأصيلية

## افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد ابن عبد الله، معلم البشرية وهاديها بإذن ربها إلى طريق الخير والفلاح في الدارين وعلى آله وصحبه أجمعين-وبعد.

الحمد لله الذي وفق وأعان على إخراج هذا العدد الجديد، من مجلة تأصيل العلوم، المميز شكلاً وموضوعاً، والذي يحمل في ترتيبه الرقم الثالث عشر من جملة الأعداد التي أصدرها المركز. ولاشك أن هذا العدد - وبإذن الله تعالى- سيشكل إضافة حقيقية لحركة تأصيل العلوم والمعارف في واقعنا المعاصر في جانبها النظري والتطبيقي، وسيظهر ذلك من خلال جملة الموضوعات التي اشتمل عليها هذا العدد، والتي سكب الباحثون فيها عصارة فكرهم واستقرغوا غاية جهدهم وخبرتهم العملية والعلمية.

ونحمد الله كذلك أن وفقنا لإختيار هذه الموضوعات والتي غطت أغلب محاور المجلة، والتي جاءت على النحو الآتي:

جاء الموضوع الأول يحمل عنوان (اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من النصف الأول في القرآن الكريم - جمعاً وتوجيهاً) كتبه الدكتور/ محمد بابكر موسى البدوي، تناول فيه الباحث اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة البقرة الى آخر سورة الإسراء وتحديث قبل ذلك عن التعريف بكل من القراءات والرسم العثماني. أما الموضوع الثاني فقد جاء تحت عنوان (منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم) للباحث الدكتور/ مرهف عبد الجبار سقا، حاول الباحث من خلاله أن يضع منهجاً منضبطاً للمشتغلين بهذا المجال العلمي، كما هدف البحث الى وضع قواعد علمية خاصة باتجاه التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم بطريقة التفسير الموضوعي.

وجاء الموضوع الثالث بعنوان (الإعجاز القرآني في تركيب الجلد) للدكتور/ حامد أحمد عبد اللطيف، تناول من خلاله الباحث أقوال المفسرين المتصلة بتجدد جلد الإنسان المعذب في النار، وذكر الباحث أن القرآن اعتبر الجلد مركزاً للإحساس وهذا ما أكدته علم التشريح الحديث، كما تطرق الباحث الى بيان وظائفه (الجلد المختلفة ومدى التلاؤم بين التركيب والوظيفة).

والموضوع الرابع جاء بعنوان (التدابير الشرعية للمخدم والمستخدم في ظل قانون العمل لسنة ١٩٩٧ م) للدكتور/ إبراهيم محمد نور، حاول من خلاله الباحث أن يبرز خصوصية العمل على التشريع الإسلامي والتأصيل له، مبيناً أن التشريع وقد أصل تنظيم العلاقة بين المخدم والمستخدم. أما الموضوع الخامس فقد جاء يحمل عنوان (عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة) للدكتور علي حسب الله الجيلاني حسين، تناول فيه الباحث مفهوم عقد إجارة

الأشخاص في الفقه الإسلامي وتطور هذا المفهوم ومدى أهميته ثم حاول التمييز بينه وبين غيره في العقود السابقة له، وبين أركان عقد إجارة الأشخاص.

وجاء الموضوع السادس بعنوان: (الوسائل الحديثة في إبرام العقود المالية) للدكتور/ محمد الأمين علي محمد، تناول الباحث من خلاله تعريف العقد ومدى مشروعيته وأركانه، كما أنه تطرق الى تعريف العقد وأركانه وشروطه، كما تطرق كذلك للتعريف بالوسائل الحديثة وتقسيماتها وفوائدها.

أما الموضوع السابع فقد حمل عنوان (الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً) للدكتور/ كمال عبدالله أحمد المهلاوي، تناول فيه الباحث أثر الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً، وتطرق فيه الى بيان طريقة عمل المحاكم السودانية عند الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا، وتكمن أهمية الموضوع من كون أن الإقرار يعد عمدة في الإثبات، مما يترتب عليه أثر في إسقاط العقوبة حال الرجوع عنه.

وجاء الموضوع الثامن بعنوان: (الفضل وأبنيته المصرفية أربع دمعات على رجال سادات) أ.د. عبد الله الطيب المجذوب، للدكتور/ أبو حنيفة عمر الشريف علي عمر، وهدف البحث الى الوقوف على ابنية الفعل في قصائد أربعة نظمها الأستاذ الدكتور/ عبدالله الطيب المجذوب والتي سماها (أربعة دمعات على رجال سادات) كما تطرق للبحث للتعريف بالدلالة التي تؤذيها هذه الأبنية.

أما الموضوع التاسع فقد جاء تحت عنوان ( دور القرآن الكريم في قراءة وتوظيف حركة التاريخ) للدكتورة/ بخيطة حمد أحمد الجزولي، حاولت من خلاله الباحثة إظهار دور القرآن الكريم في توظيف حركة التاريخ وذكرت أن القرآن الكريم مارس عملية توظيف حركة التاريخ في مجالات عدة منها العرض، والتجميع للأحداث والوقائع التاريخية المختلفة، واستخلاص القوانين والسنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

وجاء الموضوع العاشر بعنوان (التربية البيئية – رؤية تأصيلية) للدكتور/ إبراهيم الصادق سالم، حاول الباحث من خلاله إيجاد ملامح لفلسفة التربية البيئية والتي تعد جزءاً من فلسفة التربية الإسلامية، وذلك بهدف تكوين وعي بيئي واتجاهات فردية تجعل الفرد إيجابياً في تعامله وسلوكه مع البيئة.

والله من وراء القصد،،

رئيس هيئة التحرير

## قواعد النشر في المجلة

١/ تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية السليمة في مجالات المعرفة المختلفة.

٢/ أن يخدم البحث قضايا التأصيل العلمي وفقاً للمنهجية الإسلامية .

٣/ تنشر المجلة البحوث والدراسات التي لم يسبق نشرها .

٤/ يجب ألا يكون أي من البحوث أو الدراسات المقدمة جزءاً من رسالة دكتوراه أو ماجستير.

### إجراءات النشر

١/ يقدم الباحث كلما أمكن نسخة من البحث أو الدراسة مطبوعة علي برنامج WORD مع مراعاة التالي :

٢/ يكتب البحث أو الدراسة باللغة العربية باستخدام خط SA (simplified Arabic) بحجم ١٦ ، وبهامش ٢سم علوي وسفلي وأيسر ، و٣سم أيمن .

٣/ لا يزيد عدد صفحات البحث أو الدراسة عن ٤٥ صفحة ولا تقل عن ٢٥ بما في ذلك الأشكال والمراجع والملاحق .

٤/ يقدم الباحث ملخصاً لبحثه ، علي أن لا يزيد الملخص عن ٢٠٠ كلمة .

٥/ يتم توثيق وإثبات المراجع وفقاً للمنهج العلمي .

٦/ ترسل البحوث إلي رئيس تحرير المجلة وله حق الفحص الأولي للبحث أو الدراسة وتقرير صلاحيته للتحكيم أو استبعاده .

٧/ تخضع البحوث والدراسات المقدمة للنشر للتحكيم العلمي ويبلغ صاحب البحث أو الدراسة بنتيجة التحكيم خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر .

٨/ تخضع البحوث والدراسات المقدمة للنشر للتحكيم العلمي من قبل محكمين اثنين علي الأقل من المتخصصين يختارهما رئيس التحرير من قائمة المحكمين التي تعتمدها هيئة إصدار المجلة ويجوز لرئيس التحرير اختيار محكم مرجح في حالة رفض البحث أو الدراسة من قبل أحد المحكمين .

٩/ تخضع أولويات نشر البحوث والدراسات وترتيبها لاعتبارات فنية بحتة ، ولا ترد لأصحابها .

١٠/ تؤول حقوق نشر البحوث والدراسات كاملة للمجلة .

١١/ يمنح كل باحث ثلاث نسخ من عدد المجلة المنشور فيها ببحثه.

## اختلاف الرسم في الكلمات القراءانية التي وردت فيها قراءتان من النصف الأول من القرآن جمعاً ودراسة وتوجيهاً

د. مهند بابكر موسى البدوي<sup>(١)</sup>

### ملخص البحث:

من خلال دراستي لعلوم القراءات لفتت انتباهي بعض الكلمات التي، كتبت برسمين مختلفين، وهذا ما جعلني أختار الدراسة فيه للدفاع عن القراءات والقرآن وعن الرسم الذي كتب به القرآن فجاءت الدراسة فيه مشتملة علي مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

- أولاً: التعريف بالقراءات ، الرسم العثماني.
- ثانياً: اختلاف الرسم في الكلمات القراءانية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة البقرة إلي آخر سورة النساء.
- ثالثاً: اختلاف الرسم في الكلمات القراءانية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة المائدة إلي آخر سورة الأعراف.
- رابعاً : اختلاف الرسم في الكلمات القراءانية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة التوبة آخر سورة الإسراء.

١- أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية، كلية العلوم والآداب-جامعة الملك خالد-المملكة العربية السعودية

## المقدمة:

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، المنزل عليه: ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩) (لحجر:٩) ،والقائل-صلوات ربي وتسليماته عليه:- «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٢)</sup> ، وعلى أهل بيته الطاهرين ،وصحابة الغر الميامين، مصابيح الدجى الذين عنوا بالقرآن الكريم ضبطاً لألفاظه، وفهماً لمعانيه، وعملاً بما حوته سوره وآياته البينات ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر والدين.

أما بعد :

فإن خير ما يسعى إليه المرء ، ويتشرف به في هذه الدنيا خدمة كتاب رب العالمين؛ ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأتى يأتيه الباطل وقد تكفل بحفظه المولى جلا وعلا، وأمنه من كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير.

فعلى مر العصور والدهور وتطور الكتابة العربية وضبطها يظل القراء ان متماسكاً شامخاً على المنزلة، يدل على عظمة الله، وفضل صحابة رسوله الأمين، فقد اهتموا بخطه وجمعه ونسخه، حتى وصل إلى جيل التابعين غضاً طرياً كما أنزله الله تعالى، ثم بعد ذلك فتح الله على العلماء بما هو خير وسبيل لحفظ كتاب الله من الضياع والتحريف، فعملوا على دراسة رسمه وضبطه وتجويده، وهو ما نراه أمامنا إلى يومنا هذا.

والذي يطالع بعض العلوم التي لها تعلق بكتاب الله تعالى كالضبط والرسم والتجويد يجد فيها بعض القضايا التي تحتاج إلى وقفة متأمل، ودراسة مختص، فقد طال ببعضها الزمان، وأصبح بعض الأحكام والقواعد فيها تحتاج إلى مراجعة؛ لأنها لا تؤدي الهدف الذي من أجله وضعت، وبعضها أصبح ملبساً وموهماً، فلذا أصبح لزاماً على المختصين الوقوف عند ذلك ودراسته دراسة علمية شافية ووافية، حتى يأخذوا بأيدي الأمة فلا يختلط عليها الأمر، فتعود إلى الخلاف والنزاع الذي كرهه الصحابة.

## مشكلة البحث:

- ما هو الرسم العثماني وما هي خصائصه
- ماهي الكلمات القرآنية التي كتبت برسمين مختلفين لورود قراءتين فيها

## أهداف البحث:

- الدفاع عن القراءات القرآنية والقراء
- إبراز اعجاز القرآن الكريم
- إبراز خصائص الرسم العثماني

٢- رواه الترمذي في سننه في باب «بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ» ح/٢٩٠٧.

### أهمية البحث:

هذا البحث عن اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان ، وتكمن أهميته في أنه لابد للطالب الذي يدرس القراءات من معرفة الرسم العثماني وقواعده، وكذلك معرفة الطريقة الصحيحة التي تُكتب بها كلمات القرآن الكريم وفق الرسم العثماني

### منهج البحث:

- يتبع الباحث المنهج الاستقرائي حيث يتتبع الكلمات التي وردت فيها قراءتان وكتبت برسمين مختلفين في المصاحف العثمانية في النصف الأول من القرآن.
- يرتب الباحث الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان وفقاً لترتيب القرآن الكريم، ليسهل الرجوع إليها عند اللزوم.
- يذكر الباحث القراءات القرآنية الواردة في كل كلمة علي حدة، ثم يوجه كل قراءة مع نسبة كل قراءة لقارئها .
- يضبط الباحث الآيات القرآنية بالشكل علي رواية حفص عن عاصم .
- الخاتمة: تشتمل علي النتائج والتوصيات.

### هيكل البحث:

اشتمل هذا البحث علي مقدمة وأربعة مباحث تليها خاتمة فهارس تفصيلية جاءت علي النحو التالي:

- المبحث الأول: التعريف بالقراءات ، الرسم العثماني.
- المبحث الثاني: اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة البقرة إلي آخر سورة النساء.
- المبحث الثالث: اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة المائدة إلي آخر سورة الأعراف.
- المبحث الرابع: اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة التوبة آخر سورة الإسراء.
- الخاتمة: اشتملت علي النتائج والتوصيات
- فهرس المصادر والمراجع

## المبحث الأول التعريف بالقراءات والرسم العثماني؛

### أولاً: القراءات

القراءات جمع قراءة، والقراءة مصدر للفعل قرأ، وهذا الفعل يأتي بمعنى الضم والجمع يقال: قرأت الشيء قرأناً أي: ضمته وجمعت بعضه إلى بعض، وسمي القرآن قرأناً لأنه يجمع السور فيضم بعضها إلى بعض<sup>(٢)</sup>.

أما القراءات في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة منها: تعريف الإمام الزركشي: (اختلاف ألفاظ الوحي في الحرف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها)<sup>(٤)</sup>.

وعرفها الإمام الدمياطي: (علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف الإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع)<sup>(٥)</sup>.

وعرفها الإمام ابن الجزري: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مع عزو كل وجه لناقله)<sup>(٦)</sup>.

### ثانياً: الرسم والمصحف

يطلق الرسم في لغة العرب ويراد به العلامة، وأصله الأثر، أي: أثر الكتابة في اللفظ، ورسم كل شئ أثره، يقال رَسَمَ على كذا، ورَسَمَ إذا كَتَبَ، ومنه رَسَمُ الكتاب.

والمصحف في اللغة: هو الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين، أي: بين الجلدتين - ثم صار اسماً لما يضم الصحف التي كتب فيها القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>.

ونلخص ما سبق في: أن رسم المصحف: هو العلامات الحرفية المنقوشة فيه.

التعريف الاصطلاحي للرسم: هو ما كتب به الصحابة المصاحف وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي أو الرسم الإملائي إلا أن ما خالفه في أشياء قد كتبت علي هيئة مخصوصة<sup>(٨)</sup>.

٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ (١٤٠٤م-١٩٨٤م)، دار الملايين، بيروت، لبنان، باب الألف فصل القاف ٦٤/١

٤- البرهان في علم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهدار الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٢١٨/١

٥- إتحاق فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، ط١ (١٤١٩م-١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٦/١

٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ط١، (١٤٢٠م-١٩٩٩م) دار الكتب العلمية، بيروت، ٩/١

٧- البديع في رسم مصاحف عثمان، ابن عبد الله محمد بن يوسف الجهني، ط١ (١٩٩٨م) دار إشبيلية، الرياض، ١٣/١

٨- ايقاظ الأعلام لجوب اتباع المصحف الإمام، الشيخ حبيب الله بن يابي الشنقيطي، ط١ (١٩٧٢م)، مكتبة المعرفة، ١٠/١

اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من النصف الأول من القراء أن جمعاً ودراسة وتوجيهاً

### علة نسب الرسم العثماني إلي عثمان بن عفان :

يسمى هذا الرسم ، بالرسم العثماني ، نسبةً إلي سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هذه النسبة لا تعني أنه اخترعه من تلقاء نفسه ، أو خالف فيه رسماً تم بين يدي النبي صلي الله عليه وسلم ، وإنما نسب إليه ؛ لأنه نشره وأذاعه في الآفاق ، وعممه بعد أن نقله من صحف سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومما كان مع الصحابة ، مع وفرة الشهود الذين شهدوا بأن ما معهم كتب بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم<sup>(٩)</sup> .

٩- دليل الحيران علي مورد الظمان في فني الرسم والضبط، إبراهيم المراغني التونسي ، تحقيق :عبد السلام

البكاري، ط١ (٢٠٠٥م) ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ١٢/١

## المبحث الثاني

### اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة البقرة إلي آخر سورة النساء.

#### سورة البقرة:

لفظ (وقالوا) من قوله تعالى: (وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وُلْدًا سُبْحٰنَهُ) (البقرة: ١١٦) كتبت في المصحف الشامي (قالوا) بغير واو قبل (قالوا)، وكتبت في بقية المصاحف (وقالوا) بالواو<sup>(١٠)</sup>

#### القراءات:

قرأ ابن عامر (قالوا) بغير واو، لتتفق القراءة مع رسم المصحف الشامي، وقرأ الباقيون من العشرة (وقالوا) بالواو، لتتفق مع بقية المصاحف<sup>(١١)</sup>.

#### التوجيه:

من قرأ بدون واو، أنه على الاستئناف، ومن قرأ بالواو، أنه لعطف الجملة على مثلها<sup>(١٢)</sup>

ولفظ (ووصي) من قوله تعالى: (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرٰهٖمُ بَنِيهِ) (البقرة: ١٣٢)

كتبت في مصاحف أهل المدينة والشام (وأوصى) بألف بين الواوين، وكتبت في بقية المصاحف (ووصي) بغير ألف<sup>(١٣)</sup>.

#### القراءات:

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (وأوصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، معدي بالهمزة وهي موافقة لرسم المصحف المدني والشامي.

وقرأ الباقيون من العشرة (ووصي) بحذف الهمزة مع تشديد الصاد معدي بالتضعيف، وهي موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(١٤)</sup>.

#### التوجيه:

أنهما لغتان مثل: (نزل، وأنزل)<sup>(١٥)</sup>

- ١٠- المتنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٠٦/١
- ١١- المهذب في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن، ط٢، (١٩٩٤م)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ٧٠/١
- ١٢- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، أبي مكي محمد بن أبي طالب القيسي، ط١، (١٩٨٩م/٢٦٠)
- ١٣- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد المشهور بابن الجزري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٢٠/٢
- ١٤- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٨/١
- ١٥- الحجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٥ (١٤٢٢م-٢٠٠٢م)، ١١٥/١

### سورة آل عمران:

لفظ (وسارعوا) من قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

كتبت في مصاحف أهل المدينة والشام (سارعوا) بغير واو قبل السين وفي بقية المصاحف بالواو<sup>(١٦)</sup>.

### القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (سارعوا) بحذف الواو، وهي موافقة لرسم المصحف المدني والشامي.

وقرأ الباقر من العشرة (وسارعوا) بإثبات الواو، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(١٧)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ بغير واو أنه على الاستئناف، ومن قرأ بالواو عطفاً<sup>(١٨)</sup> على قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٢)

ولفظ (الزبر، والكتاب) من قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)

كتبت الكلمتان في مصاحف أهل الشام (وبالزبر وبالكتاب) بزيادة باء في الكلمتين، وكتبت في بقية المصاحف (والزبر والكتاب) بغير باء فيهما<sup>(١٩)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر (وبالزبر) بزيادة باء موحدة بعد الواو وهي موافقة لرسم المصحف الشامي، وقرأ هشام بخلف عنه (وبالكتاب) بزيادة باء موحدة بعد الواو، وهي موافقة لرسم المصحف الشامي أيضاً.

وقرأ الباقر من العشرة (والزبر والكتاب) بحذف الباء فيهما، وهي موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٢٠)</sup>.

١٦- سمير الطالبين، في رسم وضبط الكتاب المبين، الشيخ الضبَاع، ط١، مكتبة القاهرة، ١٠١/١

١٧- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الجزري، ط٢، دار الصحابة، بيروت، ٢٤٢/٢

١٨- تفسر زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ٤٥١/١

١٩- المنع في رسم المصاحف، ١٠٦/١

٢٠- السبعة في القراءات، الإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، ط٢، دار الصحابة، بيروت، ٢٢١/١

### التوجيه :

من قرأ بزيادة الباء، أن الباء وإن كان مستغنى عنها بالباء الأولى الحاصلة في البيئات، فإن إعادتها في المعطوف ضرباً من التأكيد، ومن قرأ بغير الباء، لأن الواو قد أغنت بإشراكها عن تكرير العامل<sup>(٢١)</sup>

### سورة النساء :

لفظ (قليل) من قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ) (النساء: ٦٦)

كتبت في المصحف الشامي (قليلاً) بالنصب، وهي في بقية المصاحف بالرفع<sup>(٢٢)</sup>.

### القراءات :

قرأ ابن عامر (قليلاً) بالنصب ، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف أهل الشام. وقرأ الباكون من العشرة (قليل) برفع اللام ، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٢٣)</sup>.

### التوجيه :

من قرأ بالنصب ، أنه على الاستثناء ، ومن قرأ بالرفع أنه من البدل في (فعلوه)<sup>(٢٤)</sup>

٢١- الحجة لأبي زرعة، ١/١٨٥

٢٢- دليل الحيران شرح مورد الظمان، إبراهيم المارغني، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١/٣٤٨

٢٣- الكشف، ١/٣٩٤

٢٤- تفسير فتح الرحمن ، للعلمي، ط٢ ، (١٤١٩هـ) دار الكتب، بيروت، ٢/١٥٠

### المبحث الثالث

## اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأعراف.

### سورة المائدة:

لفظ (ويقول) من قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُؤُلَاآءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ) (المائدة: ٥٣)

كتبت في مصاحف أهل المدينة ، ومكة ، والشام (يقول) بغير واو.

وفي مصاحف أهل الكوفة ، والبصرة ، وسائر العراق (ويقول) بالواو<sup>(٢٥)</sup>.

### القراءات:

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر (يقول) بحذف الواو ورفع اللام. وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف المدني، والمكي، والشامي

وقرأ أبو عمرو ويعقوب (ويقول) بإثبات الواو، ونصب اللام ، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف البصري

وقرأ الباقر من العشرة (ويقول) بإثبات الواو، ورفع اللام، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الكوفي<sup>(٢٦)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ بالواو ونصب اللام عطفاً على (أن يأتي)، ومن قرأ بالواو ورفع اللام، أنه على الاستئناف، ومن قرأ بغير الواو ورفع اللام ، لأن الجملة ذكر من الجملة المتقدمة ، فجاز عطفها عليها بالواو<sup>(٢٧)</sup>

لفظ (يرتد) من قوله تعالى: ( يَتَّأَمُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِۦٓ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوِّرٍ مُّجْتَمِعٍ وَيُجِبُّنَهُٓٓ أَذْلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ) (المائدة: ٥٤)

كتبت ( يرتد ) في مصحف المدينة والشام (يرتدد) بدالين، قال أبو عبيد القاسم بن

٢٥- دليل الحيران، ١/٢٤٨

٢٦- إتحاف فضلاء البشر، ١/٢٠١

٢٧- إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع، الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، ط٣، دار

الصحابة، بيروت، ١/٤٣٠

سلام: وهكذا رأيتها في الإمام بدالين، وكتب في بقية المصاحف (يرتد) بدال واحدة<sup>(٢٨)</sup>.

### القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (يرتد) بدالين، الأولى مكسورة، والثانية ساكنة مع فك الإدغام، وهذه القراءة توافق رسم مصحف أهل المدينة والشام.

وقرأ الباقيون من العشرة (يرتد) بدال واحدة مفتوحة مشددة على الإدغام، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٢٩)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ بفك الإدغام، أن حكم الفعل المضعف الثلاثي إذا دخل عليه الجازم جاز فيه الإدغام وفكه، ومن قرأ بدال واحدة، أنه على الإدغام، والإدغام لغة تميم وفك الإدغام لغة أهل الحجاز<sup>(٣٠)</sup>.

### سورة الأنعام:

لفظ (وللدار) من قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ٣٢)

كتب في مصحف أهل الشام (وللدار) بلام واحدة، وكتب في سائر المصاحف (وللدار) بلامين<sup>(٣١)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر (ولدار) بلام واحدة وتخفيف الدال، وخفض التاء من (الآخرة)، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

وقرأ الباقيون من العشرة (وللدار) بلامين مع تشديد الدال، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٣٢)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ بلام واحدة وجر (الآخرة)، على أن اللام للابتداء و(الآخرة) مضاف إليه. ومن قرأ بلامين ورفع التاء من (الآخرة)، على أنهما لام الابتداء ولام التعريف، و(الآخرة) مرفوعة على أنها نعت (لدار)<sup>(٣٣)</sup>.

٢٨- المقنع، ١/١٠٧

٢٩- النشر، ٢/٢٥٥

٣٠- المغني في توجيه القراءات العشر، محمد سالم محيسن، ط١، المدينة المنورة ٢/ (٢٠\_\_٢١)

٣١- سمير الطالبين، ١/١٠٢

٣٢- النشر، ٢/٢٥٧

٣٣- الكشف، ١/٤٢٩

اختلاف الرسم في الكلمات القرآنية التي وردت فيها قراءتان من النصف الأول من القراء أن جمعاً ودراسة وتوجيهاً

لفظ (أُنجَانَا) من قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أُنَجِّنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الأنعام: ٦٣)

كتبت (أُنجَانَا) في مصحف أهل الكوفة بياء من غير تاء، وكتبت في سائر المصاحف (أُنجيتنا) بالياء والتاء<sup>(٣٤)</sup>.

### القراءات:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (أُنجَانَا) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء، بلفظ الغيب، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الكوفي، وقرأ الباقر (أُنجيتنا) بياء تحتية ساكنة بعد الجيم، وبعدها تاء فوقية مفتوحة، على الخطاب، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٣٥)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (أُنجَانَا) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء، أنه على الغيب، ومن قرأ (أُنجيتنا) بياء تحتية ساكنة بعد الجيم وبعدها تاء فوقية مفتوحة، أنه على الخطاب<sup>(٣٦)</sup>.

ولفظ (شركاؤهم) من قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ) (الأنعام: ١٣٧)

كتبت (شركاؤهم) في مصحف أهل الشام (شركائهم) بالياء صورة للهمزة، وكتبت في سائر المصاحف (شركاؤهم) بالواو صورة للهمزة<sup>(٣٧)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر (زَيْنٌ) بضم الزاي وكسر الياء، و(قتل) برفع اللام، و(أولادهم) بنصب الدال، و(شركائهم) بالخفض، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

وقرأ الباقر من العشرة (زَيْنٌ) بفتح الزاي والياء، و(قتل) بنصب اللام، و(أولادهم) بالخفض، و(شركاؤهم) بالرفع، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٣٨)</sup>.

٣٤- المقنع، ١/١٠٧

٣٥- النشر، ٢/٢٥٩

٣٦- المغني، ٢/٥٤

٣٧- المقنع، ١/١٠٧

٣٨- تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ط١، دار الفرقان، بيروت، ١/٣٦٥

### التوجيه:

من قرأ (زَيْن) بضم الزاي وكسر الياء، و(قَتْلُ) برفع اللام، على أنها نائب فاعل، وهو مضاف و(أَوْلَادِهِمْ) بنصب الدال، على أنه مفعول به و(شُرَكَائِهِمْ) بالخفض، على أنه مضاف إليه، ومن قرأ (زَيْن) بفتح الزاي والياء، أنه مبني للفاعل و(قَتْلُ) بنصب اللام، على أنه مفعول به و(أَوْلَادِهِمْ) بالخفض، على الإضافة (وشركاؤهم) بالرفع، على أنه فاعل<sup>(٢٩)</sup>

### سورة الاعراف:

لفظ (تذكرون) من قوله تعالى: ( أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) (الأعراف:٣)

كتبت (تذكرون في مصحف أهل الشام (يتذكرون) بالياء والتاء، وكتبت في بقية المصاحف (تذكرون) بالتاء من غير ياء<sup>(٤٠)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر (يتذكرون) بياء قبل التاء علي الغيبة، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي. وقرأ حفص، وحزمة، والكسائي، وخلف العاشر (تذكرون) بحذف الياء وتخفيف الذا، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الكوفي.

وقرأ الباقر من العشرة (تذكرون) بالتاء وتشديد الذا وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف المدني والمكي والبصري<sup>(٤١)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (يتذكرون) بياء قبل التاء، أنها على الإلتفات من الخطاب إلي الغيبة، ومن قرأ (تذكرون) بحذف الياء وتخفيف الذا، أنه الأصل، ومن قرأ (تذكرون) بالتاء وتشديد الذا<sup>(٤٢)</sup>

لفظ (وما كنا) من قوله تعالى: ( وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهَ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) (الأعراف:٤٣)

كتبت في مصحف أهل الشام (ما كنا) بدون واو، وكتبت في سائر المصاحف بالواو<sup>(٤٣)</sup>

٣٩- الكشف، ١/ (٤٥٣) / (٤٥٤)

٤٠- دليل الحيران، ١/ ٣٤٨

٤١- المهذب في القراءات العشرة، محمد سالم محيسن، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١/ ٢٣٥

٤٢- الكشف، ١/ ٤٦٠

٤٣- سمير الطالبين، ١/ ١٠٢

### القراءات:

قرأ ابن عامر (ما كنا) بحذف الواو، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.  
وقرأ الباقر من العشرة (وما كنا) بإثبات الواو وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٤٤)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (ما كنا) بحذف الواو، على أن قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) موضع لقوله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا)، ومن قرأ (وما كنا) بإثبات الواو، أنه على الاستئناف أو الحال<sup>(٤٥)</sup>

ولفظ (قال الملاء) من قوله تعالى: (وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعَلَمُونَ أُنْتُ صَلِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّيَ قَالَُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ٧٥) (الأعراف: ٧٤) كتبت في مصاحف أهل الشام (وقال الملاء) بزيادة واو قبل (قال) ، وكتبت في بقية المصاحف (قال الملاء) بدون واو<sup>(٤٦)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر (وقال الملاء) بزيادة واو قبل (قال) ، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.  
وقرأ الباقر من العشرة (قال الملاء) بدون واو قبل (قال) ، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٤٧)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (وقال الملاء) بزيادة واو قبل (قال) ، أنه عطفه علي ما قبله، ومن قرأ (قال الملاء) بدون واو قبل (قال) اكتفاء بالربط المعنوي<sup>(٤٨)</sup>

ولفظ (أنجيناكم) من قوله تعالى: (وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (الأعراف: ١٤١)

٤٤- النشر، ٢/٢٦٩

٤٥- المغني، ٢/١٢٨

٤٦- المقنع، ١٠٧/١-١٠٨

٤٧- المهذب، ١/٣٤٤

٤٨- الكشف، ١/٤٦٧

كتبت في مصحف أهل الشام (أنجاكم) من غير ياء ولا نون، وكتبت في سائر المصاحف (أَنْجَيْنَاكُمْ) بالياء والنون.<sup>(٤٩)</sup>

### القراءات:

قرأ ابن عامر (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

وقرأ الباقر من العشرة (أَنْجَيْنَاكُمْ) بياء ونون وألف بعدها، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف.<sup>(٥٠)</sup>

### التوجيه:

من قرأ (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، أن على التوحيد.

ومن قرأ (أَنْجَيْنَاكُمْ) بياء ونون وألف بعدها، أنه على الجمع.<sup>(٥١)</sup>

٤٩- دليل الحيران، ١/٣١٥

٥٠- النشر، ٢/٢٧١

٥١- المغني، ٢/١٥٦

## المبحث الرابع

### اختلاف الرسم في الكلمات القراءانية التي وردت فيها قراءتان

#### من أول سورة التوبة إلي آخر سورة الإسراء

#### سورة التوبة :

لفظ (تحتها) من قوله تعالى (وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠)

كتبت في مصحف أهل مكة (من تحتها) بزيادة (من) ، وكتبت في بقية المصاحف (تحتها) بغير (من) <sup>(٥٢)</sup>.

#### القراءات:

قرأ ابن كثير (من تحتها) بزيادة (من) قبل (تحتها) مع جر التاء بالكسرة، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف المكي.

وقرأ الباقر من العشرة (تحتها) بحذف (من) وفتح التاء من (تحتها)، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف <sup>(٥٣)</sup>.

#### التوجيه:

من قرأ (من تحتها) بزيادة (من) قبل (تحتها) مع جر التاء بالكسرة، أنها لابتداء الغاية، ومن قرأ (تحتها) بحذف (من) وفتح التاء من (تحتها)، أنه ذهب بها مذهب الظرف <sup>(٥٤)</sup>

#### تنبية:

اتفق القراء العشرة علي القراءة بإثبات (من) قبل (تحتها) في سائر القرآن الكريم عدا الموضع المتقدم الذي فيه الخلاف، وقد اجتمعت جميع المصاحف علي رسم (من) قبل (تحتها) غير الموضع المتقدم

لفظ (الذين) من قوله تعالى: (وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة: ١٠٧)

٥٢- المنع، ١/١٠٨

٥٣- النشر، ٢/٢٨٠

٥٤- الكوكب الدرّي في شرح طيبة ابن الجزري، محمد صادق قمحاوي، المكتبة الأزهرية للتراث،

القاهرة، ط١ (٢٠١١، ٥١٤٣٢) ٢٣١/١

كتبف فف مصحف أهل المدينة والشام (الذين) بغير واو، وكتبف فف سائر المصاحف (والذين) بالواو<sup>(٥٥)</sup>.

### القراءات:

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (الذين) بحذف الواو التي قبلها، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف المدينة والشام.

وقرا الباؤون من العشرة (والذين) بإثبات الواو قبل (الذين)، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٥٦)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ بحذف الواو، أنه علي استئناف قصة بعض المناققين، ومن قرأ بالواو، أنه عطف علي قصصهم المتقدمة<sup>(٥٧)</sup>.

### سورة يونس:

لفظ (يسيركم) من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَّيْنِ لَكُمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس: ٢٢)  
كتبف فف مصاحف أهل الشام (ينشركم) بالنون والشين، وكتبف فف سائر المصاحف (يسيركم) بالسين والياء<sup>(٥٨)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر (ينشركم) بياء مفتوحة وبعدها نون ساكنة، وبعء النون شين معجمة مضمومة، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

وقرأ الباؤون من العشرة (يسيركم) بياء مضمومة، بعدها سين مهملة مفتوحة، وبعدها ياء مكسورة مشءة، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٥٩)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (ينشركم) بياء مفتوحة وبعدها نون ساكنة، وبعء النون شين معجمة مضمومة، أنه من النشر، ومن قرأ (يسيركم) بياء مضمومة، بعدها سين مهملة مفتوحة، وبعدها ياء مكسورة مشءة، أنه من التسيير، أي: يحملكم علي السير<sup>(٦٠)</sup>.

٥٥- سمير الطالبين، ١/١٠٣

٥٦- المهذب، ١/٢٨٤

٥٧- الكوكب الدرئي في شرح طيبة ابن الجزري، ١/٣٣١

٥٨- المقنع، ١/١٠٨

٥٩- النشر، ٢/٢٨١

٦٠- حجة القراءات، ١/٢٢٣

### سورة الإسراء:

لفظ (قل) من قوله تعالى: (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (الإسراء: ٩٣)

كتبت في مصاحف أهل مكة والشام (قال) بألف بعد القاف، وكتبت في بقية المصاحف (قل) بغير ألف<sup>(٦١)</sup>.

### القراءات:

قرأ ابن كثير، وابن عامر (قال) بفتح القاف بإثبات ألف بعدها، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف المكي والشامي

وقرأ الباقر من العشرة (قل) بضم القاف وحذف الألف، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف<sup>(٦٢)</sup>.

### التوجيه:

من قرأ (قال) بفتح القاف بإثبات ألف بعدها، أنه إخبار عما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رداً على ما طلبه الكفار، ومن قرأ (قل) بضم القاف وحذف الألف، على أنه فعل أمر من الله تعالى لنبيه (محمد) صلى الله عليه وسلم لينزه الله تعالى رداً على ما طلبه الكفار<sup>(٦٣)</sup>.

٦١- دليل الحيران، ١/٣٥٢

٦٢- النشر، ٢/٣٠٩

٦٣- المغني، ٢/٣٥٦

## الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث الذي لا أدعي أنني قد وفيتة حقه، ولكنني بذلت وسع جهدي، وما يسر الله لي، وبعد هذا الجهد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- علم الضبط ليس توقيفياً؛ بل هو اجتهاد من العلماء ليسهل به قراءة القرآن ويُقوِّم حروفه على النحو الصحيح، أما علم الرسم فهو توقيفي عن النبي صلي اله عليه وسلم.
- علم الضبط تطوّر على مر الزمان واتخذ أشكالاً مختلفة وتمسك بعض الناس بالقديم مما سبب لبساً ووهماً في الزمن الحاضر، بينما علم الرسم حافظ على شكله.
- استطاع الرسم العثماني أن يحافظ على كثير من اللغات التي لولاه ما عُرفت وما وصلت إلينا.

- كتبت الكلمات برسمين مختلفين في المصاحف العثمانية ليتفق رسم كل مصحف مع القراءة التي يقرأ بها، إذ لو كتبت المصاحف كلها برسم واحد لما كان هنالك ما يدل على إحدى القراءتين

- اتفق القراء العشرة على القراءة بإثبات (من) قبل (تحتها) في سائر القرآن الكريم عدا الموضع المتقدم الذي فيه الخلاف، وقد اجتمعت جميع المصاحف علي رسم (من) قبل (تحتها) غير الموضع المتقدم

يوصي الباحث بالآتي:

- تكوين هيئة علمية عالمية من جميع دول العالم متخصصة في القراءات القرآنية وعلومها تكون مرجعية للعالم أجمع في طباعة المصحف الشريف بجميع رواياته ولا يؤذن بطباعة مصحف في العالم إلا عبرها.

- إن علم القراءات والعلوم التي تتعلق به مثل (رسم القرآن وضبط القرآن، والفواصل) هي من العلوم النادرة جداً، لذلك أوصي المختصين في هذا المجال بكثرة البحث فيه حتى تعم الفائدة ونحافظ على هذا العلم.

## المصادر والمراجع:

- (١) القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- (٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٣ (١٤٠٤هـ\_\_١٩٨٤م)، دار الملايين، بيروت، لبنان
- (٣) البرهان في علم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهدار الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،
- (٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، ط١ (١٤١٩هـ\_\_١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت،
- (٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ط١، (١٤٢٠هـ\_\_١٩٩٩م) دار الكتب العلمية، بيروت،
- (٦) البديع في رسم مصاحف عثمان، ابن عبد الله محمد بن يوسف الجهني، ط١ (١٩٩٨م) دار إشبيليا، الرياض
- (٧) إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع المصحف الإمام، الشيخ حبيب الله بن يابي الشنقيطي، ط١ (١٩٧٢م)، مكتبة المعرفة
- (٨) دليل الحيران علي مورد الظمان في فني الرسم والضبط، إبراهيم المراغني التونسي، تحقيق: عبد السلام البكاري، ط١ (٢٠٠٥م)، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء
- (٩) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، ط١، دار الفكر، بيروت
- (١٠) المهذب في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن، ط٢، (١٩٩٤م)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر
- (١١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، أبي مكي محمد بن أبي طالب القيسي، ط١، (١٩٨٩)

- (١٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا  
الدمياطي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية
- (١٣) الحجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق: سعيد  
الأفغاني، ط٥ (١٤٢٢هـ\_\_٢٠٠٢م)
- (١٤) سمير الطالبين، في رسم وضبط الكتاب المبين، الشيخ الضبَّاع، ط١، مكتبة  
القاهرة
- (١٥) النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الجزري، ط٢، دار الصحابة، بيروت
- (١٦) تفسر زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣،  
المكتب الإسلامي، بيروت
- (١٧) السبعة في القراءات، الإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد،  
ط٢، دار الصحابة، بيروت
- (١٨) تفسير فتح الرحمن، للعلمي، ط٢، (١٤١٩هـ) دار الكتب، بيروت
- (١٩) إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، الإمام عبد الرحمن بن  
إسماعيل، المعروف بأبي شامة، ط٣، دار الصحابة، بيروت
- (٢٠) المغني في توجيه القراءات العشر، محمد سالم محيسن، ط١، المدينة المنورة
- (٢١) تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ط١، دار الفرقان، بيروت
- (٢٢) المهذب في القراءات العشرة، محمد سالم محيسن، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة
- (٢٣) الكوكب الدرِّيُّ في شرح طيبة ابن الجزري، محمد صادق قمحاوي، المكتبة الأزهرية  
للتراث، القاهرة، ط١ (١٤٣٢هـ، ٢٠١١) ٣٣١/١

### المستخلص

جاء هذا البحث بعنوان: (منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، وتتجلى أهمية التفسير الموضوعي في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي للقرآن في كون هذه الطريقة تعطي تصوراً كلياً متكاملًا للقضايا الكونية في القرآن الكريم كله، ونظراً لعدم وضوح الكتابة بأسلوب التفسير الموضوعي في أبحاث الإعجاز العلمي؛ رأيت ضرورة وضع منهج منضبط لمن يشتغل بهذا الاتجاه ويعمل به ليبعد عن الحشو والزوائد التي يضيع القارئ بها، وكما هدف البحث إلى وضع القواعد العلمية الخاصة باتجاه التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن بطريقة التفسير الموضوعي، وضع خطة علمية منهجية لأبحاث التفسير العلمي والإعجاز العلمي يكون منطلقها آيات القرآن الكريم وليس العلوم الكونية المراد إسقاطها على القرآن الكريم، وتناول موضوعات، مناهج الكاتبيين عرض ونقد، منهج التفسير الموضوعي في قضايا التفسير والإعجاز العلمي، نموذج تطبيقي للمنهج المرسوم في المبحث الثاني، وتوصلت فيه إلى النتائج الآتية، مراحل التفسير الموضوعي في التفسير والإعجاز العلمي هي: اختيار الموضوع، وضع خطة منهجية للبحث، الاستقراء والجمع، ترتيب الآيات وتصنيفها، البحث التفسيري؛ وفيه يجب أن يراعى المسائل الآتية، الاهتمام بأسباب النزول إن وجد، والاهتمام باللغة العربية وعلومها، والاهتمام بالسياق القرآني، والاهتمام بالمنقول، والحذر من الإسرائيليات، منهج التعامل مع العلوم الكونية: يجوز في التفسير العلمي الاستشهاد بالنظريات العلمية ذات البرهان العلمي؛ وبالحقائق من باب أولى، أما في الإعجاز العلمي فلا يجوز الاستشهاد إلا بالحقائق العلمية الثابتة، وأما الفرضيات والتصورات فلا يجوز الاستشهاد بها مطلقاً، بل ينبغي الإقتصار على الدلالة اللغوية فقط لأن الحجة فيها، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ذو طابع تخصصي جماعي من علماء التفسير والعلوم الكونية، وخلصت إلى التوصيات التالية، إنشاء مركز أبحاث متكامل من لجان علمية متخصصة في العلوم الشرعية والعلوم الكونية المختلفة لدراسة موضوعات القرآن الكريم في القضايا الكونية وفق منهج التفسير الموضوعي، تقرير مادة ضوابط التفسير والإعجاز العلمي في الكليات والمعاهد الشرعية.

١ - د. مرهف عبد الجبار سقا أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة المجمعة.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

### أهمية الموضوع:

لقد أولت الأمة لهذا الكتاب الرباني «القرآن العظيم» عناية فائقة وبينته بأنواع من التبيان العلمي، فكان منها اللغوي، وكان منها الفقهي، وكان منها الكلامي، وكان منها الأثري... الخ، وما هي اليوم تتجه جهود الأمة إلى بيان لم يكن المتقدمون في غفلة عنه، ولكن حتمته ظروف الأمة وأوضاعها المضطربة علمياً وثقافياً وسياسياً ألا وهو التفسير العلمي والإعجاز العلمي، إذ صار هذا الاتجاه من التفسير يشغل حيزاً واسعاً من الثقافة الإسلامية واهتمام الناس على كافة المستويات.

وقد انتهج العلماء لعرض هذا الاتجاه من التفسير عدة طرق، ومن أهمها وأوسعها طريقة التفسير الموضوعي، وتتجلى أهمية التفسير الموضوعي في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي للقرآن في كون هذه الطريقة تعطي تصوراً كلياً متكاملًا للقضايا الكونية في القرآن الكريم كله، وتربط بين الآيات وتوضح المجملات وتحل المشكلات وتوضح المبهمات إما من باب تفسير آية بآية، أو من باب تكميل آية بآية أو من باب تقييد آية بآية... الخ، فيخرج القارئ بتصور قرآني متكامل حول القضية الكونية المبحوثة.

### سبب اختيار البحث:

ولأهمية هذا الاتجاه من التفسير وعلوم القرآن واهتمام العلماء به، وكثرة الكاتبين فيه وغالب مؤلفاتهم تقترب من التفسير الموضوعي، وعدم وضوح منهج في هذه الكتابات؛ رأيت ضرورة وضع منهج منضبط لمن يشتغل بهذا الاتجاه ويعمل به ليبعد عن الحشو والزيادات التي يضيع القارئ بها، ويركز الباحث في هذا الاتجاه على علوم الآية القرآنية ويدور حولها.

### الأبحاث السابقة:

إذن: يتركز موضوع البحث حول الضوابط الأساسية التي ينبغي على المفسر اتباعها في التفسير العلمي للقرآن بطريقة التفسير الموضوعي وتوضيح منهج التعامل مع مسائل خاصة بالتفسير والإعجاز العلمي في القرآن، ثم تقديم نموذج تطبيقي لمنهج التفسير الموضوعي.

ونحن لو نظرنا في المكتبة القرآنية فإننا نجد مؤلفات عديدة في وضع منهج التفسير الموضوعي في القرآن الكريم عموماً، ولعل من أشهرها كتاب (المدخل إلى التفسير الموضوعي) للدكتور عبد الستار فتح الله السعيد، وكتاب (التفسير الموضوعي) للدكتور

مصطفى مسلم وغيرهما العديد، أما فيما يخص الكتابة في اتجاه التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكتابة في ضوابط أبحاث التفسير الموضوعي فيه على وجه الخصوص فإنني لا أعلم من سبقني في ذلك.

وقد يقول قائل: إن هذا من علوم القرآن الكريم ويدخل في عموم التفسير الموضوعي، فالجواب: هذا صحيح في العموم ولكن عند التدقيق ستجد أن الكتابة في التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم له خصوصية في منهجية الكتابة وطرح المواضيع، وقد عالجت ذلك في ثنايا البحث، وسأترك الحكم للقارئ يستبين الحقيقة.

### أهداف البحث:

- رسم منهج علمي منضبط لتفسير القرآن الكريم تعظيماً لكتاب الله.
- وضع القواعد العلمية الخاصة باتجاه التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن بطريقة التفسير الموضوعي .
- وضع خطة علمية منهجية لأبحاث التفسير العلمي والإعجاز العلمي يكون منطلقها آيات القرآن الكريم وليس العلوم الكونية المراد إسقاطها على القرآن الكريم.

## مصطلحات البحث:

يتألف البحث من المصطلحات الآتي:

منهج: في اللغة: نَهَجَ الطريق إذا وضح، وتقول: المنهاج، أي: الطريق الواضح<sup>2</sup>، ومرادنا هنا: الطريقة الواضحة لكتابة أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن، وإن وضوح هذا الطريق يكون ببيان قواعد وضوابط العمل العلمي لهذه الأبحاث.

وأما التفسير الموضوعي: فهو الفن المدون الذي يعنى ببيان القضايا القرآنية، أي: هو ”علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحددة معنى أو غاية، وجمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع“<sup>3</sup>

وأما التفسير العلمي: فهو بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مختلف العلوم الكونية والنفسية العقلية، أو بتوظيف العلوم التطبيقية والبحثية والمعارف التجريبية الصحيحة بقدر الطاقة البشرية وفقاً لقواعد الشرعية المقررة<sup>4</sup>.

أما الإعجاز العلمي في القرآن فهو: سبق القرآن الكريم في الدلالة إلى حقائق في شتى مناحي العلم قبل اكتشاف العلم له أو استقراره على اعتمادها<sup>5</sup>.

وبذلك نعلم مرادنا بالعنوان وهو: الطريقة الواضحة (القواعد والضوابط العلمية) للأبحاث المتعلقة بدراسة القضايا الكونية على الخصوص التي تحدث عنها القرآن الكريم وبيان معانيها والعلوم التي دلت عليها من خلال جمع آياتها المتفرقة ودراستها على هيئة مخصوصة وفق القواعد والضوابط المبينة فيه.

## الكلمات الدلالية:

التفسير العلمي، الإعجاز العلمي، منهج، التفسير الموضوعي، أبحاث الإعجاز العلمي، القرآن الكريم.

## خطة البحث:

وقد جعلت البحث بالإضافة إلى هذه المقدمة - التي نحن بصدها - في ثلاثة مباحث،

٢ - انظر: الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة للأزهري مادة نهج ١/٦، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.

٣ - السعيد، د. عبد الستار فتح الله المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٢٠، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، الثانية ١٤١١ هـ.

٤ - سقا د. مرهف عبد الجبار، منهج التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ١/٦٢، ط: دار محمد الأمين دمشق، الأولى ٢٠١٠ م..

٥ - المصدر السابق ١/٩٣.

## ثم خاتمة.

**المبحث الأول:** مناهج الكاتبين عرض ونقد.

**المبحث الثاني:** منهج التفسير الموضوعي في قضايا التفسير والإعجاز العلمي.

**المبحث الثالث:** تطبيق منهج التفسير الموضوعي في التفسير والإعجاز العلمي.

**الخاتمة:** أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا: وأسأل الله تعالى التوفيق للحق في القول والعمل، وأن يلهمنا رشدنا، ويغفر لنا أخطاءنا، كما أسأل الله تعالى أن يكتب النفع بهذا البحث وأن تتلقاه الأمة بالقبول والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول

### مناهج الكاتبيين عرض ونقد

لقد نشطت حركة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عندما انتفض بعض علماء الأمة يردون دعاوى تعارض الدين مع العلم ولزوم ترك القرآن واعتبار الحضارة الوافدة من الغرب هي الحل الذي سينقذ المسلمين من وهدة التخلف لينقلها إلى منارة التقدم، فألف السيد محمود شكري الآلوسي (١٢٧٣ - ١٣٤١هـ) - حفيد المفسر أبي الثناء - كتابه: (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان) مسانداً فيه قول فيثاغورث بأن حركة الأرض تابعة للشمس، وأن الأرض كباقي الكواكب السيارة معلقة بفعل الجاذبية، ورأى أن هذا القول لا يتعارض مع القرآن والسنة وإلا لما التفت إليه<sup>٦</sup>، فتناول الآيات المتعلقة بذلك في كل سورة سورة.

ثم ألف الشيخ محمد بخيت المطيعي (١٨٥٤ - ١٩٣٥م)، (تنبية العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية العمرانية)<sup>٧</sup> الذي ألفه في الرد على دعوى مستشرق يطعن في القرآن، فجعل الشيخ المطيعي رحمه الله كتابه على موضوعات قرآنية، فيذكر الآيات القرآنية ويفسرها تفسيراً بارعاً، ثم يدعم تفسيره بالمعارف المختلفة ويشرح القضية الموضوعية ويذكر الخلاف ويفند الآراء ويدحض آراء المستشرقين، فتكلم بهذه الطريقة عن خلق الإنسان، وعن السموات والأرض وتعدد الأقمار والشموس... الخ.

وبمثل ذلك قام الشيخ محمد وفا الأميري في كتابه (الإشارات العلمية في القرآن الكريم)<sup>٨</sup>، وقد تميزت مؤلفات العلامة الآلوسي والشيخ المطيعي والشيخ الأميري بحسن الصياغة وقوة التفسير والاستدلال، بل ويتميز كتاب العلامة الآلوسي بترتيبه المعتبر حسب السور، إلا أن كتاب الشيخ الأميري أسهب مؤلفه بالمعلومات الكونية حتى طغت على تفسير الآيات بل غيبها، مع تكرار لبعضها في مواطن مختلفة.

ثم توالى المؤلفات في هذا الاتجاه، وكلما استجد أمر في قضايا الكون من علوم تجريبية أو تطبيقية أو فلكية ظهر ما يقابلها من الأبحاث التي تريد إثبات وجودها وربطها بالقرآن الكريم.

٦ - انظر: الآلوسي، محمود شكري، ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان ص ٣، ٤ تحقيق: زهير شاويش، ط المكتب الإسلامي، أولى ١٩٦٠.

٧ - تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية محمد بخيت المطيعي، تقديم: عبد الرحمن عيسى ط مكتبة أحمد ربيع، حلب ١٩٦٩م.

٨ - طباعة دار الرضوان حلب الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، وقد طبع الكتاب أول مرة عام ١٢٨٩ هـ، والأستاذ الأميري من أعيان القرن الرابع عشر الهجري ولد في حلب ودرس في الأزهر.

ثم كان القرن الخامس عشر الهجري فكثرت المؤلفات في هذا الاتجاه وتنوعت، وبرزت معالم التفسير الموضوعي فيها أكثر من حيث تناول قضية بعينها وبحثها في القرآن الكريم، فألف الدكتور زغلول النجار العديد من المؤلفات المتعلقة بذلك ك: (السماء في القرآن الكريم)<sup>٩</sup>، و: (المفهوم العلمي لجبال في القرآن الكريم)<sup>١٠</sup>، و: (النبات في القرآن الكريم)<sup>١١</sup> في ثلاثة أجزاء، كما ألف الدكتور كارم السيد غنيم والدكتور عبد العظيم محمد الجمال كتاب: (الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث)<sup>١٢</sup>، ومما صدر أيضاً: (العلوم الفلكية في القرآن الكريم) للدكتور سيد وقار أحمد حسيني<sup>١٣</sup>، وكتاب (من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية) للدكتور حسن أبو العينين<sup>١٤</sup> وجعله في جزئين، وكتاب (الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم) لصلاح الدين عارف جنيد<sup>١٥</sup>.

وبالنظر في هذه المؤلفات جميعها نجد أنها تشترك بالملاحظات الآتية:

- إن الكاتيبين لهذه المؤلفات ليسوا من ذوي التخصصات العلمية الشرعية، وإنما من التخصصات العلمية الكونية المختلفة، ولذلك فقد كثرت في كتاباتهم الأخطاء المنهجية العلمية الآتية.
- الإطناب في سرد المعلومات الكونية المتعلقة بقضية البحث، حتى تصل أحياناً إلى ذكر جزئيات لا علاقة لها بدلالة الآيات ولا تتصل بها في الموضوع العام<sup>١٦</sup>.
- الاختصار المخل في تفسير الآيات، وقد يكون التفسير عند بعضهم فيما لا علاقة له بالبحث فيدخل الإسرائيليات، وقد يستشهد بالتوراة والإنجيل كما في كتاب الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث<sup>١٧</sup>، بل إنك تجد في كتاب الركام المزني خروجاً عن اتفاق المفسرين وشذوذاً في الاستدلال<sup>١٨</sup>.

٩ - طباعة: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة ثانية، ٢٠٠٥.

١٠ - طباعة مكتبة الشروق الدولية، مصر،

١١ - طباعة: مكتبة الشروق الدولية، مصر، الثانية ٢٠٠٥.

١٢ - طباعة دار الصحوة، مصر، الأولى ١٩٨٨م.

١٣ - طباعة دار طلاس، سوريا، الثانية ١٩٩٦.

١٤ - طباعة: مكتبة العبيكان، السعودية، أولى ١٩٩٦.

١٥ - طباعة: مطبعة الزرعى دمشق، أولى ١٩٩٩م.

١٦ - انظر مثلاً: النبات في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار/٥/١٣٥.

١٧ - انظر الصفحات من ٢١، إلى ٣٣ من كتاب الجراد في القرآن والعلم الحديث، فقد أتى المؤلفان بنصوص من التوراة على تعذيب بني إسرائيل بالجراد.

١٨ - انظر مثلاً: الصفحات ٤٠، ٤٢، ٤٧، من كتاب: الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم.

- لا توجد خطة واضحة لهذه المؤلفات يمكن اعتبارها، فبعضهم يسرد المعلومات ويدخل فيها الآيات على أنها بيان لها، وآخرون يذكرون الآيات أو الآية المتعلقة بالقضية الكونية المبحوثة ثم يفسرونها ثم يذكرون المعلومات المتعلقة بها على الوجه المتقدم من الإطناب. ومنهم من يذكر الآية ثم يسرد ما يتعلق بسورة الآية من موضوعات ومكان النزول وما تحويه من آيات كونية.. الخ، ثم يفسر الآية التي هي محل البحث، ثم يسرد المعلومات الكونية ذات العلاقة<sup>١٩</sup>، بل قد تجد بعضهم يذكر الآية ثم يدخل في موضوعه مباشرة دون بيانها أو ذكر تفسيرها أو وجه ارتباطها بالقضية العلمية كما في كتاب الدكتور أبو العينين، وكتاب الدكتور سيد وقار.

- لا يوجد في أغلب هذه الكتب بيان وجه دلالة الآية على المعلومة التي يراد الاستدلال عليها، ولا تجد أيضا وجه الإعجاز العلمي في الآية.

- بعضهم نظر في مقدمة كتابه لقواعد وضوابط ينبغي التزامها في التفسير والإعجاز العلمي للقرآن، ولكن بالمقارنة بين النظرية والتطبيق تجد مفارقات مختلفة، وأغلب هذه المخالفات في اللغة وفي معاني الحروف وفي أنواع الدلالات، كما في كتاب السماء في القرآن الكريم مثلاً، إذ خالف الكاتب اللغة عند الاستدلال على الثقوب السوداء في قوله تعالى: (فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ) (التكوير: ١٥، ١٦٢٠).

- إخراج الآيات عن سياقها العام والخاص وكأنها نزلت دليلاً على القضية المراد البحث عنها فقط<sup>٢١</sup>.

هذه أهم الملاحظات العامة التي لا يخلو منها أو من أحدها بحث من أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن يمضي على طريقة التفسير الموضوعي، ولعل السبب الجامع لوجود هذه الملاحظات هو عد التخصص الشرعي للمؤلفين مما جعل اهتمامهم ينصب على الموضوع دون مراعاة المنهجية العلمية، ولذلك فإن أغلب هذه الملاحظات لا تجدها في الكتب التي ألفها المتخصصون بالعلوم الشرعية وخاصة التفسير وعلوم القرآن.

١٩ - انظر كتاب النبات في القرآن الكريم، وقارنه بكتاب المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، وكلاهما للدكتور زغلول النجار، وستجد خلافاً بينهما في طريقة البحث، ففي كتاب «المفهوم العلمي للجبال» يفسر الآيات دون التعرض للكلام على سورها كما كان يفعل في كتاب «النبات في القرآن» أو كتاب «السماء في القرآن».

٢٠ - انظر: السماء في القرآن الكريم ص ٢١٢، إلى ٢١٦، ثم انظر ص ٢٢٧، فقد خالف اللغة عند الاستدلال على الثقوب السوداء.

٢١ - انظر على سبيل المثال، بحث: دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، سعيد حمود اليامي، مجلة الإعجاز العلمي ص ٢٣، العدد ٢٣، رجب ١٤٢٣هـ. إذ استدل بتكوير الشمس واندثار النجوم - وهي من أهوال يوم القيامة - على ظاهرة الثقوب السوداء.

ثم ظهرت محاولة تصنيف الآيات ذات الدلالة الكونية بمجموعات موضوعية، وهي محاولة تستحق تسليط الضوء عليها، لجدها وأهميتها في التفسير الموضوعي، فقد قام الطبيب الدكتور محمد جميل الحبال بالتعاون مع الدكتور مقداد مرعي الجواري، في كتاب (العلوم في القرآن الكريم)<sup>٢٢</sup> بجمع الآيات الكونية في القرآن الكريم وتصنيفها على مجموعات علمية، وشرح المؤلفان طريقة التصنيف لهذه الآيات - كما يقولان - (حسب نوع الإشارة العلمية)، وأنواع الإشارة بتقسيمهم أربعة، ونذكرها هنا باختصار<sup>٢٣</sup>:

أحدها - كما يقولان - «الإشارات العلمية الواضحة أو المباشرة (التخصصية)» ومثلاً لها بآية النحل تحت عنوان العسل غذاء ودواء<sup>٢٤</sup>.

الثانية: «الإشارات العلمية العامة (الإجمالية) كأضرار الزنا.

الثالثة: «الإشارات العلمية غير المباشرة (التلميحية)»، كالإشارة إلى ضيق الصدر في أعالي الجو

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ الأنعام: ١٢٥

**الرابعة: الإشارات العلمية المستنبطة، كمدة أقل الحمل، وحركة الأرض.**

يقول المؤلفان: (في هذه المرحلة تم جمع وتصنيف الآيات التي تحوي الإشارات الكونية حسب النقاط سابقة الذكر على أبواب المعرفة والعلوم المختلفة وذلك حسب فهمنا ومعرفتنا واعتماداً على المصادر المذكورة.. وقد تكون هناك آيات أخرى ذات دلالات علمية، ولكننا لم ندخلها في الدراسة لقصور علمنا وفهمنا بها، وقد يتوصل إليها آخرون في الوقت الحاضر أو في المستقبل...، وقد يكون هناك موضوعات علمية أخرى لم ندرجها في البحث وقد يتوصل إليها المتخصصون بها..)<sup>٢٥</sup>.

وعندما تتعدد العلوم المشار إليها في الآية الواحدة فيتكرر ذكر الآية عند كل علم مصنف لديهم. ووضع المؤلفان في حسابهما الإطار الإيماني الذي وردت فيه الآيات المصنفة، فقالا: (تمت دراسة الآيات المشار إليها من خلال المعاني الإيمانية في كل آية، وتم تصنيفها باعتبار وجود أحد أركان الإيمان الستة..)<sup>٢٦</sup>، ولذلك فعند ذكر الآية فإنهما يضعان خطأً تحت الدلالة

٢٢ - طباعة دار النفاثس، بيروت أولى ١٩٩٨م.

٢٣ - العلوم في القرآن ص٢٣ فما بعد.

٢٤ - المصدر السابق ص ٢٤.

٢٥ - المصدر السابق ص ٢٩.

٢٦ - المصدر السابق ص ٢١.

الإيمانية، وقوسان على المقطع الذي فيه الدلالة العلمية ومثال ذلك: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَنْدَنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ النحل: ٨٨ وهكذا.

ولذلك فقد وضعنا كشافين في كتابهما أحدهما (كشاف الإشارات العلمية)<sup>٢٧</sup>، وكشافاً لـ (الإشارات الإيمانية)<sup>٢٨</sup>، أعادا تصنيف الآيات في هذا الكشاف الأخير حسب أركان الإيمان. وقد أقر المؤلفان بأن مثل هذا المشروع يحتاج لجهود متضافرة وأن دراستهم هذه (محاولة أولية في هذا المجال، قد تفتح آفاقاً كثيرة للأخريين في المستقبل)<sup>٢٩</sup>.

ثم طبق هذه الطريقة الدكتور محمد جميل الحبال بالاشتراك مع الدكتور وميض العمري في كتابيهما (الطب في القرآن)<sup>٣٠</sup>، إذ اشتمل الكتاب على نحو ٣٥٠ آية مصنفة لـ ١٧ موضوعاً طبياً، ثم ربط هذه الإشارات بأركان الإيمان الستة، ثم تبعهما المهندس أحمد عامر الدليمي في كتابه (المياه في القرآن، منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية)<sup>٣١</sup>، فقد حوى كتابه نحو ٢٦٥ آية، مصنفة إلى ١٣ علماً متخصصاً في مجال المياه، وفيها نحو ٥٣٨ إشارة علمية - كما يقول المؤلف<sup>٣٢</sup>، وقد ربط المؤلف هذه الآيات بأركان الإيمان الستة باعتبار أن الهدف من هذه الآيات وذكر العلوم التي فيها إنما لإقامة الحجة على الناس<sup>٣٣</sup>.

وقد أحسن الدليمي في عرض موضوعات كتابه والاستفادة من الآيات القرآنية وطريقة عرضها، إلا أنه يؤخذ على أصحاب هذا المنهج الآتي:

- لم يبينوا بشكل واضح المنهج المتبع حال كون الآية ذات دلالة مفتوحة تستوعب كل العلوم، مع أنهم تعرضوا لذكر ذلك<sup>٣٤</sup>، كما في قوله تعالى: ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)) (الفرقان: ٢).

- متابعة المؤلفين لمن سبقهم في الاستدلالات على العلوم دون تمحيص، كمتابعتهم

٢٧ - المصدر السابق ص ٦٧ إلى ص ٨٤.

٢٨ - المصدر السابق من ص ٨٥ إلى ص ٩٧.

٢٩ - المصدر السابق ص ٢٩.

٣٠ - طباعة دار النفاثس، بيروت، الأولى ١٩٩٧م.

٣١ - طباعة دار النفاثس، بيروت أولى ٢٠٠٢م، والمؤلف يحمل ماجستير في علم المياه.

٣٢ - المصدر السابق ص ١٢.

٣٣ - المصدر السابق ص ١٥.

٣٤ - انظر: العلوم في القرآن ص ٢١.

في الاستدلال بقوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة: ٥

على حساب السرعة الكونية «سرعة الضوء»<sup>٣٥</sup>.

- عدم استخدام المصطلحات العلمية في بيان نوع الدلالة، فاستخدامهم لكلمة «الإشارة العلمية» و«الإشارة التلميحية»، استخدام لمصطلح دارج غير سليم، والإشارة هي إحدى أنواع الدلالة القرآنية المعبر عنها بإشارة النص، وهي الدلالة المستنبطة لغير ما سيقنت له الآية، وهذا المعنى غير مراد بهذا الاستخدام، فكان الأحسن استخدام مفردة الدلالة، ولعل عذرهم في ذلك كونهم غير مختصين بالعلوم الشرعية فعبروا بما عرفوا.
- اعتبارهم السياق الإيماني فقط في تفسير الآيات، دون اعتبار سياق نظم الآية مناسبها لما قبلها الذي قد يساعد كثيراً على بيان الآية وتوسيع الدلالة أو تقييدها.
- ومع هذه الملاحظات إلا أن منهجهم قمن بالاعتبار والنظر والمتابعة والله أعلم.

## المبحث الثاني

### منهج التفسير الموضوعي في قضايا التفسير والإعجاز العلمي في القرآن

إن منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي على الخصوص لا يخرج في مبادئه العامة عن منهج وخطوات التفسير الموضوعي في الإطار العام، ولكن نظراً لحساسية هذا النوع من الأبحاث فإن ثمة قضايا خاصة بهذا اللون من التفسير لا بد من بيانها في هذه الخطوات العامة، إضافة إلى قضايا منهجية خاصة بأبحاث التفسير والإعجاز العلمي، مثل: منهج التعامل مع المعلومات الكونية في التفسير الموضوعي.

إن دراسة قضية ما من القضايا العلمية الكونية في القرآن الكريم؛ تتطلب من الباحث الدراية الجيدة فيما قيل عن هذه القضية في العلوم الكونية أثناء عملية التفسير ومحاولة استثمار الدلالات اللغوية في توظيف العلوم الكونية لتجليتها وتوسيع معانيها، وحتى يسلم للباحث ذلك، فلا بد له من اتباع المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: اختيار الموضوع: إن الأصل في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو معرفة هدي القرآن وسبقه في بيان القضية الكونية المدروسة، وبيان التصور الذي رسمه القرآن الكريم لهذه القضية، ولئن كان الواقع العلمي له أثر في اختيار الموضوع؛ لكن لا بد أن يبقى القرآن هو الأصل الذي ينبغي الاعتماد عليه في تقرير التصور الكوني لهذه القضية العلمية المبحوث فيها استدلالاً أو استنباطاً، ويبقى دور الواقع العلمي في بيان القضية العلمية في القرآن الكريم في إطار ما يدل عليه النص القرآني.

### وهنا أمران مهمان ينبغي ذكرهما :

أحدهما: ينبغي على الباحث أن يختار موضوعاً له وجود في القرآن - ولو استدلالاً - بغير تكلف وتعسف، فلا يجوز للباحث أن يتكلف (فيحاول أن يدخل في القرآن كل شيء مستحدث في العلوم والصناعات، بدعوى شمول القرآن لكل شيء من هذه الوسائل، كما كتب بعضهم بحثاً بعنوان: الأطباق الطائرة في ضوء القرآن، وكتب آخر: القبلة الذرية في القرآن الكريم)<sup>٣٦</sup>.

الأمر الثاني: هو أن يكون الباحث على قناعة ودراية بالبحث الذي يختاره، بأن تكون الفكرة ناضجة وواضحة في ذهنه، وقد تهيا لها وأخذ الأسباب اللازمة علمياً وعقلياً ونفسياً للكتابة فيها.

وفي هذه المرحلة يضع الباحث عنواناً أولياً لبحثه يبين مضمون البحث ومدلوله، ثم إن شاء يعدل في العنوان أو يغير فيه حسب ما يراه مناسباً، ولكن ما يشترط في اختيار العنوان

٣٦ - انظر: فتح الله السعيد، د. عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص ٥٩، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية،

مصر، الثانية، ١٩٩١م.

هو أن يكون معبراً عن المضمون بشكل واضح وأن يراعي فيه المصطلحات الشرعية<sup>٣٧</sup>. وقد جعل بعض الفضلاء ممن كتب في منهج التفسير الموضوعي اختيار العنوان الخطوة الأولى من خطوات التفسير الموضوعي، وقد يلمحون لاختيار الموضوع عرضاً<sup>٣٨</sup>، مع أن اختيار الموضوع مقدم من اختيار العنوان وأكثر أهمية.

المرحلة الثانية: وضع خطة البحث: والمراد بوضع خطة البحث: وضع العناوين الأساسية للقضايا والمواضيع الفرعية والجزئية التي سيتعرض لها بحث التفسير الموضوعي عندما يكون بحثه مطولاً مفرعاً.

وهذه المرحلة مبنية على سلامة المرحلة الأولى في اختيار الموضوع، لأن العناية بخطة البحث في بداية الأمر يدل على التصور الواضح للقضية المبحوثة في القرآن الكريم، ويحدد الأولويات التي ينبغي أن يصرف الجهد لها. ويوفر الوقت الكثير للباحث كي لا يتشتت في فرعيات متعدد ومتشعبة، يقول الدكتور مصطفى مسلم: (لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع... فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات؛ لا بد عندئذ من وضع تمهيد يبين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع، (يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث..)، أما إذا كان الموضوع محدد المعالم والآفاق واضح المجالات، قليل العناصر؛ فلا بأس من بحثه عندئذ على شكل مقالة علمية تتكون من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة... ويدون خلاصة ما توصل إليه في الخاتمة بشكل موجز)<sup>٣٩</sup>.

المرحلة الثالثة: الاستقراء والجمع: والمراد بالاستقراء أن يتتبع الباحث الآيات القرآنية المتعلقة بالقضية الكونية المراد بحثها في القرآن الكريم، ويكتبها على بطاقة خاصة، ثم يجمع هذه الآيات مع بعضها لينتقل إلى مرحلة الترتيب والتصنيف.

والاستقراء في أبحاث التفسير الموضوعي على نوعين: أحدهما: تام، والمراد به استقراء كامل القرآن استقراءً دقيقاً يتم من خلاله جمع كل ما يتعلق بالقضية المبحوثة نصاً أو استدلالاً. كموضوع حركة الكون وكروية الأرض، وكالحديث عن النجوم في القرآن الكريم.. ونحو ذلك<sup>٤٠</sup>.

٣٧ - ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار ص ٥٩.

٣٨ - انظر مثلاً: د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص ٢٣ ط مصر ١٤٠٢هـ، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢٧ ط دار القلم دمشق الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٩ - مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢٨، وما بين ( اختصار لكلام فضيلته بتصريف مني.

٤٠ - وهذا النوع في الاستقراء يستخدم في نوع التفسير الموضوعي «البيسط» كما عبر عنه الدكتور عبد الستار في المدخل، ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٦٢.

والاستقراء الآخر: غير تام، ويراد به التتبع للآيات المتعلقة بالقضية المبحوثة بشكل مباشر وبدلالة ظاهرة، أو بتتبع الآيات التي تجمع أطراف الموضوع بشكل جامع لفظاً واستدللاً، كمرحل خلق الجنين، فالآيات التي تنص على مرحلة الأساسية قد نص القرآن عليها ولكن ثمة آيات تدخل في هذا الموضوع بشكل غير مباشر كخلق سمعه وبصره مثلاً، ففي الاستقراء التام ينبغي أن تدخل في الحسبان، وأما في الاستقراء غير التام فلا تدخل.

إن جمع الآيات لم يعد يعتمد كثيراً على المعاجم المفهرسة، أو كتب المفردات والوجوه والنظائر وغير ذلك، إذ بتوسع استعمال الحاسوب وتطور البرامج الحاسوبية التي تعني بالقرآن وعلومه صار من السهل جداً جمع الآيات القرآنية من خلال البحث عن المفردة، بل هناك برامج رتبت آيات القرآن حسب المواضيع كبرنامج صخر (تفسير القرآن الكريم) مثلاً، والذي أراه أن الباحث الجاد والمخلص في بحثه لا يكتفي بهذه الطريقة في البحث، ولكن لا بد له من أن يستوعب قراءة القرآن بتأني من أوله إلى آخره ليتناول الآيات المتعلقة بقضيته الكونية حسب سياقها، نعم قد تكون بعض الأبحاث لا تحتاج هذه الطريقة كمن يريد الكتابة عن دلالة السماء في القرآن وأن يتناول كل الآيات التي فيها «سما»، فيسعه مثل هذه البرامج الحاسوبية أو إصدارات القرآن الكريم الإلكترونية كمصحف المدينة المنورة للنشر الإلكتروني مثلاً، ولكن هذا لن يغنيه في العودة إلى القرآن ليقرأ الآية في سياقها ونظمها.

ولذلك على من أراد جمع الآيات بأي طريقة كانت: أن يستعين بمصحف على هامشه ببيان المفردات، أو تفسيراً مختصراً، وعندما يستخرج الآية على بطاقتها الخاصة يسجل معها تفسيراً مختصراً يدل على موضوعها وما تحويه من عناوين محتملة (مواضيع فرعية تدخل في القضية الكونية المبحوثة).

وهذه الطريقة في الاستقراء تساعد الباحث على التصنيف السليم للآيات في الموضوعات المتشعبة والأبحاث المطولة، وتكون لديه ملكة تفسيرية تقوي استدلاله أثناء صياغة البحث الأخيرة.

### المرحلة الرابعة: ترتيب الآيات وتصنيفها:

بعد أن يجمع الباحث الآيات المتعلقة بالقضية الكونية المدروسة، - وكان قد اطلع على معانيها جملة كما تقدم -؛ يقوم بترتيبها حسب اتفاقها وافتراقها في الموضوع، ولا يشترط أن يكون لكل موضوع جزئي عدد من الآيات فقد تكون آية واحدة موضوعاً جزئياً ضمن دراسة قضية كونية، كما أنه يمكن أن يتكرر الاستشهاد بأية واحدة عدة مرات لتداخلها مع آيات أخرى في موضوعات فرعية، فإن قوله تعالى - مثلاً -: ( وَرَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

٤١ - وهذا النوع من الاستقراء يستخدم في التفسير الموضوعي «الوسيط» كما عبر عنه د. عبد الستار في المدخل،

ينظر المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٦٢.

أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ( الحج:٥ ) تتضمن عدة قضايا كونية، أبرزها: علاقة الماء باهتزاز التربة، وحركة التربة وأثرها في الزراعة، وهكذا...، وعلى كل فإن تصنيف وترتيب الآيات أمر اجتهادي يعود لمدى تمكن الباحث في أصول الاستنباط والبيان. وقد ذهب بعض الفضلاء إلى أن الترتيب ينبغي أن يكون حسب زمن النزول، أي ترتيباً تاريخياً بتمييز المكي والمدني<sup>٤٢</sup>، (ومن العجيب أن نرى جل الذين صنفوا في التفسير الموضوعي وجعلوا هذا الترتيب التاريخي شرطاً للتفسير الموضوعي لم يلتزموا هذا الشرط في تفسيرهم، ولم يطبقوه بشموله إلا في مواضع الأحكام حيث يتعين أحياناً معرفة سبب النزول أو الوقوف على سببه...)<sup>٤٣</sup>.

إننا لو دققنا النظر لا نجد لهذا التقييد في الترتيب والتصنيف فائدة مهمة في بعض موضوعات القرآن الكريم، وعلى الأقل فإن هذا الترتيب لا فائدة منه في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي، لأن المراد من هذا النوع من التفسير معرفة هداية القرآن في الآفاق ومعرفة العوالم والأكوان، والعلم بالتصوير القرآني لحقيقة القضية الكونية، وبيان سبق القرآن في الدلالة على قضايا كونية متعددة، ولا يضيرنا في الترتيب والتصنيف معرفة ما إذا كانت الآية مكية أو مدنية، وإن ما يهمنا في تصنيف الآيات هو ملاحظة الموضوع الفرعي الذي يجمع آيات بعينها ضمن الموضوع الكلي، فالباحث مثلاً في الماء في القرآن الكريم، سيجد أن القرآن ذكر مصادر الماء، ووظائفه، وأحواله، ودورته... الخ، فعلى الباحث أن يقوم بجمع الآيات المتعلقة بكل معنى من هذه المعاني ضمن مجموعتها، (حيث يبدأ بتنظيم الآي وتصنيفها على نحو خاص يعين على الاستنباط منها والربط بينها والخروج منها برؤية جامعة لمختلف قضاياها الجزئية)<sup>٤٤</sup>.

المرحلة الخامسة: البحث التفسيري للآيات: وهذه المرحلة هي لب الموضوع، وأهم مراحلها؛ بل حقيقته التي ينبغي على الباحث أن يولي لها اهتماماً كاملاً، فبعد أن يتم جمع الآيات القرآنية على موضوعات متناسبة يجمعها عنوان واحد ينبغي على الباحث أن يستوعب دراسة الآيات دراسة علمية وافية متأنية، بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي، والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى الألفاظ واستعمالاتها والروابط بين الألفاظ

٤٢ - انظر: شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص٥٠٣، دار التراث، القاهرة، أولى ١٩٨٢م، المدخل إلى التفسير الموضوعي، د.عبد الستار ص٦٣، مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى ص٢٧، التفسير الموضوعي للكومي والقاسم ص٢٣.

٤٣ - رشواني، د. سامر عبد الرحمن، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، ص١٥٣، ط: دار الملتقى حلب الأولى ٢٠٠٩م.

٤٤ - منهج التفسير الموضوعي د. رشواني ص١٥٢.

في الجملة وبين الجملة في الآية وبين الآيات في المجموعة<sup>٤٥</sup>، ويعلم ما يتعلق بدلالاتها من حيث العموم والخصوص والمطلق والمقيد، «وبذلك يكون التفسير الحليلي ضرورة للتفسير الموضوعي، فهما يتعاونان ولا يتعارضان، بل يتكاملان لخدمة النص القرآني»<sup>٤٦</sup>. ويجب في هذه المرحلة الكلام على مسائل ضرورية يجب الأخذ بها في التفسير الموضوعي في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي:

### المسألة الأولى: الاهتمام بما يتعلق بالآية من أسباب النزول إن وجد:

ذلك لأن سبب النزول يزيل الإشكال عن معنى الآية، كما يقول ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ): (طريق قوي في فهم معاني القرآن)، ويقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)<sup>٤٧</sup>، إذن معرفة سبب النزول طريق من طرق بيان الآية ومعرفة الجو العام الذي نزلت فيه الآية وما يحيط بها من ملاسات،

ولا يعني معرفة سبب النزول أن يذكره الباحث في التفسير الموضوعي، بل المراد هنا لزوم الاطلاع على معرفة الجو الذي نزلت به الآية لقصد المعنى مما يساعد في بيان القضية المبحوثة، ثم إن كان ذكر سبب النزول يفيد البحث التفسيري فيذكره وإلا فيكفي الإشارة إليه.

### المسألة الثانية: الاهتمام باللغة وعلوم العربية:

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وإن التعرض لبيانه وفهمه لا بد أن يكون في ضوء لسان العرب وتصريفاتهم في الكلام، لأن العلوم التي يراد الاستدلال عليها في القرآن الكريم مكنونة في دلالات النص القرآني المنزل باللسان العربي، والاعتناء بهذا الجانب في التفسير الموضوعي ركن ركين وأصل أصيل لا يجوز تعاقله ولا التساهل فيه، يقول الزركشي رحمه الله (ت ٧٦٤هـ): (وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين)<sup>٤٨</sup>.

فينبغي على الباحث بيان المفردات الغريبة في الآيات وذات العلاقة المباشرة في قضيته المبحوثة، ويذكرها في بحثه قبل المباشرة في تفسير الآيات، كما ينبغي أن يضع الباحث في التفسير الموضوعي الإعراب في حسابانه لأنه أحد طرق بيان القرآن، ولذلك يقول

٤٥ - انظر: مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى ص ٣٧.

٤٦ - المدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار ص ٦٤.

٤٧ - انظر قول ابن دقيق العيد وابن تيمية في الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ١/ ١٩٠، تحقيق مكتب الدراسات القرآنية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ.

٤٨ - الزركشي، محمد بن عبد الله بن، البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٠٦، تحقيق المرعشلي، ط دار المعرفة.

السيوطي (ت ٩١١هـ): (وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسرار النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً...)٤٩.

ولكن هل يشترط أن يذكر الباحث في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي تفاصيل اللغة والإعراب؟ إن التفسير التحليلي مرحلة لازمة عند دراسة الآيات لبيان القضية الكونية المبحوثة، وهذه المرحلة تكون سابقة على المباشرة بالصياغة العلمية والمنهجية للتفسير الموضوعي، وعندما يستقر المفسر - أثناء الدراسة التحليلية - على رأي يرجحه فإنه يثبتته في بحثه ما دام للقول الذي اختاره حظ من النظر والاعتبار والدليل، على أن لا يكون هذا القول شاذاً أو مخالفاً أو مهجوراً، ويستحسن أن يعلق في الحاشية أن هذا ما يترجح له وأن ثمة أقوال أخرى لها اعتبارها، وقد تتساوى لدى الباحث أوجه المعاني، فيعرضها في بحثه بإيجاز، ويذكر أن المعنى الفلاني يدل على القضية التي يدرسها.

### المسألة الثالثة: الاهتمام بالسياق القرآني:

إن معرفة السياق له دور كبير في بيان معاني الربط بين الآيات المتشابهات وتوضيح مضان المشكل في المختلفات، وحل موهم التعارض بينها، وهذا له أثر كبير في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، خاصة إن اجتمعت هذه الآيات المتشابهات المشكلات المختلفات في موضوع واحد، فالألفاظ ليست مكنونات ذهنية مجردة وجامدة في دلالتها، بل هي للتداول، ولها دلالات ومعاني بحسب استخدامها في النظم، فالسما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ) (النحل: ١٠)،

غير معناها في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٩)، وغير معناها في قوله تعالى: (وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (البقرة: ١٦٤)، وهكذا، فمراعاة السياق الذي وردت فيه السماء يخصص مدلولها، وإن كان الجامع بينها في الأصل اللغوي: العلو.

وتتأكد العناية به أكثر عند عدم وجود ما يبين الآية من المأثور، يقول الزركشي في معرض كلامه على تفسير ما لم يرد فيه نقل: (وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيماً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق)٥٠، وينقل الزركشي في البحر النحيط عن العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)

٤٩ - الاتقان للسيوطي ٤/ ١٢٢٠.

٥٠ - البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٢.

قوله: (السِّيَاقُ يُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمَجْمَلَاتِ وَتَرْجِيحِ الْمُحْتَمَلَاتِ وَتَقْرِيرِ الْوَاضِحِ اتَّوَكَّلْ ذَلِكَ بِعُرْفِ الْأَسْتَعْمَالِ، فَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ الْمَدْحِ كَانَتْ مَدْحًا وَإِنْ كَانَتْ ذَمًّا بِالْوَضْعِ وَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ الذَّمِّ كَانَتْ ذَمًّا وَإِنْ كَانَتْ مَدْحًا بِالْوَضْعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) (الدخان: ٤٦)<sup>٥١</sup>، ويقول الشاطبي رحمه الله (ت٧٩٠هـ): (كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، والإصرار ضحكة وهزء، الأثرى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أوجب ان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط، ومالا ينحصرنا لأمثلة، لواعبر اللفظ بمجرد لميكنلهمعنىم عقول؛ فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟)<sup>٥٢</sup>. فيجب على الباحث أن يهتم بالسياق العام والخاص أثناء التفسير، والمراد بالسياق العام هو اعتبار مقاصد القرآن الكريم في ذكر الكونيات وبيانها وفي ذلك يقول الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى)<sup>٥٣</sup>، ولذلك كان الرازي يعتبر السياق الكلي للقرآن الكريم في تفسيره كله، ففي تفسير سورة النحل عند قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (النحل: ١٠)، يقول: (اعلم أننا ذكرنا أن المقصود الأعظم م هذا القرآن العظيم تقرير أصول أربعة: الإلهيات والنبوات والمعاد، وإثبات القضاء والقدر، والمقصود الأعظم من هذه الأصول الأربعة تقرير الإلهيات، فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول في وعيد الكفار عاد إلى تقرير الإلهيات)<sup>٥٤</sup>.

ويقول الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله (ت١٩٠٦م): (إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة..)<sup>٥٥</sup>، ثم يقول أيضاً: (فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة..)<sup>٥٦</sup>، ويدخل في السياق العام أيضاً معرفة السياق العام للسورة، وعلى سبيل المثال، فإن معنى الموعظة الحسنة في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

٥١ - الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه ٢٥٧/٤ تحقيق د. محمد محمد تامر ط

دار الكتب العلمية، أولى ١٤٢١هـ.

٥٢ - الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات ٤١٩/٣ تحقيق: مشهور آل سليمان، ط دار ابن عفان الأولى ١٤١٧هـ.

٥٣ - الرازي، التفسير الكبير ١٥٦/١، ط دار إحياء التراث العربي.

٥٤ - الرازي، التفسير الكبير ٢٠/٢٣١

٥٥ - النورسي، سعيد، إشارات الإعجاز في مظان المجاز ص ١٤، ط: دار المحراب تركيا.

٥٦ - مصدر سابق ص ١٥.

بِالْمُهَيَّبِينَ ﴿ (النحل: ١٢٥) يفسرها ابن جرير (ت٣١٠هـ) بقوله: (وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه)<sup>٥٧</sup>، فقد اختار للموعظة الحسنة معنى يتناسب مع سياق سورة النحل التي أكثر الله فيها من ذكر النعم والآلاء معتبراً في ذلك السياق العام<sup>٥٨</sup>.

فالقرآن الكريم لم يذكر العلوم المختلفة على أنها معلومات مجردة لذاتها، بل للدلالة بها على هذه المقاصد السابقة بالدرجة الأولى، وليصح التصور العقلي للناس من خلال التدبر فيها، وإن اعتبار السياق بالدراسة التفسيرية يرشد الباحثين للمقاصد القرآنية والانضباط بها، فما يفعله بعض المشتغلين في هذا الاتجاه من التفسير من ذكر تفاصيل جزئيات المعلومات الكونية التي لا ترتبط بالآيات القرآنية ولا تدخل في دلالتها؛ وتخرج الآيات من سياق القرآن الكلي، ومن مقصدها الهدائي الأساسي، إلى الظن أنها معلومة مجردة، مخالفة منهجية خطيرة تسيء لهذا الاتجاه من التفسير للقرآن الكريم.

وأما السياق الخاص: فهو معرفة المناسبات بين الآيات والجمل، من خلال ربط السبق باللاحق وعلاقة المفردة بأختها، ومناسبة اختيار المفردة القرآنية في مقاصد السورة المأخوذة منها.

#### المسألة الرابعة: منهج التعامل مع المنقول:

والمراد بذلك تفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، فأما السنة فإنها في الأصل بيان القرآن، وفي التفسير الموضوعي ينبغي على المفسر أن يستدل من السنة بما يحتاج له البحث في بيان دلالة القرآن على القضية الكونية، وأما أقوال السلف الصالح كذلك ينبغي الاقتصار على ما يتعلق بالقضية من الآثار دون استطراد أو تعرض لخلاف يحول التفسير الموضوعي إلى تفسير تحليلي، وأهم ما يعرض للمفسر في هذا الشأن هو اختلاف الأقوال في المأثور، فليس الواجب على المفسر أن يوردها جميعها مع اختلافها، وإنما يختار من هذه الأقوال أثبتها وأقربها للقضية العلمية المراد بحثها، ولكل باحث اعتباره في طريقة عرض الآثار والأحاديث بما يتلاءم مع بحثه وعرض قضيته

٥٧ - الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن ١٧ / ٣٢١ تحقيق أحمد شاكر، ط الرسالة ٢٠٠٠م.

٥٨ - وقد جعلت إحدى الباحثات تعريفات السياق وجعلته في ثلاثة معاني: أحدها: النصوص السابقة واللاحقة لما يراد بيانه وتأويله، والنصوص البعيدة والسورة بأكملها، الثاني: قصد الشارع (الملحوظ في النص المراد تبينه)، ومقاصد التشريع المبثثة هنا وهناك، الثالث: سبب نزول الآية وحال المخاطبين وظروف القول. انظر: السياق عند الأصوليين، المصطلح والمفهوم د. فاطمة بوسلامة، مجلة الإحياء ص ٤٤، العدد ٢٥ جمادى الثاني ١٤٢٨هـ.

دون إلزام بمنهج معين نحتمة عليه، ويجدر بنا بيان قضية مهمة في تفسير السلف الصالح وهي أنهم رضي الله عنهم قد يتكلمون في بعض الآيات بما كان شائعاً في عصرهم من المعارف<sup>٥٩</sup>، فعلى المفسر أن يكون على دراية بدراسة روايات السلف في التفسير. ولا يجوز الاستشهاد بالإسرائيليات في التفسير الموضوعي عموماً وفي التفسير والإعجاز العلمي للقرآن خصوصاً، لأنها ليست من طرق التفسير المعتبرة.

### المسألة الخامسة: منهج التعامل مع المعلومات الكونية:

وهذه من القضايا الشائكة التي ينبغي العناية بها بأهمية بالغة، وحتى نختصر الكلام فيها لا بد من القول أن العلوم الكونية، تنقسم من حيث المصادقية إلى فرضيات، ونظريات، ومثبتات (حقائق). أما النظريات: فهي القضية التي تحتاج لبرهان يثبت صحتها<sup>٦٠</sup>، أي: هي الظن الراجح الذي لم يقل فيه العلماء المختصون كلمتهم الأخيرة النهائية، وهي قابل للتعديل والتبديل والتغيير<sup>٦١</sup>. أما الفرضيات: فهي الطرح الاحتمالي الذي لم يصل لدرجة النظرية، فهي إما ظن مرجوح ليس له برهان، أو ظن متردد بين احتمالين أو عدة احتمالات متكافئة<sup>٦٢</sup>. أما المثبتات: فهي اليقينيات التي ثبتت بالبرهان القاطع وقد يعبر عنها بالحقائق، أو هي التي ثبتت مصداقيتها بتراكم التجارب الكثيرة على مر الزمن ولم تتخلف، أو كانت من المشاهدات الكونية التي لا يمكن للعقل إنكارها.

أما المثبتات فلا خلاف في جواز الأخذ بها في التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم ما دامت داخلية في دلالاته، وقد اختلف العلماء حول جواز الأخذ بالنظريات العلمية في التفسير والإعجاز العلمي<sup>٦٣</sup>، والذي أراه - والله أعلم - أنه يجوز في التفسير العلمي للقرآن الكريم الأخذ بالنظريات العلمية الصحيحة التي ارتقت إلى درجة الظن الراجح ولها حظ من النظر والدليل، وخاصة منها التي ارتفعت نسبة ثبوتها لتكون أقرب إلى المثبتات، على أن تحتملها الدلالة القرآنية بإحدى أنواع الدلالة المعتبرة، ذلك لأن التفسير اجتهاد بشري في الدلالات الظنية لنظم القرآن، وهذا الاجتهاد قابل للخطأ والصواب، واستخدام النظريات العلمية في بيان مدلولات ومعاني النص القرآني إنما هي من باب التأكيد العلمي على مدلول الآية في

٥٩ - انظر مثال ذلك تفسير ابن كثير ٤٩٣/٧، عند تفسير قوله تعالى (( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ))، في ذكر تولدهما من ماء المطر، وانظر للتوسع منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل ص.

٦٠ - انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص ٨١٧ مادة نظر، ط: دار المشرق بيروت ١٩٩٢.

٦١ - انظر: الحبكة، الشيخ عبد الرحمن، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص ٢٢٢ دار القلم دمشق، الثالثة ٢٠٠٤

٦٢ - انظر: قواعد التدبر الأمثل المصدر السابق.

٦٣ - ينظر: منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل د. مرهف ص ١٧٤ إلى ١٧٦.

اللغة والسياق، أو من باب التدليل بالقرائن الخارجية المعتمدة للتوضيح والترجيح.

أما في الإعجاز العلمي فلا بد من استخدام المثبتات - الحقائق - وما استقر عليه العلم فقط، وأما النظريات فلا يجوز اعتبارها في الإعجاز العلمي، لأن الإعجاز كما ذكرنا في المقدمة سبق القرآن في الدلالة على علوم يقينية، فلا بد أن يكون موضوع سبق مستقراً ثابتاً حتى يصح الاستدلال عليه.

أما معرفة درجة مصداقية المعلومات الكونية فإنه يكون بالرجوع إلى أهل التخصص في كل علم في بيان درجة المعلومة المستخدمة في بيان القرآن الكريم وإعجازه، ولا يجوز اعتبار كثرة تداول النظرية في الأوساط الثقافية والشهرة دليلاً على كونها حقيقة كما يفعل بعضهم في نظرية الانفجار الكوني، فمعرفة كون المعلومة حقيقة علمية يحتاج من الباحث خوفاً من الله تعالى، وبحث علمي منهجي معتبر عند أهل التخصص، ولذلك يجب على المراكز العلمية والعلماء الكونيين تصنيف مصداقية ما لديهم لخدمة القرآن الكريم. ويجب على الباحث أن يراعي عدة أمور في استخدام المعلومات الكونية المختلفة في التفسير الموضوعي وهي:

- أن لا يستطرد الباحث في ذكر المعلومات التفصيلية إلا بما يخدم البحث التفسيري، كبيان ما يدخل في دلالة الآية، أو يفصل معانيها، أو يجلي فكرة الموضوع، لأن أبحاث التفسير والإعجاز العلمي هي في الأصل أبحاث في علوم القرآن، فلا ينبغي أن تغلب المعلومات الكونية على التفسير فينسى القارئ أنه يقرأ بحثاً تفسيرياً.

كما أن مثل هذه الأبحاث يراد بها إعطاء التصور القرآني للقضية الكونية، تكون فيها الآيات هي الأصل، والمعلومات خادمة لدلالاتها، ووصيفة لمعانيها، ويستحسن أن يقدم الباحث في مثل هذه الأبحاث بمقدمة مختصرة مفيدة تعطي تصوراً علمياً لقضية البحث، والله أعلم.

- إذا لم يجد الباحث معلومات كونية في درجة النظريات التي مر بيانها ليستخدمها في التفسير، بل وجد فرضيات وتصورات واجتهادات متواطئة لا تتعدى الاحتمال، فلا يجوز أن يلتفت إليها، بل يعتمد على ما ورد من النقول والدلالة اللغوية والسياق ويقتصر في تقرير قضيته على ذلك، لأن الاعتماد على المعلومات غير الثابتة والمرجوة كأخذ بالظن المرجوح وكالقول بالرأي دون علم، كما أنه يفتح باباً لضعاف العقول يجعلهم يتلاعبون بالنص القرآني استجراراً لنصرة فرضياتهم مع وجود الاحتمالات لغيرها في نظم الآية.

ـ (إذا كان النص القرآني يحتمل التفسير ضمن ضوابط فهم النصوص العربية مع ما يتفق مع النظرية العلمية؛ فلا مانع من جعل تفسيره بما يتفق معها أحد الاحتمالات التي يمكن أن يفهم النصوص بمقتضاها، ولكن دون جزم ولا قطع، وتظل الاحتمالات الأخرى التي يحتملها النص مفتوحة مطروحة، حتى يأتي اليقين العلمي الذي تقرره أدوات ووسائل البحث العلمي الإنسانية)<sup>٦٤</sup>.

### وان من المهم في ختام هذا المبحث أن نبين أمراً في غاية الأهمية :

إن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم هو من طرق التفسير للقرآن الكريم، ولذلك لا بد لمن أراد أن يتعرض للعمل في هذا الطريق أن يكون على دراية تامة بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر وأن يكون متأهلاً في نفسه بشروط المفسر المقررة في كتب علوم القرآن، فلا يجوز لمن لم يتأهل بشروط المفسر وأدوات التفسير أن يتعرض لتفسير القرآن مهما كانت درجته العلمية في العلوم الكونية، وإلا فإنه سيتعرض للقول في القرآن بغير العلم المراد له، وقد وردت الأحاديث والآثار في تحريم هذا، ومن ذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن بغير علم فليكن له من الله ما لا يحيط به العلم المقدر له) (متن في التفسير)؛ وقال أبو عيسى: (هكذا روي بها القرآن بالدرجة الأولى، ولذلك يقول الترمذي رحمه الله عند حديث جندب بن عبد الله مرفوعاً: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)<sup>٦٥</sup>، قال أبو عيسى: (هكذا روي عن بعض أهلا لعلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم)، ثم روى الترمذي بسنده إلى قتادة أنه قال: (ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيء)<sup>٦٦</sup>، ليكون هذا الأثر دليلاً على أنهم رضي الله عنهم تكلموا في القرآن بعلم.

نعم: إن من قواعد الأبحاث العلمية احترام التخصصات العلمية، وإن امتلاك المسلم لثقافة شرعية عامة فإن هذا لا يعني كونه متأهلاً للبحث في تفسير القرآن، فإن التفسير الموضوعي يحتاج لبيان الدلالات وفهم طرق الاستنباط والتعامل مع أسباب النزول، والتعامل مع نصوص المفسرين وفهم مصطلحاتهم، فكيف له ذلك وهو غير مؤهل له!!.

٦٤ - انظر: قواعد التدبر الأمثل ص ٢٣٧.

٦٥ - جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٠)، وقال الترمذي حسن صحيح، تحقيق بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.

٦٦ - جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٢)

٦٧ - جامع الترمذي ٥٠ / ٥.

فإذا أراد الباحث المختص في غير علوم الشريعة - وخاصة منها التفسير - كتابة بحث في التفسير العلمي بطريقة التفسير الموضوعي؛ فعليه أن يستعين بمختص شرعي يعينه على الترتيب والاستنباط وشرح النصوص...، ولذلك فإني أقول: إن أبحاث التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم هي من الأبحاث ذات الطابع الجماعي وإن الانفراد فيها يعرض البحث والباحث للوقوع في الأخطاء العلمية<sup>٦٨</sup>، وبالمقابل فإن المفسر المختص لا بد له أيضاً أن يراعي التخصص العلمي فيراجع المختصين في قيمة المعلومات التي يستخدمها في التفسير الموضوعي على ما بيناه سابقاً والله أعلم.

٦٨ - انظر: سقا، د. مرهف، (أبحاث الإعجاز العلمي ذات طبيعة متخصصة وعمل جماعي) مقال نشر في مجلة الحقيقة الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي مكة المكرمة التابعة لرابطة العالم الإسلامي العدد الثاني عشر، ذي القعدة ١٤٢٠ هـ

### المبحث الثالث

#### تطبيق منهج التفسير الموضوعي في التفسير والإعجاز العلمي

يتركز البحث الذي نعرضه حول قضية جزئية محدودة في القرآن الكريم ألا وهي البيان العلمي لاطراد تقديم السمع على البصر في الآيات التي جاء ذكرهما فيها، وهل الواو في العطف بينهما تفيد الترتيب، وقد اخترت لهذا البحث التطبيقي عنوان (بيان الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم)، ولذلك فإنني سأقتصر على الآيات التي جاء فيها ذكر السمع والأبصار في مساق الخلق، لنخلص بنتيجة أن هذا التقديم المطرد له دلالاته العلمية التي تبرز جانباً من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لأن المعلومات التي وظفت في البحث تعد من الناحية التطبيقية ثابتة يقينية إن شاء الله تعالى، تطبيقاً للقواعد المنهجية المرسومة في المبحث السابق.

وقد جعلت هذا النموذج في مقدمة ومطلبين وخاتمة، أما المقدمة فهي في التعريف بقضية البحث، أما المطلب الأول فهو تعريف بالسمع والبصر لغة ووجوه ورودها في القرآن، وأما المطلب الثاني فهو قضية البحث في بيان الآيات الخاصة لذلك وتفسيرها وتجليه وجه الإعجاز فيها، وعرضت في الخاتمة نتيجة البحث.

#### العنوان: بيان الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم

**المقدمة:** الحمد لله الذي نور العقول بالعلم والبصائر بالعبر، والأبصار بالحجج، والآذان بالسمع، والصلاة والسلام على المبين لخير ما أنزل الله تعالى، وأذن خير للمؤمنين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حفل القرآن الكريم بعدد من الآيات التي بينت خلق الإنسان بمراحل العظمى، ودل القرآن إلى تفاصيل أخرى من مراحل خلق الإنسان يتبينها المتدبر للقرآن عند دراسة سياق نظمه، وبتقليب تصريف أساليبه، قال تعالى (قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً) (الإسراء: ٨٨، ٨٩)، يقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ): (أي: بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه)،<sup>٦٩</sup>.

وهذا البحث هو تتبع لتصريف الآيات وبيان إحدى الحجج القاطعة الدالة على ربانية القرآن ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، إذ يتركز على قضية مباشرة ألا وهي بيان أحد أسباب اطراد تقديم السمع على الأبصار في الآيات التي ذكر

٦٩ - ابن كثير، محمد بن إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ١١٧/٥، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط دار طيبة ١٩٩٩.

فيها السمع والأبصار في سياق ذكر خلق الإنسان، وأقول أحد الأسباب لأن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، فقد يظهر من المعارف ما يزيد في بيان أسباب أخرى لم تصل مدارك البشرية لها بعد.

### المطلب الأول: السمع والبصر ووجوه ورودهما في القرآن:

السمع: لغة: حسُّ الأذن<sup>٧٠</sup>، وهو قوة في الأذن به تدرك الأصوات<sup>٧١</sup>، وقد يأتي في القرآن على وجوه<sup>٧٢</sup>:

بمعنى الأذن الجارحة: كقوله تعالى: ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ) (البقرة:٧).

بمعنى السماع أي فعل السمع، كقوله تعالى: ( إِنَّمَعْنَا السَّمْعَ لِمَعْرُؤُلُونِ ) (الشعراء:٢١٢).

بمعنى الفهم، كقوله تعالى: ( سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) (النساء:٤٦) ومنه قوله تعالى: (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) (الأنفال:٢٣). وأكثر الآيات الواردة في هذا المساق تتضمن معنى التفهيم، ومن ذلك فهم القلب كقوله تعالى: ( أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ) (ق:٣٧).

وقد يتضمن معنى الطاعة كما في قوله تعالى: ( ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ) (الأنفال: ٢١)، (وكل موضع أثبت فيه السمع للمؤمنين أو نفى عن الكافرين أو حث على تحريه؛ فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه)<sup>٧٣</sup>.

البصر: البَصْرُ حُسُّ العَيْنِ والجمع أَبْصَارٌ<sup>٧٤</sup>، وقد يقال للجارحة بصر أيضاً كقوله تعالى: ( كَلَّمَحَ بِالْبَصْرِ ) (القم:٥٠)، وقوله تعالى: ( لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ) (الأأنعام:١٠٣)<sup>٧٥</sup>، وأما معنى: قوة القلب المدركة فهي البصيرة<sup>٧٦</sup>، وهي القوة المنتجة للعبارة. قال تعالى: ( ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونِ الأُولَى بِصَائرٍ لِلنَّاسِ ) (القصص:٤٣).

أقول: والبصر في القرآن الكريم يفسر على جهتين: أحدهما من حيث كونه حاسة، وثانيهما: من حيث المقصد والنهاية، وهو بهذه الجهة تسعة وجوه في القرآن الكريم كما

٧٠ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ٨ / ١٦٢، ط دار صادر بيروت، أولى.

٧١ - الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن، ص ٤٢٥ مادة سمع، تحقيق صفوان داودي، ط دار القلم ١٤١٢ هـ دمشق.

٧٢ - انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٤٢٥ مادة سمع، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٣ / ٢٥٧ - ٢٦٠، ط المكتبة العلمية، بيروت، لسان العرب ٨ / ١٦٢.

٧٣ - بصائر ذوي التمييز ٣ / ٢٥٨.

٧٤ - انظر: لسان العرب ٤ / ٦٤ مادة بصر. ونقله عن ابن سيده. المفردات في غريب القرآن ص ١٢٧ مادة بصر.

٧٥ - انظر: لسان العرب ٤ / ٦٤، المفردات في غريب القرآن ص ١٢٧، بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٢

٧٦ - بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٢.

ذكرها الفيروزآبادي (٨١٧هـ) في بصائره<sup>٧٧</sup>، كما أنه يفرد البصر عندما يكون المراد إِبصار مفرد بعينه بقصد، ويجمع عندما يراد منه العموم، وبيان ذلك كله:

أولاً: البصر حاسة من حيث المعنى، مفرد من حيث اللفظ، ويراد به وجوه من حيث المقصد: قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾<sup>(٢)</sup> ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ<sup>(٤)</sup> ﴿الملك: ٣ - ٤﴾  
بصر النظر والحجة.

قوله تعالى: (ما زَاغَ الْبَصَرُ وما طَفَىٰ) (النجم: ١٧)، بصر الأدب والحرمة.  
قوله تعالى: (وما أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ) (القمر: ٥٠)، بصر للتعجيل والسرعة.  
قوله تعالى: (فَإِذْ أَبْرَقَ الْبَصَرُ) (القيامة: ٧)، بصر الحيرة والحسرة.  
قوله تعالى: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) (الجاثية: ٢٣)، بصر للعمى والجهالة في الكافر.  
قوله تعالى: (إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) (الإسراء: ٣٦)، بصر سؤال عن الحجة والطاعة والمعصية.  
ثانياً: البصر: حاسة من حيث المعنى، جمع من حيث اللفظ، ويراد منه وجوه من حيث المقصد: قوله تعالى: (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ) (الأحقاف: ٢٦)، بصر في عدم الفائدة والمنفعة.

قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (النحل: ١٠٨)، بصر للغى والغفلة.

قوله تعالى: (فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ) (محمد: ٢٣)، بصر للغطاء واللعنة.  
قوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الأنعام: ١٠٢)، بصر لإبعاد المنكرين عن اللقاء والرؤية.  
قوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً) (البقرة: ٧)، بصر ختم للخسارة.

قوله تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) (الحشر: ٢)، بصر للنظر والعبرة.

ولم يرد في القرآن الكريم السمع جمعاً قط، سواء اقترن بالبصر أم لم يقترن به، وإنما جاء مفرداً مضافاً ومنكراً ومعرفاً، وقد ذكر ابن عاشور سبب إفراد السمع وجمع الأبصار فقال: (وأفرد السمع لأنه مصدر فهو دال على الجنس الموجود في جميع حواس الناس، وأما الأبصار فجيء به جمعاً؛ لأنه اسم؛ فهو ليس نصاً في إفادة العموم لاحتمال توهم بصر مخصوص، فكان الجمع أدل على قصد العموم، وأنفى لاحتمال العهد)<sup>٧٨</sup>.

٧٧ - بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٤، ومقاصد البصر الواردة بعد هي من نفس المصدر. وينظر في ذلك للتوسع أيضاً: الخطيب، د. عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن ٦ / ١٠٠١، ١٠٠٢، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

٧٨ - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ١١ / ١٥٦، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.

وهذا تعليل من حيث المعنى المقتضي من اللغة، وقد يستخرج من الأفراد والجمع فوائده متعددة بالنظر إلى عموم مسافات الآيات الوارد فيها السمع والأبصار، فنقول: إن مدركات كل حاسة تختلف عن الأخرى، فمدركات السمع شيء واحد فقط ألا وهو الصوت، وأما مدركات البصر فهي كثيرة، فالكون المحسوس كله يقع تحت إدراك البصر فالشمس والقمر والنجوم، والشجر والحجر والمياه، والطيور والحشرات.. الخ كلها مدركة للبصر متغايرة بالجنس والنوع فهي أبصار<sup>٧٩</sup>.

كما أن السمع لا يستطيع أن يضبط أكثر من مسموع واحد يفهم منه ويعي عنه، فإذا تداخلت الأصوات واختلطت ذهب إدراك السمع وصار شتاتاً ينقلب على صاحبه مقتاً ونكداً.

أما البصر فإنه ينقل كثيراً من المرئيات في حال واحدة، ويحتفظ لكل مرئي بصورته، دون أن تختلط بغيرها، وينقلها إلى الإدراك منفصلة، كما ينقلها إليه متصلة؛ فهو - من هذه الجهة - أبصار، وليس بصراً واحداً، ولذلك ذكرنا فيما سبق أنه عندما يراد إبصار شيء بعينه قصداً فإن القرآن يفرد البصر كما في قوله تعالى (فارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) (تبارك: ٤)، فقد أمر البصر هنا بالنظر إلى شيء واحد ألا وهو السماء دون غيرها فأفرده، والله أعلم.

### المطلب الثاني: الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار:

ذكرنا فيما سبق معنى السمع والأبصار ووجوه تصريفها في القرآن الكريم، وقد لاحظنا في الآيات السابقة اطراد تقديم السمع على الأبصار مما طرح تساؤلاً للبحث حول بيان هذه الظاهرة؛ وهل الواو أفادت الترتيب وبالأخص في الآيات التي جاءت في مساق بيان قدرة الله تعالى ووحدانيته في خلق الإنسان، والآيات هي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأَمْرَ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١) يونس: ٣١ ومعنى: (أمن يملك السمع والأبصار) أي: من جعل لكم القوة السامعة والقوة الباصرة، وخلقهما لكم، ومن يقدر على خلقهما على الحد الذي سويًا عليه من الفطرة العجيبة، ويحميها من الآفات على كثرتها<sup>٨٠</sup>.

قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

٧٩ - ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٠٤.

٨٠ - انظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ٨ / ٢٣٥، تحقيق: سمير البخاري ط دار عالم الكتب السعودية ٢٠٠٣، ابن

كثير ٤/٢٦٦، التحرير والتنوير لابن عاشور ١١ / ١٥٦.

وَالْأَفْئِدَةَ لَكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل: ٧٨).

قوله تعالى: ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (المؤمنون: ٧٨).  
 (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (السجدة: ٩).  
 (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (الملك: ٢٣).

لقد جاءت هذه الآيات في سياق عام واحد ألا وهو ذكر دلائل عظمة الله تعالى ووحدانيته وقدرته وكمال صفاته سبحانه، ففيها إقامة الحجة على المشركين أن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت، القادر..

والمنة في الآيات بالحواس؛ والأعضاء داخلة في ذلك ضمناً لأنها محالها، كما أن محل حصول المعرفة وقيام الحجة بالحواس أصلاً لا بالأعضاء فقط، فما فائدة أن يكون للإنسان عين لا يبصر بها وأذن لا يسمع بها وقلب لا يعقل به، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا (الأعراف: ١٧٩).

وفي هذه الآيات ثلاث مسائل: إحداها: إننا نجد في الآيات السابقة أسلوبيين في التعبير عن خلق السمع والبصر، أحدهما بلفظ الإنشاء كما في آية المؤمنون: ٧٨) في قوله تعالى: (أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)، و أما في باقي الآيات السابقة فقد عبر القرآن عن خلق السمع والبصر بالجعل.

والسبب في ذلك - والله أعلم - أن في آية المؤمنون كان المراد الاحتجاج بخلق السمع والأبصار قصداً على انفراد الله تعالى بصفات الإلهية والامتنان بما منح الناس من نعمة لعلمهم يشكرون بتخصيص الله تعالى بالعبادة، ولذلك يذكر ابن عاشور في تفسيره أن هذه الآية إما معطوفة على قوله تعالى (وإنَّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً (المؤمنون: ٢١)، للعودة على الغرض الأول، أو أن الآية استئنافية رجوعاً لغرض الاستدلال والامتنان<sup>٨١</sup>، ولذلك اختار القرآن لخلق السمع والأبصار في هذه الآية قوله «أنشأ»، لأن معناها (إحداث الشيء وتربيته)<sup>٨٢</sup>.

أما في باقي الآيات فقد كان الامتنان والاحتجاج على صفات الله تعالى بخلق الإنسان عموماً، ثم خصص ذكر السمع والأبصار بالذكر من بين خلق الإنسان عموماً لعجيب الفطرة التي فطرهما الله عليها وبديع الصنع الذي فيهما، واستناد الحجج القائمة على وجود الله تعالى ووحدانيته على سلامتهما، ولذلك اختار القرآن لخلق السمع والأبصار

٨١ - انظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٠٣.

٨٢ - انظر: المفردات للراغب ص ٨٠٧ مادة نشأ.

لفظ «جعل»، فالجعل (لفظ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أحواتها)<sup>٨٢</sup>، وبالفارق بين المفردتين «أنشأ وجعل» تدبر **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾** (٢٣) الملك: ٢٣

المسألة الثانية: المفسرون على أن جعل السمع والبصر والأفئدة في بطون الأمهات قبل الولادة<sup>٨٤</sup>، قال أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ): (وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدم وتؤخر)<sup>٨٥</sup>، وقال البغوي (ت ٥١٠هـ): (لا تعلمون شيئاً) (تم الكلام، ثم ابتداء فقال جل وعلا) **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ** لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج)<sup>٨٦</sup>،

ويقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): (وليس فيه دلالة على تأخر الجمع المذكور عن الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب، على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء ألا تتحصّلون بها العلم والمعرفة)<sup>٨٧</sup>.

المسألة الثالثة: في تقديم السمع على البصر، ودلالة الواو: وقد تقدم القول أن هذه ظاهرة مطردة في القرآن الكريم، ولما كانت الآيات التي ذكر فيها خلق السمع والأبصار في مساق آيات خلق الإنسان فكان ذلك إشارة إلى حصول خلقهما؛ أي إن خلق السمع يتقدم على خلق الأبصار في الجنين ولبيان ذلك انظر الجدول الآتي الذي يبين مراحل خلق كل من الحاستين في الجنين<sup>٨٨</sup>:

٨٢ - انظر: المفردات للراغب ص ١٩٧ مادة: جعل.

٨٤ - انظر: ابن جرير ١٧ / ٢٦٦،

٨٥ - نقله ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير ٤/٣٤٧، تحقيق محمد عبد الله، السعيد زغلول، ط دار الفكر بيروت، أولى ١٤٠٧هـ.

٨٦ - البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل ٥/٣٤ تحقيق: محمد النمر، عثمان ضيمرية، سليمان الحرش، ط دار طيبة للنشر، الرابعة ١٤١٧هـ.

٨٧ - أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/١٣١، ط دار إحياء التراث.

٨٨ - انظر إضافة للمراجع المذكورة في أسفل الجدول عند كل حاسة: د. شفيق عبد الملك، تكوين الجنين، من ص ١٨٠ إلى ص ١٩٦، ط المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الثانية ١٩٧٦.

The Biology of Prenatal Development، ”بيولوجية التطور في مرحلة قبل الولادة على موقع“: [http://www.ehd.org/resources\\_bpd\\_documentation.php?language=4](http://www.ehd.org/resources_bpd_documentation.php?language=4)

وتبيين التطور التدريجي للحواس عند الجنين على الرابط:

[http://www.ct4women.com/pc\\_development.html](http://www.ct4women.com/pc_development.html)

وينظر للتوسع: John F. Cogan. SCIENCE SHEDS LIGHT ON UNBORN HUMAN LIFE، ”أكواخ العلم الضوء على حياة البشر الذين لم يولدوا بعد“: بحث مستفاد من الشبكة العنكبوتية على موقع: [www.ct4women.com](http://www.ct4women.com)

مراحل تخلق البصر في الجنين	مراحل تخلق السمع في الجنين
<p>تظهر حويصلة الإبصار البدائية في منتصف الأسبوع الثالث الرحمي، وفي الأسبوع الرابع تبدأ خلايا حويصلة الإبصار تتباين من جدار حويصلة المخ الأمامي، وفي أواخر الأسبوع الرابع وأوائل الخامس يبدأ ظهور عدسة العين كثخانة تشبه القرص في الطبقة الأديمية الخارجية، وفي الأسبوع الخامس تبدأ حويصلة الإبصار في الانغماد فتتخذ شكل كأس ما تلبث حوافه العلوية والسفلية (الطبقة الأديمية الخارجية) بالالتصاق بشكل كامل بنهاية الأسبوع السادس، تنمو الأجنان العلوية والسفلية بسرعة بين الأسبوع السابع والثامن وتكتمل وتلتصق مع بعضها بالأسبوع العاشر لتعود وتتباعد عن بعضها بين الأسبوعين ٢٠ و ٢٣،</p>	<p>في مستهل الأسبوع الثالث تتشكل نواة الجهاز السمعي على شكل ثخانة بسيطة على جانبي الرأس، وفي آخر الأسبوع تبدأ هذه الثخانة أكثر وضوحاً، ثم تتحول إلى حفرة ثم إلى حويصلة وذلك بعد الأسبوع الرابع الرحمي، وفي أثناء الأسبوع الرابع الرحمي يُحاط العرف العصبي بالطبقة الأديمية المتوسطة في منطقة المخ الخلفي لتكون العقدة السمعية البدائية التي تتحكم بالاتزان، وعقدة أخرى تتحكم بالسمع تسمى العقدة الحلزونية أو السمعية.</p>
<p>تبدأ الشبكية بالتشكل من الطبقة العصبية بالأسبوع السادس بينما يكتمل شكل العصب البصري بالأسبوع التاسع، تستمر الشبكية بالتمايز والتطور حتى الأسبوع ٢٢، تتشكل طبقة الشبكية التي لها دور محوري ومهم بالرؤية بالأسبوع ٢٠ وتتشكل اللطخة بمركزها بالأسبوع ٢٤</p>	<p>وفي خلال الأسبوع السابع تتشكل الأذن بالمرور في عدة مراحل من انبعاجات وقنوات واستطالة قناة القوقعة لتكون نواة العقدة الحلزونية للقوقعة</p>

<p>في الشهر الثاني الرحمي يبدأ ظهور ألياف شفافة بين قاع الكوب البصري والسطح الخلفي للعدسة وهذه الألياف هي نواة الجسم الزجاجي، وفي الشهر الثالث الرحمي تكون حويصلة الإبصار قد أفرزت من المخ بواسطة ساق صغيرة تسمى السويقة البصرية</p>	<p>بين الأسبوع العشرين والأسبوع الثالث والعشرين تصبح قوقعة الأذن التي هي عضو حاسة السمع كاملة ويبلغ حجمها حجم قوقعة البالغ بداخل الأذن الداخلية الكاملة، ومن الآن فصاعداً فإن الجنين سيستجيب لعدد متزايد من الأصوات</p>
<p>بنهاية الأسبوع ٢٤ تبدأ الأجفان بالفتح، وبنهاية الأسبوع ٢٦ تبدأ العينان بإفراز الدموع، وتستجيب حلقات العين للضوء اعتباراً من الأسبوع ٢٧ وهذه الاستجابة تنظم كمية الضوء التي تصل إلى الشبكية طوال الحياة.</p>	<p>بنهاية الأسبوع ٢٤ يظهر الجنين استجابة إجمالاً للأصوات المفاجئة الصاخبة، ويكون هذا مبكراً عند الجنين الأنتى، ويورد كثير من الباحثين أن الضوضاء الصاخبة قد تحدث ضرراً على صحة الجنين وقد يكون لها آثار مباشرة عليه كازدياد سرعة دقات القلب وإفراط في البلع، وتغيرات سلوكية مفاجئة، وقد يكون للضوضاء الصاخبة آثار مستقبلية طويلة الأجل تتمثل بفقدان السمع.</p>
<p>في تمام الشهر السابع يكمل تكوين طبقات الشبكية ويكتمل تكوين العصب البصري</p> <p style="text-align: center;"><b>المراجع</b></p> <p>1- "A textbook of clinical ophthalmology" المؤلف R. Pitts Crick &amp; Peng Tee Khaw: صفحة: 43 إلى 50 الطبعة رقم: 3 سنة: 2003</p> <p>2- "The eye: basic sciences in practice" المؤلف John V. Forrester: الطبعة رقم: 2 سنة: 2002 صفحة: 99 إلى 113</p>	<p>بنهاية الأسبوع ٢٨ يمكن للجنين أن يميز بين الأصوات ذات الحدة المرتفعة والمنخفضة.</p> <p style="text-align: center;"><b>المراجع</b></p> <p>1- "Essential Otolaryngology: head &amp; Neck Surgery" المؤلف Keat Jin Lee: الطبعة رقم: ٨ سنة: ٢٠٠٣ صفحة: ١١ إلى ٢٢</p> <p>2- "Developmental neurocognition: speech and face processing in the first year" المؤلف Bénédicte de Boysson-Bardies: الطبعة رقم: 1 سنة: 1993</p>

وبذلك نتبين أن وظيفة السمع عند الجنين تصبح جاهزة للعمل والقيام بمهامها في الشهر الخامس من عمر الجنين، فيسمع أصوات حركات أمعاء ونبضات قلب أمه، وتتولد إشارات سمعية في أذنه الداخلية، أما العين فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع السابع والعشرين من الحمل، أي قريباً من سبعة أشهر من الحمل، وهذا كله يعني أن نضوج حاسة السمع وأعضائها تسبق بكثير نضوج حاسة البصر وأعضائها في الخلقة، وتقديم السمع على البصر في هذه الآية وشببياتها من آيات كتاب الله تعالى تدل لذلك - دلالة إشارة النص -، وهذا توجيهه للآية قوي، وقرينة واقعية في اعتبار الواو لترتيب الخلق والتكوين.

وقد يعترض عليه بأن هذا الاستدلال يؤخذ عليه أن السياق لا يساعد عليه في الآية هنا وذلك لأن السمع والبصر لا يحصلان بدون العقل، وهو على هذا مخلوق قبلهما فلماذا تأخر ذكره عنهما إذن؟

أقول: يجاب على ذلك أننا ذكرنا بأن المنة بالحاسة والأثر لا بالعضو فقط، والطفل - وإن كان يسمع في بطن أمه - إلا أنه لا يعقل، وإن كان يرى بعد الولادة بزمن إلا أنه لا يعقل إلا بعد أشهر، فإثر العقل لا يحصل إلا بعد الولادة، كما يقول ابن جرير: (وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم)<sup>٨٩</sup>، أي بعد تمام خلق السمع والبصر، وإن كانت محال التعقل مخلوقة ولكنها غير مدركة إلا بعد الولادة، وعلى هذا تكون الواو بين هذه المذكورات للترتيب والله أعلم. ولذلك يقول أبو السعود: (على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء ألا تتحصّلون بها العلم والمعرفة بأن تحسّوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرار الإحساس في حصل لك معلّم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية)<sup>٩٠</sup>،

ويقول ابن عاشور (ت ١٩٧٣م): (ثم ذكر بعدهما الأفتدة، أي العقل مقر الإدراك كله، فهو الذي تنقل إليه الحواس مدركاتها، وهي العلم بالتصوّرات المفردة)<sup>٩١</sup>. ويصير المعنى على ذلك وجعل لكم السمع والبصر، وجعل لكم أيضاً آثار كمالهما من انتقاد الأفكار وحصول العلم بهما، فتحصّل العلم والتعقل بالسمع والبصر حاصل بعد كمالهما والله أعلم.

٨٩ - ابن جرير: ٢٦٦/١٧.

٩٠ - أبو السعود ١٣١/٥.

٩١ - التحرير والتنوير ٢٣٣/١٤.

## الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن المعلومات الطبية في تكون الجنين بينت لنا سبباً قوياً من أسباب اطراد تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم، ورجحت هذه المعلومات الثابتة عند أهل التخصص - بعد التحقق منهم على ثبوتها - أن الواو بين السمع والأبصار للترتيب، وهذا الترتيب حمل إشارة لترتيب تكوين حاسة السمع على البصر في الجنين - إشارة النص -، ويقوي هذا الاستدلال مجيء هذا الترتيب في سياق الآيات التي ذكرت الحجة على وحدانية الله وقدرته في خلق الإنسان، وأما تأخير ذكر الفؤاد فلأن إدراكه وتعلقه لا يحصل إلا بعد الولادة وإن كان وجوده من حيث الأصل قبل خلق السمع والبصر ليكون هذا البيان دليلاً على وحدانية الله وربانية القرآن، وبذلك ندرك إعجازاً بيانياً وعلمياً من إعجاز القرآن الكريم والله أعلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## خاتمة البحث: أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله تعالى الذي أعان على تنمة البحث، وأسأله أن يتم نعمته علينا بالقبول، وبعد: بعد هذه الجولة في منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي؛ لا بد من تسجيل أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً: أهم النتائج:

١- يغلب على المؤلفات في التفسير والإعجاز العلمي بطريقة التفسير الموضوعي الخلل من جانبين أو من أحدهما: إما من الجانب العلمي الشرعي بطريقة فهم النصوص والاستدلال والتعامل مع كتب التفسير، وهذا يعود لعدم تخصص الكاتب بالعلوم الشرعية وخاصة منها التفسير، أو من جهة الخلل العلمي بتوظيف العلوم الكونية واختيار المعلومة الصحيحة، وهذا يعود لعدم تخصص الكاتب بالعلم الكوني للقضية المبحوث فيها.

٢- يمر التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي بمراحل أساسية وهي أ. اختيار الموضوع: وينبغي أن يكون الموضوع له وجود في القرآن الكريم، وأن يكون الباحث متمكناً في موضوعه ومقتنعاً به، ويضع له عنواناً مناسباً.  
ب. وضع خطة منهجية للبحث.

ج. الاستقراء والجمع: بسبب غور الآيات المتعلقة بالقضية المبحوثة، وهذا الاستقراء على نوعين إما تام وإما غير تام، وغالباً ما يستعمل غير التام في المقالات العلمية المختصرة حيث يقتصر فيها على أهم الآيات وأشملها للتدليل على جزئية معينة.

د. ترتيب الآيات وتصنيفها: ولا يشترط في الترتيب أن يكون على المكي والمدني وإنما على توافق المواضيع الكلية والجزئية ولا مانع من تكرار الآية إن كانت تحمل أكثر من موضوع في ضمنها.

هـ. البحث التفسيري: وهو لب البحث العلمي الذي ينبغي أن يوليه الباحث اهتماماً بالغاً، ويتمثل هذا البحث في أمرين: قراءة تفسيرية تحليلية للآيات، ثم صياغة نهائية للبحث العلمي، ويجب أن يراعي الباحث في هذه المرحلة المسائل الآتية:

- الاهتمام بأسباب النزول إن وجد لأنه يساعد على فهم المعنى.
- الاهتمام باللغة العربية وعلومها بما يخدم التفسير وبيان وجه الدلالة والاستدلال.
- الاهتمام بالسياق القرآني، والسياق قسمان: سياق عام يتمثل بمعرفة مقاصد القرآن، وسياق خاص يتمثل بمعرفة مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها ومناسبة الجمل والمفردات لبعضها.
- الاهتمام بالمنقول، أي بما ورد في الآية من تفسير نبوي وآثار السلف الصالح في التفسير، وأما منهج التعامل معها فهو باختيار ما يناسب البحث من ذلك والاقتصار على ما يوضح المعنى، وينبغي الحذر من الإسرائيليات فليست من طرق التفسير وخاصة في مجال التفسير العلمي للقرآن.
- ٣- منهج التعامل مع العلوم الكونية: أما في التفسير العلمي يجوز الاستشهاد بالنظريات العلمية ذات البرهان العلمي؛ وبالحقائق من باب أولى، أما في الإعجاز العلمي فلا يجوز الاستشهاد إلا بالحقائق العلمية الثابتة، وينبغي أن يقتصر الباحث على المعلومات التي تتعلق ببحثه دون تفصيل لا يحتاج له البحث، وأن تكون مصادره العلمية موثقة من أحدث المصادر العلمية متخصصة.
- ولا يجوز الاستشهاد بالفرضيات والتصورات وإن دخلت في الدلالة القرآنية بل ينبغي الاقتصار على الدلالة اللغوية فقط لأن الحجة فيها.

٤. أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ذات طابع تخصصي وجماعي، فيجب على المفسر المتخصص أن يستعين بأهل التخصص في القضية المبحوثة

فيها ويجب على المتخصص في العلوم الكونية أن يرجع لأهل التفسير والاستنباط في توجيه الاستدلال وتصحيح مسار البحث.

### ثانياً: التوصيات:

- ١- تشجيع الأبحاث العلمية الجادة والمتخصصة في التفسير والإعجاز العلمي ودعمها ومتابعتها وخاصة منها التي تعنى بالجانب النظري والعملي.
  - ٢- إنشاء مركز أبحاث متكامل من لجان علمية متخصصة في العلوم الشرعية والعلوم الكونية المختلفة لدراسة موضوعات القرآن الكريم في القضايا الكونية وفق منهج التفسير الموضوعي تكون القضايا القرآنية هي الأصل في الدراسة وفق ضوابط التفسير وقواعده، ويستنبط بذلك من القرآن قضايا علمية تنهض بالأمة من جديد.
  - ٣- تقرير مادة ضوابط التفسير والإعجاز العلمي في الكليات والمعاهد الشرعية.
- والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والمراجع:

- ١- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر شريف، محمد إبراهيم ، دار التراث، القاهرة، أولى ١٩٨٢م.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق مكتب الدراسات القرآنية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ.
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط دار إحياء التراث.
- ٤- إشارات الإعجاز في مظان المجاز النورسي، سعيد، ط: دار المحراب تركيا.
- ٥- الإشارات العلمية في القرآن الكريم، الشيخ محمد وفا الأميري طباعة دار الرضوان حلب الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٦- البحر المحيط في أصول الفقه الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق د. محمد محمد تامر ط دار الكتب العلمية، أولى ١٤٢١هـ
- ٧- البرهان في علوم القرآن الزركشي، محمد بن عبد الله ، تحقيق المرعشلي، ط دار المعرفة.
- ٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ط المكتبة العلمية، بيروت.
- ٩- التحرير والتنوير ابن عاشور، محمد الطاهر ، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، محمد بن إسماعيل ، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط دار طيبة ١٩٩٩.
- ١١- التفسير القرآني للقرآن الخطيب، د. عبد الكريم، ط دار الفكر العربي، القاهرة.
- ١٢- التفسير الكبير. الرازي ط دار إحياء التراث العربي.
- ١٣- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم ط مصر ١٤٠٢هـ.
- ١٤- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ط: دار محمد الأمين دمشق، الأولى ٢٠١٠م.
- ١٥- تكوين الجنين د. شفيق عبد الملك، ط المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الثانية ١٩٧٦.
- ١٦- تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية محمد بخيت المطيعي، تقديم: عبد الرحمن عيسى ط مكتبة أحمد ربيع، حلب ١٩٦٩م.

- ١٧- جامع البيان في تفسير القرآن الطبري محمد بن جرير تحقيق أحمد شاکر، ط الرسالة ٢٠٠٠م.
- ١٨- جامع الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري ط دار عالم الكتب السعودية ٢٠٠٣
- ٢٠- الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث د.كارم السيد غنيم، د.عبد العظيم محمد الجمال، ط دار الصحوة مصر، ١٩٨٨م.
- ٢١- الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم لصلاح الدين عارف جنيد، ط مطبعة الزرعي دمشق أولى ١٩٩٩م.
- ٢٢- زاد المسير في علم التفسير، ابنا الجوزي عبد الرحمن بن علي تحقيق محمد عبد الله، السعيد ز غلول، ط دار الفكر بيروت، أولى ١٤٠٧هـ.
- ٢٣- السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ط: دار المعرفة، ثانية ٢٠٠٥م.
- ٢٤- الطب في القرآن، د.محمد جميل الحبال، د. وميض العمري ط دار النفائس، بيروت، الأولى ١٩٩٧م.
- ٢٥- العلوم الفلكية في القرآن الكريم، د. سيد وقار أحمد حسيني، ط دار طلاس سوريا ١٩٩٦م.
- ٢٦- العلوم في القرآن الكريم الدكتور محمد جميل الحبال الدكتور مقدم مرعي الجوارى طباعة دار النفائس، بيروت أولى ١٩٩٨م.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، الحبنكة، الشيخ عبد الرحمن دار القلم دمشق، الثالثة ٢٠٠٤.
- ٢٧- لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم، ط دار صادر بيروت، أولى.
- ٢٨- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان الألوسي، محمود شكري تحقيق: زهير شاويش، ط المكتب الإسلامي، أولى ١٩٦٠.
- ٢٩- مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم، ط دار القلم دمشق الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٣٠- المدخل إلى التفسير الموضوعي، فتح الله السعيد، د. عبد الستار، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الثانية، ١٩٩١م.
- ٣١- معالم التنزيل البغوي، الحسين بن مسعود تحقيق: محمد النمر، عثمان ضيمرية، سليمان الحرش، ط دار طيبة للنشر، الرابعة ١٤١٧هـ.
- ٣٢- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق صفوان داودي، ط دار القلم ١٤١٢ هـ دمشق.
- ٣٣- المفهوم العلمي لجبال في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ط دار الشروق الدولية مصر، أولى ٢٠٠٢م.

- ٣٤- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، د.حسن أبو العينين ،ط مكتبة العبيكان السعودية، أولى ١٩٩٦م.
- ٣٥- المنجد في اللغة والأعلام ط: دار المشرق بيروت ١٩٩٢.
- ٣٦- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، رشواني، د. سامر عبد الرحمن، ط: دار الملتقى حلب الأولى ٢٠٠٩م.
- ٣٧- الموافقات الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي ، تحقيق: مشهور آل سليمان، ط دار ابن عفان لأولى ١٤١٧هـ.
- ٣٨- المياه في القرآن، منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية أحمد عامر الدليمي ط دار النفائس، بيروت أولى ٢٠٠٢م.
- ٣٩- النبات في القرآن الكريم د. زغلول النجار، ط مكتبة الشروق الدولية مصر، ثانية ٢٠٠٥.

### ثانياً: المراجع الطبية الأجنبية :

- 1- "Essential Otolaryngology: head & Neck Surgery".Keat Jin Lee:8-2003
- 2- "Developmental neurocognition: speech and face processing in the first year" Bénédictte de Boysson-Bardies1993 :
- 3- A textbook of clinical ophthalmology"R. Pitts Crick &Peng Tee Khaw: 2003 3- :
- 4- "The eye: basic sciences in practice"John V. Forrester2002 2- :

### ثالثاً: مقالات علمية ودوريات:

- ١- أبحاث الإعجاز العلمي ذات طبيعة متخصصة وعمل جماعي، مقال نشر في مجلة الحقيقة الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي مكة المكرمة التابعة لرابطة العالم الإسلامي العدد الثاني عشر، ذي القعدة ١٤٣٠ هـ
- ٢- السياق عند الأصوليين، المصطلح والمفهوم د. فاطمة بوسلامة، مجلة الإحياء، العدد ٢٥ جمادى الثاني ١٤٢٨هـ.
- ٣- دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، سعيد حمود اليامي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٢٣، رجب ١٤٢٣هـ

### رابعاً: مواقع على الشبكة العنكبوتية :

<http://www.ehd.org>

<http://www.ct4women.com>

## الإعجاز القرآني في تركيب الجلد

د. حامد أحمد عبد اللطيف محمد<sup>(١)</sup>

### ملخص البحث

تناول البحث الموسوم بالإعجاز القرآني في تركيب الجلد، ما قاله المفسرون عن تجدد جلد الإنسان المعذب في النار، حيث اختلف المفسرون في ذلك، بعضهم قال إنه يتجدد، والبعض الآخر قال عن الجلد هي السراويل، وأوضح القرآن الكريم أن الجلد هو مركز الإحساس، الأمر الذي يتفق مع ما نتج عن علم التشريح الحديث، وأوضح العلم الحديث أن الجلد المحترق حروقاً عميقة يفقد الإحساس بالألم بسبب احتراق النهايات العصبية الموجودة في الجلد، وهذه إشارة علمية كان السبق فيها للقرآن الكريم، وهذا يمثل شاهداً إضافياً على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما تطرق الباحث إلى وظائف الجلد المختلفة ومدى التلاؤم بين التركيب والوظيفة. يتكون البحث من ثلاثة مباحث استخدم فيه الباحث المنهج الوصفي التحليلي موضحاً آراء المفسرين ونتائج علم الأحياء الحديث.

١- أ.مساعد - كلية التربية جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

## الفصل الأول: خطة البحث الإعجاز القرآني في تركيب الجلد

### مقدمة:

من ينظر لجلد الإنسان نظرة سطحية يظن أنه مجرد غلاف خارجي يغطي اللحم من الخارج مثله مثل أي غلاف من البلاستيك أو الورق الذي يستخدمه البشر، لكن الدارس المتخصص يستشعر عظمة الخالق ويدرك أن هذا التصميم لا بد أن يكون لمصنع لا حدود لعلمه وقدرته، خاصة بعد تطور التقنيات العلمية ووسائل الفحص التشريحي الدقيق، وأن هذا العضو صمم ليؤدي وظائفه بصورة دقيقة. يتناول هذا البحث جانب الإعجاز للقرآن الكريم في تركيب الجلد ومدى تلاؤمه لأداء وظائفه المختلفة التي يقوم بها. استخدم الباحث الأسلوب الوصفي المقارن والمنهج التاريخي، ولقد توصل الباحث إلى أن ما توصل إليه العلم الحديث في علم التشريح من معارف عن تركيب الجلد يوافق ويتسق مع الوصف القرآني للإشارات غير المفصلة عن تركيب الجلد، مما يدل على أن هذا القرآن آت ومنزل من لدن حكيم خبير.

### أسباب اختيار الموضوع:

1. توضيح آراء المفسرين في تجدد جلد الإنسان المعذب في النار.
2. توضيح أوجه الإعجاز القرآني العلمي في تركيب الجلد.
3. مدى اتساق آراء المفسرين مع نتائج العلم التشريحي.
4. الإعجاز العلمي يعتبر خير محفز للمسلمين ليقوموا بالبحث العلمي في الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم.

### مشكلة البحث:

إلقاء الضوء على الاختلافات بين آراء المفسرين حول تفسير بعض الآيات التي ورد فيها تجدد جلد الإنسان المعذب في النار، ومدى توافق هذه الآراء مع ما توصل إليه علم التشريح الحديث.

### أسئلة البحث:

1. ماذا قال المفسرون عن تجدد جلد الإنسان؟
2. كيف يمكن المقارنة بين أقوالهم؟
3. ما هي المعلومات الناتجة عن علم التشريح الحديث؟
4. ما هي أوجه التوافق القرآني مع النتائج العلمية؟

## أهداف البحث:

توضيح المعجزات العلمية للقرآن الكريم في تركيب الجلد ومدى تلاؤمه للوظائف التي يؤديها، والمقارنة بين آراء المفسرين وعلم التشريح.

## منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي المقارن والمنهج التاريخي.

## مصطلحات البحث:

الإعجاز: مشتق من العجز أو الضعف أو عدم القدرة، ومصدره أعجز وهو بمعنى الفوت والسبق، المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

الإعجاز العلمي: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وأنها لم تثبت في عهد النبي صلى الله.

القرآنية: القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على محمد بن عبد الله صلى عليه وسلم، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

تركيب: (في علم الفلسفة) تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل.

جلد الإنسان: هو ذلك العضو الخارجي الذي يغلف جسم الإنسان.

طريقة جمع المعلومات: من القرآن الكريم، كتب التفسير، كتب التشريح، والمقاربات بينها.

حدود البحث: تركيب جلد الإنسان وأوجه الإعجاز القرآني العلمي فيه.

## هيكل البحث:

### الفصل الأول: خطة البحث.

الفصل الثاني: ماذا قال علماء التفسير عن تفسير الآية ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ) النساء: ٥٦

الفصل الثالث: ملائمة التركيب التشريحي للجلد لوظائفه وأوجه الإعجاز العلمي فيه.

الفصل الرابع: الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع.

## الفصل الثاني:

ماذا قال المفسرون في قوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ) النساء: ٥٦:

كانت الفكرة من وراء هذا البحث الاختلافات التي وجدها الباحث في تفسير الآية السابقة، حيث قال البعض كيف يعذب الله جلوداً لم تعصه، كان هذا الكلام هو الذي دفع الباحث ليقوم بهذا البحث.

### ماذا قال المفسرون في تفسير الآية السابقة؟

يقول ابن كثير: إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلوداً بيضاً مثل القراطيس. وقال يحيى بن يزيد الحضرمي: أنه بلغه في قوله تعالى (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) قال يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب، ويقول البغوي:

في تفسيره: روي أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقارئ أعدها؟ فأعادها، وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ: عندي تفسيرها: تبدل في الساعة مئة مرة، فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الطبري: العذاب إنما يصل إلى الإنسان هو غير الجلد واللحم، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب، أما اللحم والجلد فلا يألمان، قالوا: فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان عليه إذا كانت الجلود غير آلمة ولا معذبة إنما العذبة هي النفس البشرية التي تحس بالألم والتي يصل إليها الوجع، وفي كل ساعة مالا يحصى عدده ويحرق ذلك عليه ليصل العذاب إلى نفسه إذا كانت الجلود لا تألم.

وقال آخرون: في قوله تعالى (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) سراييلهم، بدلناهم سراييل من أجسامهم جعلت لهم جلوداً، كلما احترق القطران في أجسامهم واحترق بدلوا سراييل غيرها، وأما جلود أهل الكفر فإنها لا تحترق لأن في احتراقها فتاتها وفي فتاتها راحتها. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها: أنهم لا يموتون ولا يخفف من عذابها قالوا: وجلود الكفار أحد أجسامهم ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار جاز ذلك في جميع أجزائها، وإذا جاز ذلك وجب أن يكون جائز عليهم الفناء ثم الإعادة، والموت ثم الإحياء، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لا يموتون دليل واضح أنه لا يموت شيء من أجزاء أجسامهم والجلود أحد تلك الأجزاء.

يقول الشعراوي في تفسيره : الألم ليس للعضو وإنما للنفس الواعية، بدليل أننا عندما ارتقينا في الطب، قلنا أن النفس الواعية نستطيع أن نخدرها بحيث يحدث الألم ولا نشعر به، وهكذا فإن الجلود ليس لها شأن وإنما هي موصلة للمعذب، والمعذب هو النفس الواعية، بدليل أنها ستشهد علينا يوم القيامة، تشهد الجلود والجوارح، ستكون آلة لتوصيل العذاب للنفس الواعية (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا).

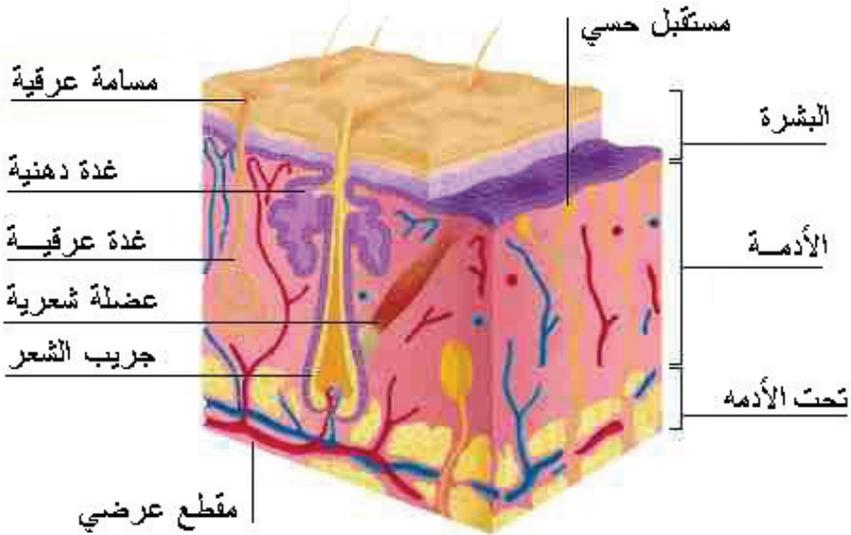
إن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم باقية بقاءً أبدياً متصلة به أبداً، أما معجزات كل رسول سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أدت مهمتها لمن رآها وانتهت. كما أوضح العلم الحديث أن المصاب باحترق كامل في الجلد لا يشعر كثيراً بالألم نظراً لاحتراق النهايات العصبية الناقلة للألم، بخلاف الحروق الأقل درجة يكون الألم على أشده، فتكون علة التبديل للجلود التي أحرقت بجلود جديدة كي يدوم العذاب.

قد يقول قائل كيف يعذب الله جلداً لم يعصه ؟ قيل ليس الجلد بمعذب ولا معاقب إنما الألم واقع على النفوس، لأنها هي التي تحس وتعرف، فتبديل الجلد زيادة في عذاب النفوس ولو أراد الله الجلود لقال ليذقن العذاب.

يقول الماوردي: إن العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد واللحم وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب، أما الجلد واللحم فلا يألمان فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان عليه أو جدد غيره، وقيل الجلود سرايلهم من قبل أن جعلت لباسهم فسمهاها الله جلوداً.

الكلام السابق لخصه الرازي الجصاص في ( قيل إن الله يجدد لهم جلوداً غير الجلود التي احترقت والقائلون بهذا يقولون أن الجلد ليس بعض الإنسان وكذلك اللحم والعظم، وأن الإنسان هو الروح اللابس لهذا البدن، ومن قال أن الجلد هو بعض الإنسان وأن الإنسان هو هذا الشخص بكماله فإنه يقول أن الجلود تجدد بأن ترد إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة، كما يقال لخاتم كسر ثم صيغ خاتم آخر هذا الخاتم هو غير ذاك الخاتم. وقال بعضهم التبديل هو للسرايل التي قد ألبسوها، وهو تأويل بعيد لأن السرايل لا تسمى جلوداً.

الكلام السابق هو كلام المفسرين رضي الله عنهم اجتهدوا وبينوا في تفسير الآية السابقة، ماذا يقول العلم الحديث في هذا الشأن ؟ لقد تطورت أدوات العلم وأجهزته ودرست تركيب الجلد دراسة دقيقة، هل الدراسات الحديثة تتفق مع ما قاله المفسرون؟ للوقوف على ذلك لابد من إلقاء لمحة على التركيب التشريحي للجلد.



### الفصل الثالث: التركيب التشريحي للجلد وأوجه الإعجاز العلمي فيه: مقطع طولي في جلد الإنسان

الجلد هو العضو الذي يغطي الجسم البشري وأجسام كثير من الحيوانات الأخرى، وظيفته الأساسية هي حماية الجسم ويعتبر أحد خطوط الدفاع ضد الجراثيم - الجلد يحمي الجسم من خلال خصائصه الفيزيائية، فهو يكون مقاوماً للبلل ويمنع نفاذ السوائل التي تغمر الجسم. يكاد يعتبر الجلد من أكبر أعضاء جسم الإنسان فلو نشرنا جلد ذكر يبلغ وزنه ٦٨ كيلو جراماً يغطي مساحة قدرها مترين. يتركب الجلد من ثلاث طبقات هي البشرة والأدمة والنسيج تحت الجلد.

#### ٣-١١ البشرة Epidermis:

يبلغ سمكها سمك ورقة ويتكون من أربعة طبقات من الخارج إلى الداخل - الطبقة المتقرنة، الطبقة الحبيبية، الطبقة الشوكية والطبقة القاعدية - الطبقة المتقرنة تتركب من ١٥-٤٠ صفاً من الخلايا الميتة- تمتلئ بمادة زلالية غير منفذة للماء تسمى الكيراتين ” القرنين“ وتتركب الطبقة الحبيبية من صف أو صفين من الخلايا الميتة التي تحتوي حبيبات صغيرة من مادة تسمى هلام كيراتين- أما الطبقة الشوكية تتركب من ٤-١٠ صفوف من خلايا حية لها زوائد شبه شوكية عند التقاء الخلايا ببعضها البعض - الطبقة القاعدية تتركب من صف واحد من الخلايا الحية وتشمل هذه الطبقة خلايا مكونة الصبغة تسمى الخلايا الميلانينية- تنتج صبغة بنية تسمى الميلانين.

الخلايا القاعدية تنقسم باستمرار مكونة خلايا جديدة- بعض هذه الخلايا يبقى في الطبقة القاعدية والآخر يتحرك نحو السطح الخارجي للجلد ويكون في النهاية الطبقات العليا للبشرة- وهذه تسمى الخلايا الكيراتينية وعند تحركها إلى أعلى تمتلئ بالكيراتين وعندما تصل إلى السطح تموت- تعطي الجلد المتانة والقوة وتمنع مرور السوائل وبعض المواد من خلال الجلد- في النهاية تنفصل وتسقط في شكل قشور رقيقة.



## ٣-٢ لون جلد الإنسان :

يتحدد لون جلد الإنسان من لون البشرة التي تحددها كمية أصباغ الميلانين الموجودة فيها، حيث يوجد في السنتيمتر المربع ما يقرب من ١٠٠٠٠ خلية صبغية، فهي ضرورية لحماية الجسم من الأشعة فوق البنفسجية، هذه الأشعة تدمر بعض أجزاء الشريط الوراثي DNA الموجود في أنوية الخلايا مما يسبب ظهور خلايا سرطانية في الجلد، على الرغم من الضرر الذي قد تحدثه هذه الأشعة إلا أنها ضرورية لتكوين فيتامين (د) الذي يلزم في تكوين العظام. تتباين الألوان بين الأبيض الفاتح والأسود الداكن، وهناك عاملان يؤثران في لون الجلد، العامل البيئي والعامل الوراثي. وهناك ارتباط وثيق بين لون الجلد والمنطقة التي يعيش فيها الفرد، المناطق الاستوائية المدارية أغلب سكانها من السود بينما المناطق القريبة من القطبين سكانها من البيض، سبحانه الله القائل ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ) الروم: ٢٢. ختام الآية يدل على أن هذه الآيات أكثر من يدركها هم العلماء المتخصصون، لأن هذه الاختلافات تعتمد على التركيب التشريحي الذي لا يدركه إلا العلماء، فالله سبحانه وتعالى يصور الإنسان في الأرحام وفق قانون إلهي. الإنسان الأفريقي الأسود يحمل أيضاً الجينات الخاصة بالبشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الزرقاء والخضراء.... الخ، والإنسان الطويل يحمل أيضاً جينات القصر، ويورث هذه الجينات لأبنائه، لكن الإنسان الإفريقي لا ينجب إلا أسوداً، يعود ذلك للعوامل البيئية والوراثية، فالجينات السود أنشط من البيضاء وسر نشاطها البيئية شديدة الحرارة وكثرة خمول الجينات البيضاء وتوريثها خاملة من جيل إلى جيل يؤدي إلى تعطيلها تماماً، وكذلك الحال بالنسبة لباقي الصفات الخاصة بتحديد الملامح الشكلية.

٣-٢ الأدمة:

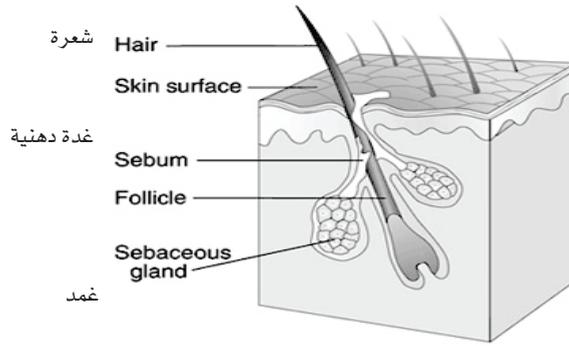
توجد في هذه الطبقة معظم المكونات التي تقوم ببقية وظائف الجلد والتي أهمها الإحساس بالأشياء التي تلامس الجسم وضبط حرارة الجسم، تحتوي الأدمة على الشعر الذي يتكون من بصيلة الشعر papilla of hair ومنها ينبت الشعر، ومن ثم غمد الشعرة hair follicle والذي يمتد من مكان البصلة إلى سطح البشرة، يرتبط بجراب الشعرة العضلة الناصبة hair erector muscle وهي تعمل على شد الجراب عند الحاجة مما يؤدي إلى انتصاب الشعرة من الوضع المائل، ويحدث ذلك عند التعرض للبرد أو الخوف.

شعر الإنسان يتكون من نوعين مختلفين، نوع خفيف بطيء النمو على شكل زغب فاتح اللون يكسو معظم أجزاء الجسم عدا الشفتين وراحة اليد أخصص القدمين، أما النوع الثاني فمن النوع الكثيف سريع النمو يكسو الرأس والحواجب والرموش والآباط والعانة بالإضافة للحية والشوارب عند الرجال مما يدل على أن هذا التصميم قد تم بفعل عليم خبير، إن بعض أجزاء الجسم قد بقيت مكسوة بالشعر كجلد الرأس والحواجب والرموش وقد تم تحديد هذه المناطق بشكل رائع ليبدو الإنسان في أجمل صورة. وعلى الرغم من أن الذكر والأنثى قد انحدرتا من أصل واحد إلا أن الأنثى جسمها يخلو من الشعر، إلا في مناطق محددة. لكن الرجل ميزه الله بشعر الجسم والحية والشارب. وقد اتضح أن ذلك مرتبط بالهرمونات الذكرية والأنثوية.

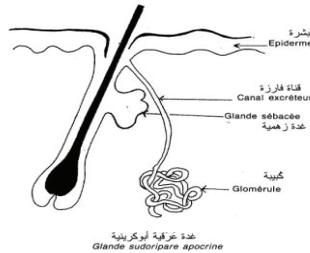
يقوم الشعر بعدة وظائف: منها: الحماية من الحر خلال امتصاصه لحرارة الشمس والحيولة دون دخولها إلى الجسم. أما الحماية من البرد فتتم عن طريقين: -أولاهما عمل الشعر كطبقة عازلة، إذا كان الشعر كثيفاً، وثانيهما من خلال انتصاب الشعر مما يعمل على حبس كمية من الهواء داخل جراب الشعرة فيعمل هذا الهواء المحبوس كطبقة عازلة تحول دون تسرب الحرارة من الجسم إلى الجو المحيط. الجدير بالذكر أنه ليس لكل جراب شعرة، هنالك بعضها ليس لها شعر، وهذا ضروري لإخلاء بعض مناطق الجسم من الشعر، وتستخدم هذه الأجرية الخالية من الشعر لإفراز الدهن من الغدد الدهنية. تتراوح كثافة الشعر بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شعرة في السنتيمتر المربع والشعر الكلي في فروة الرأس مئة ألف شعرة في المتوسط. لكل شعرة عضلة ناصبة تحركها، تخيل كم تكون حجم العضلة الناصبة إذا ما قورنت بحجم الشعرة؟ هذه الدقة في التركيب والتكامل في التركيب والوظيفة لا يستطيع أحد أن يقوم بها إلا الخالق وحده سبحانه.

حركة الشعر هذه وصفها القرآن الكريم في أروع صورة في قوله تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) الزمر: ٢٣ يقول ابن عبد السلام في تفسيره (تقشع من وعيده وتلين من وعده، أو تقشع من الخوف وتلين من الرجاء، أو تقشع من إعظامه وتلين القلوب عند تلاوته). ويقول الطبري في تفسيره (الذين آمنوا تقشع جلودهم من سماع تلاوة القرآن الكريم، وتلين جلودهم إلى العمل بما فيه، والتصديق به).

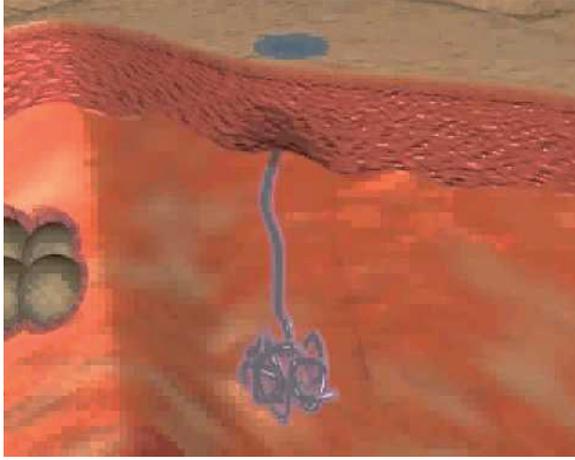
## الغدد الدهنية:



يحتوي الجلد على غدد دهنية ، تفرز مادة دهنية في جراب الشعرة تتسرب إلى سطح الجسم تعمل أولاً على تليين خلايا البشرة القاسية لكونها ميتة أو شبه ميتة وكذلك تليين الشعر وجعله لامعاً، وتعمل المادة الدهنية عندما تنتشر على سطح الجلد على منع دخول الماء وبقية السوائل وكذلك البكتيريا والفطريات إلى داخل الجسم. وعندما يقل إفراز المادة الدهنية فإن الجلد يصبح جافاً وخشناً، لذلك يلجأ الناس لاستخدام مختلف أنواع الزيوت لتليين جلودهم وشعورهم، وتتفاوت مناطق الجلد في عدد الغدد الدهنية الموجودة فيها، فهي أكثر ما تكون في الوجه والرقبة وشعر الرأس وقناة الأذن وحول الأعضاء التناسلية وشبه معدومة في راحة اليد وأخمص القدمين. وفي توزيعها هذا حكمة بالغة تدل على أن الذي وزعها عليهم خبير، فالوجه أكثر ما يراه الناس من الإنسان، لذلك أراد الله أن يكون أنعم، أما اليد والرجل أخلاهما الله من الغدد الدهنية ليتمكن الإنسان من الإمساك بالأشياء باليد دون أن تنزلق ويمشي على السطوح الناعمة دون أن يتزحلق. يتكون الدهن من خليط من الجلاسرید والأحماض الدهنية المتحررة والشمع والسكوالين وكولسترول واستر الكولسترول، يبلغ عدد الغدد الدهنية ٢٠٠-٩٠٠ غدة في السنتيمتر المربع.<sup>٢</sup>



٢- منصور أبو شريعة العبادي: إبداع الرحمن في جسم الإنسان، مرجع سابق ص ١٩٠-١٩١.



### الغدة العرقية :

غدة عرقية تفتح على سطح الجسم      غدة عرقية تفتح في جراب الشعرة

هنالك نوعان من الغدد العرقية، النوع الأول هي الغدة العرقية التي تنتشر في جميع أجزاء الجسم، وهي عبارة عن أنبوب طويل ملفوف عند قاعدة الأدمة ثم يستقيم أعلاه ليفتح عند سطح الجسم، العرق الذي تفرزه عبارة عن محلول مائي يشكل ملح الطعام أكبر مكوناته بعد الماء، وظيفته الأولى تبريد الجسم والتخلص من الأملاح. وتزداد هذه الغدد في راحة اليد وأخمص القدم، حيث أن قليلاً من الرطوبة يساعد على الإمساك بالأشياء وتساعد القدم الوقوف بثبات على بعض الأسطح. فسبحان الخالق المبدع الذي لم يخلق شيئاً في الجسم إلا وله من الوظائف ما يحير العقول. النوع الثاني من الغدد العرقية موجودة فقط في الإبط والعانة، تصب إفرازها في جراب الشعرة فيخرج إفرازها مع الغدد الدهنية. العرق الذي يخرج من هذه الغدد إلى جانب الملح يحتوي على أنواع معينة من البروتينات والكاربوهيدرات وهو عديم الرائحة عند خروجه إلا أن عند تكاثر البكتيريا فيه يعطي رائحة غير مرغوب فيها، تختلف من شخص لآخر. وظيفه هذا العرق غير معروفة على وجه الدقة ومن المرجح أنه يلعب دوراً في الإثارة الجنسية بين الأزواج والله أعلم. تبلغ كثافة الغدة العرقية ١٠٠ غدة في السنتيمتر المربع، أي يوجد في جسم الإنسان ما يقرب من مليوني غدة في السنتيمتر المربع في المتوسط. متوسط العرق الذي يفرز في اليوم الواحد لتراً واحداً في اليوم وقد يصل إلى أضعاف ذلك عند بعض الأشخاص.

وظائف العرق : عند تبخر العرق من سطح الجسم يعمل على امتصاص كمية من الحرارة

من الجسم فيبرد. ومن وظائفه حماية سطح الجسم من الجفاف والعمل مع الكلى على استتباب الماء والملح في الجسم، كذلك إخراج الأملاح الزائدة وبعض المواد السامة ويعمل على قتل بعض أنواع البكتيريا باستخدام إنزيمات موجودة في العرق. أما الشعيرات الدموية التي توجد في الأدمة فإن الوظيفة الأساسية هي تروية خلايا الجلد وتبريد الجسم، عند ارتفاع درجة حرارة الجسم تتسع الشعيرات لتمر خلالها كميات كبيرة من الدم الحار بالقرب من سطح الجلد، نتيجة للإشعاع يبرد الدم بالإضافة إلى تبخر العرق، يبرد الدم ويعود راجعاً إلى داخل الجسم.<sup>٤</sup>

أما المكون الخامس من مكونات الأدمة فهي المستقبلات الحسية، حيث يوجد منها ستة أنواع تستجيب لأنواع مختلفة من المؤثرات، ولقد صنف العلماء ثلاثة أنواع من رئيسة من المستقبلات الحرارية Thermo acceptor تستجيب للتغيرات في الحرارة والبرودة، والمستقبلات الميكانيكية تستجيب للمس الخفيف والضغط القوي والاهتزازات وحركة الشعر، ومستقبلات الألم تستجيب لأي ضرر قد يصيب الجلد، أبسط المستقبلات هي مستقبلات الألم، وهي عبارة عن نهايات عصبية حرة تستجيب لأي ضرر قد يصيب الجلد، مستقبلات الحرارة تسمى حوصلات رافيني، وهي عبارة عن شبكة من النهايات العصبية داخل حويصلة مغزلية بطول مليمتر واحد وتقع في منتصف الأدمة، عددها ستة عشر ألفاً مستقبل، موزعة في جميع أجزاء الجسم، مع زيادة في التوزيع في رؤوس الأصابع والأنف والشفاه والجبهة، وتوجد أعلى كثافة في رؤوس الأصابع لليد، حيث تبلغ ٧٥ مستقبل في السنتمتر المربع. أما مستقبلات البرودة أو فقدان الحرارة فتسمى كريات كراوس، وهي عبارة عن ليفة من النهايات العصبية المعراة موجودة داخل غشاء كروي وتقع على عمق نصف مليمتر من سطح الجلد، ويبلغ عددها مائة وخمسين ألفاً موزعة على جميع أجزاء الجسم

مع زيادة في التركيز في رؤوس الأصابع والأنف وتستجيب للنقصان في درجة الحرارة وليس لقيمتها المطلقة، وتبلغ أعلى استجابة لها عند ٢٠ درجة مئوية. أما مستقبلات للمس والضغط الخفيف فتوجد منها نوعان: أفراس ميركل عبارة عن خلايا متخصصة تسمى خلايا ميركل مرتبطة بنهايات عصبية موجودة في الطبقة القاعدية قريبة من البشرة، وتوجد أعلى كثافة لها في رؤوس الأصابع حيث تبلغ ٧٥٠ مستقبل في السنتمتر المربع الواحد. هذه النهايات بالغة الحساسية لأي شيء يلامس الجلد لأول مرة، ثم

٢- منصور أبو شريعة العبادي، إبداع الرحمن في جسم الإنسان .

٤- الموسوعة الحرة ويكيبيديا [https:// ar.wikipedia.org](https://ar.wikipedia.org) ..

تقل الحساسية مع مرور الوقت لذلك نجد أن الجلد يألف الملابس ولا يرسل إشارات للدماغ عنها، فسبحان الخالق المبدع ومن علم هذه النهايات هذه الميكانيكية العمل. أما حويصلات ميسنر فهي أكثر تعقيداً في تركيبها من أقراص ميركل وتقع أسفل في طبقة الأدمة وتستجيب للضغط الخفيف والاهتزازات ذات الترددات المنخفضة التي تقل عن خمسين هيرتز، وتوجد أعلى كثافة لها في رؤوس الأصابع لليد، حيث تبلغ ١٥٠٠ مستقبل في السنتيمتر المربع الواحد. أما مستقبلات حركة الشعر فهي عبارة عن نهايات عصبية ملفوفة حول جذر الشعرة وتحس بأي مؤثر يحرك الشعرة. يبلغ عددها بعدد شعر الجسم. أما مستقبلات الضغط القوي والاهتزازات فتسمى حويصلات باسينان وهي أبعد الحويصلات عن سطح الجلد في أسفل الأدمة وأكبرها حجماً وأكثرها تعقيداً في التركيب، ويقدر عددها بثلاثين ألف مستقبل في السنتيمتر المربع، وتوجد أعلى كثافة لها في رؤوس الأصابع لليد، حيث تبلغ ٧٥ مستقبل في السنتيمتر المربع. ويشبه تركيب هذه المستقبلات تركيب البصلة فهي مكونة من طبقات عديدة يصل عددها إلى ٢٠ طبقة. يملأ بينها مادة سائلة وتوجد الألياف العصبية في لب هذا المستقبل، تستجيب هذه المستقبلات لأي ضغط أو شد يقع على الجلد خاصة الضغط القوي والاهتزازات الميكانيكية ذات الترددات العالية التي تصل إلى ٣٠٠ هيرتز<sup>٥</sup>.

هذه المستقبلات تشكل حاسة اللمس Touch sense رغم أنها لا تقتصر على حاسة اللمس فقط بل تحس بحرارة وبرودة الجو المحيط. هذه الحاسة تعتبر معجزة من معجزات الخالق، زراعة ما يقرب من خمسة ملايين مستقبل في مساحة لا يتجاوز سمكها سمك الخمس مليمترات ولا تتجاوز مساحته المترين، معجزة علمية تجعل العلماء يحنون رؤوسهم إجلالاً لمن صنع هذا الجلد وركبه في أحسن صورته.

أشار القرآن الكريم إلى أن الجلد هو جهاز الإحساس، وأشار بصورة غير مفصلة إلى أن الجلد عندما يحترق يفقد هذه الحاسة وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) النساء: ٥٦. هذه المعلومات أشار إليها القرآن الكريم ولم تعرف إلا بعد تطور علم التشريح في هذا العصر.

### بصمة اليد : Finger print

أشار القرآن الكريم إلى بصمة اليد في قوله تعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ )

٥ - منصور أبو شريعة العبادي: إبداع الرحمن في جسم الإنسان، مرجع سابق، ص ١٩٤.

القيامة:٤. هذه البصمة عبارة عن بروزات Ridges تظهر على شكل خطوط متعرجة ترسم أشكالاً عجيبية لا حصر لها على سطح الجلد، لهذه البروزات وظائف عديدة منها: زيادة الاحتكاك بين سطوح الأشياء التي تمسك بها اليد أو تمشي عليها القدم، كما أنها تزيد من حساسية اللمس لذا نجد أنها توجد بكثرة في نهاية الأصابع وهذه التجمعات ثلاثة أنواع: الأقواس arches والأنشوطات loops والدوامات whorls. الأقواس يدخل الخط فيها من أحد الجوانب ويرسم قوساً بأبعاد معينة في منتصف المنطقة ثم يخرج من الجانب الآخر أما الأنشوطات يدخل الخط من أحد الجوانب ويرسم قوساً بأبعاد معينة ثم يرسم أنشوطة بشكل مائل في منتصف المنطقة ثم يخرج من نفس المنطقة التي دخل منها، أما الدوامات فيدخل الخط فيها من أحد الجوانب ثم يرسم عدة دوائر حلزونية ثم ينتهي الخط في مركز الحلزون.<sup>٦</sup>

يقول المولى عز وجل: ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ) محمد: ١٥



أثبت العلم الحديث أن الأمعاء خالية من الداخل من المستقبلات الحسية، بينما توجد بكثافة عالية في المساريقا، يوجد في هذه المنطقة عدد كبير من جسيمات باسيني الناقلة للألم والحرارة، لذلك الأمعاء لا تتأثر بالحرارة لكنها إذا قطعت خرج منها الماء الحميم إلى منطقة المساريقا الغنية بمستقبلات الحرارة والألم والنهايات العصبية الناقلة لهما إلى المخ فيشعر الإنسان بأقصى درجات الألم.<sup>٧</sup>

الطبقة الدهنية تحت الجلد تشكل عازلاً حرارياً يحول دون فقدان الجسم لحرارته، ومن الحكم الربانية أن هذه الطبقة تزداد كثافتها في سكان المناطق الباردة حتى تحول دون اكتساب الحرارة من الوسط المحيط، أما سكان المناطق المدارية تقل نسبة الدهون تحت جلدهم حتى يتمكن الجسم من إشعاع الحرارة من الجسم.

الغدد الثديية : mammary glands توجد في كل الثدييات لكن وظيفتها تكاد تكون مقصورة على الإناث بعد وضع الصغار.

الغدد الدمعية: تنتج إفرازاً يحفظ سطح العين رطباً ونظيفاً.  
الغدد العجانية أو غدد الرائحة: توجد في كثير من الحيوانات تعطي الحيوان رائحة مميزة وعن طريقها يتعرف الحيوان على أقرانه من نفس النوع.<sup>٨</sup>

وظائف الجلد:

- (١) يحمي الجلد الأنسجة الواقعة تحته من تأثير العوامل الجوية الخارجية .
- (٢) يحتوي الجلد على المستقبلات الحسية التي تحس بأي تغيرات في البيئة.
- (٣) تعمل الغدد العرقية الموجودة في الجلد أساساً على تنظيم درجة حرارة الجسم.
- (٤) قد يتلون الجلد كوسيلة للتمويه لحماية الحيوان.
- (٥) الأظافر من مكونات الجلد قد تستخدم للدفاع عن الجسم.

أوجه الإعجاز العلمي في تركيب الجلد:

- وجود ما يقرب من خمسة ملايين مستقبل للإحساس في مساحة سمكها خمسة مليمترات ولا تتجاوز المترين معجزة علمية أذهلت عقول العلماء .
- أشار القرآن الكريم إلى أن الجلد هو جهاز الإحساس لأنه يحتوي على النهايات العصبية، وإذا احترقت لا يحس الإنسان بالألم لذلك أشار القرآن إلى تبديل الجلد

٧- عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياذ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ض ٨٣.

٨- محمود أحمد البنهاوي وآخرون: علم الحيوان، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، القاهرة، ص ٤١٤.

في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ) النساء: ٥٦ .

- أثبت العلم الحديث أن الاحتراق العميق للجلد يفقده الإحساس بالألم وهذا سبق للقرآن في هذه المعلومة العلمية.

بصمة اليد معجزة علمية ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ) القيامة: ٤.

- اختلاف ألوان البشر من الآيات القرآنية التي لا يدركونها إلا العالمين الذين لهم دراية بعلم الأحياء.

- من المعجزات العلمية في تركيب الجلد وجود الشعر وآلية انتصابه عند الخوف أو الإحساس بالبرد ودوره في حفظ التوازن الحراري للجسم.

- وجود صبغة الميلانين التي تغطي الجلد لونه تزداد كثافة كلما كانت الأشعة فوق البنفسجية أعلى في البيئة التي يعيش فيها الفرد، الأمر يساعد في حفظ الجسم من هذه الأشعة.

- وجود الغدد العرقية تساعد في حفظ التوازن الحراري.

- الغدد الدهنية التي توجد في الجلد ترطب الجلد وتمنعه من التقصف والتقشر وطبقة الدهن تمنع دخول السوائل إلى داخل الجسم وتجعل الشعر لامعاً وطرياً.

- من المعجزات الربانية في تركيب الجلد ازدياد كثافة البشرة في المناطق الأكثر عرضة للاحتكاك بشكل دائم خاصة في الأيدي وأخمص الأقدام.

- وجود الشعر على الجلد يساعد في الاستتباب الحراري للجسم وهنالك آلية تساعد على انتصابه ورقوده عند الحاجة لذلك.

- الجلد يحمي الجسم من خطر الأشعة فوق البنفسجية وذلك بفعل مادة الميلانين، وهذه المادة تزداد كثافة في المناطق التي تزداد فيها كمية الأشعة مثل المناطق المدارية.

الطبقة تحت الجلد الدهنية تشكل عازل حراري تمنع فقدان حرارة الجسم، ومن الحكم الربانية أن هذه الطبقة تزداد كثافة عند سكان المناطق الباردة، ويقل الدهن عند سكان المناطق المدارية، حتى يتمكن الجسم من إشعاع الحرارة .

## الخاتمة:

### أهم النتائج:

- اختلف علماء التفسير في تجديد الجلد، بعضهم قال: إن الجلد يحترق ويتجدد وأن المعذب ليس الجلد وإنما النفس الواعية وهذا التفسير هو الذي يميل إليه الباحث والله أعلم.
- بعض العلماء قال: إن الجلد هي السراويل وأنها من قطران كلما احترقت تجدد.
- ما تم اكتشافه من معلومات عن التركيب التشريحي لجلد الإنسان يتوافق ويتسق مع ما ورد ذكره في القرآن الكريم وبعضه.
- أكد القرآن الكريم أن الجلد هو مركز الإحساس وهذا ما نتج عن علم التشريح الحديث.
- أثبت العلم الحديث أن منطقة المساريقا من أغنى المناطق بمستقبلات الحرارة والألم.
- كل مكون من مكونات الجلد خلق بشكل رائع بحيث يؤدي وظيفته على أكمل وجه.
- كل أعضاء الإنسان يمكن زراعتها عدا الجلد.
- الإعجاز العلمي يعتبر من أهم وسائل الدعوة إلى الله في هذا العصر، (سُنُّرِهِمْ آيَاتًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت: ٥٣

### التوصيات:

يوصي الباحث بإقامة مراكز لأبحاث القرآن تعمل على إجراء بحوث تجريبية للإشارات العلمية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ونشر نتائجها في دوريات عالمية بمختلف اللغات العالمية الحية لإقناع الآخرين بصدق النبوة الفرنسي موريس بوكاي ( لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل الدراسة كثيراً من الظواهر الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث.)<sup>٩</sup>

القرآن العظيم بين طياته من المعجزات والدلائل المستمرة ما يجعلهم قنعاً في كل الأزمنة وباختلاف الأماكن.

٩- بوكاي: ١٩٧٩م ص ١٣.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي، دار طيبة الجز الثاني.
- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير بن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م الجزء الثاني.
- الشعراوي: تفسير الشعر على موقع مشكاة الإسلامية، <https://www.almeshkat.com>.
- عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، جياذ للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، جدة، المملكة العربية السعودية.
- علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: تفسير الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، المحقق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، الجزء (١).
- عز الدين بن عبد السلام : تفسير ابن عبد السلام، مصدر الكتاب موقع التفاسير، <https://www.alltafasir.com>.
- أحمد حماد الحسيني وآخرون: بيولوجية الحيوان العملية، دارالمعارف، الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٦م، القاهرة، مصر.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org>.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مصدر الكتاب موقع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- محمد محمود عبد الله: الهندسة الوراثية في القرآن الكريم، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠٠٦م.
- منصور أبوشريعة العبادي: إبداع الرحمن في جسم الإنسان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، عمان الأردن.
- محمود أحمد البنهاوي وآخرون: علم الحيوان، دارالمعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

## التدابير الشرعية للمخدم والمستخدم

في ظل قانون العمل لسنة ١٩٩٧م والتأمينات الاجتماعية

” رؤية فقهية مقارنة ”

د. جودة إبراهيم محمد النور<sup>(١)</sup>

### المستخلص

العمل له قيمة ومكانة وخصوصية والعمل في الإسلام تأصل من خلال قوله سبحانه وتعالى من الآيات الدالة على الحث عليه والأحاديث الشريفة والمأثورات والحكم تناولت في هذه الورقة البحثية خصوصية العمل على التشريع الإسلامي والتأصيل له من جوانب متعددة وارتباط الإنسان ونمط تطور حياته وحثنا ديننا الحنيف على اتباع شرعه بالنصوص القرآنية وسنته الشريفة. وأيضاً تناولت أهم الأحكام والقضايا التي أثارها فلسفة الإنسان والتي أثرت في نظر وفكر المفكرين والمشرعين ودعاة حقوق الإنسان وقد أصل التشريع الإسلامي تنظيم العلاقة بين المخدم والمستخدم. وخصصت هذه الورقة البحثية عن التأمين وجواز شرعيته إذا ما خلا من الربا والغرر. وكذلك جوازه من ناحية التأمين الحكومي في المعاش والتأمينات الاجتماعية. والتأمين التعاوني التكافلي.

### مقدمة :

ترتبط تشريعات العمل ارتباطاً وثيقاً بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي تشهدها بلاد العالم المخلفة، فهي تتفاعل معها، وتستجيب لمعطياتها - أي تشريعات العمل - حيث تتناول شؤوناً تمس صميم الحياة اليومية لأعداد غفيرة من بني الإنسان الذين يساهمون بجهودهم في تنفيذ خطط التنمية والوصول إلى رفاهية الشعوب والأفراد، هذا من جانب ومن الجانب الآخر أي أصحاب المشاريع حيث يقومون بتوفير الوظائف والتي بدورها تكفل الحياة الكريمة لكل طبقات الباحثين عن الوظائف .

ولا يختلف المجتمع السوداني عن سائر المجتمعات في حاجة إلى تشريعات عمل عصرية، لا سيما وأن السودان قد شهد العديد من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية منذ عصر الاستعمار التركي ، المصري ، الإنجليزي وحتى يومنا هذا، إذ ارتبط صدور تشريعات العمل السودانية ب بروز الطبقة العاملة السودانية كقوة اجتماعية وسياسية ذات

١- أ.مسعد - كلية القانون - جامعة الجزيرة .

وزن مؤثر من أجل النهوض بواقعها وتحسين أوضاعها المعيشية والاجتماعية، والاستثمار الأمثل للطاقات والموارد البشرية العاملة التي تذخر بها بلادنا.

**أهمية الموضوع :** لقد أردنا من هذا البحث أن يجمع بين الفكر القانوني، والتطبيقات القضائية القائمة على الوقائع العملية التي تفرزها منازعات العمل، التي تنتهج منهج مقارنة أحكام القضاء السوداني بأحكام القضاء العربي المقارن.

### **فروض البحث :**

١/ إن التطبيقات القضائية العربية تشهد تطوراً كبيراً في مجال العمل عبر إنصاف المخدم والمستخدم.

٢/ لا تتعارض المبادئ العامة لقانون العمل السوداني لسنة ١٩٩٧م مع أحكام وقواعد عقد العمل في الفقه الإسلامي.

٣/ تتكامل الأدوار ما بين أحكام القضاء السوداني وقواعد قانون العمل لسنة ١٩٩٧م في حفظ الحقوق المالية الخاصة بالمستخدم.

٤/ عقود التأمين وشرعيتها في حفظ حقوق المخدم والمستخدم.

**منهج البحث :** استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي، التحليلي، التاريخي والاستنباطي.

### **الدراسات السابقة :**

لقد برز عدد مقدر من الدراسات السابقة، وكل باحث يدلي بدلوه من منطلق ثقافته وقناعته، ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة سعيت إلي تقديم جهدي أمل أن يسد ولو قليلاً حاجة المنشغلين والدارسين والباحثين في هذا المجال بوجه عام وتشريع العمل بوجه خاص وهو جهد مقل يجد عذره في جهد قاصر ووقت محدود، ويظل المجال واسعاً أمام المعنيين لمزيد من البحث والإضافة، ذلك أن البحث مسيرة تتواصل دون انتهاء وعطاء يستمر دون نضوب .

هيكل البحث:

وينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب وتحتوي على الآتي:

المبحث الأول : المبادئ العامة لقانون العمل ١٩٩٧م

المبحث الثاني آثار عقد العمل بالنسبة للمخدم والمستخدم في الفقه والقانون

المبحث الثالث : تعريف التأمين وأنواعه.

المبحث الرابع : التأمين من الإصابات وخصائصه الشرعية.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات.

## المبحث الأول

### المبادئ العامة لقانون العمل ١٩٩٧م

قانون العمل هو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين العمال وأرباب الأعمال وهو فرع حديث النشأة نسبياً، فقد كانت العلاقة بين العامل ورب العمل تخضع للقواعد العامة للقانون المدني، حيث يؤخذ بمبدأ سلطان الإدارة، فتجري شروط عقد العمل بينهما وفقاً لما تم الاتفاق عليه بصرف النظر عما تحمله من جور واستغلال .

إثر ذلك نشطت حركة التشريع في أغلب البلاد لتنظم العلاقة بين العمال وأرباب الأعمال على نحو يكفل الحماية للطبقة العامة، وأدى هذا بدوره إلى أن أصبح قانون العمل فرعاً مستقلاً من فروع القانون الخاص .

#### المطلب الأول: معني العمل في اللغة :

المهنة والفعل، والجمع أعمال وفي الكليات العمل يعم أفعال الجوارح والقلوب وقال آخرون: هو إحداهن أمر قولاً كان أو فعلاً بالجراحة أو القلب حيث لا يخرج<sup>(٢)</sup> المعني الاصطلاحي عن المعني اللغوي .

#### الأحكام المتعلقة بالعمل تعترتها خمسة أحكام:

فما طلبه الشارع منه على سبيل الإلزام فهو واجب، وما طلبه على سبيل الترخيص في غير إلزام فهو مندوب، وما طلب تركه على سبيل الترخيص من غير إلزام فهو مكروه وما خير الشارع بين عمله وتركه مباح وما نهي عنه فهو حرام .

وتختلف الأعمال التي يعملها العبد باختلاف متعلقاتها من عبادات ومعاملات فيثاب على الطاعات ويعاقب على المعاصي إلا أن يشمله الله بعفوه.

#### مفهوم العمل في الإصلاح الفقهي :

ورد لفظ العمل والمعاملة عند الفقهاء فقديماً يقصد به العمل الزراعي في غالب استعماله، ففي بداية المجتهد ونهاية المقتصد ورد في المساقاة وشرب الشراب وأبار النخل وقطع الجريد وجذ الثمار وأشباهه على العامل.

وجاء في بدائع الصنائع ... منها ( أن كل ما كان عمل المعاملة مما يحتاج إليه الشجر

٢ - لسان العرب، تاج العروس، الكليات، مادة عمل، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،

ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، طبعة دار الصفاة، ج٢، ص٣٢٢

والكروم من السقي وإصلاح النهر والحفظ، والتلقيح فعلي العامل). ومن التعريفات المعاصرة للعمل عند الفقهاء : العمل يطلق على الفعل وهو أعم من الحرفة لأن العمل يطلق على الفعل سواء حذق به الإنسان أم لم يتخذه بخلاف الحرفة، فإنهم يطلقونها على ما انحرف إليه الشخص من الأعمال وجعله ديدنة لأجل كسبه<sup>(٢)</sup>، وهو عند أهل الاقتصاد ( النشاط الاجتماعي الواغياالمبذول من قبل الجنس البشري لإخضاع الطبيعة لخدمة حاجات هذا الجنس، وهذا الجهد العضلي والذهني الذي يبذله الإنسان لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة الموجود منها وتنميته )<sup>(٣)</sup>، والعمل أعم من الفعل .

### المطلب الثاني : مصادر قانون العمل :

يستمد قانون العمل قواعده من عدة مصادر، يمكن تقسيمها إلى مصادر داخلية ومصادر دولية، كما يمكن تقسيم المصادر الداخلية إلى مصادر رسمية ومصادر ذات طبيعة حرفية.<sup>(٥)</sup>

#### أولاً : المصادر الداخلية :

وهذه تتمثل في التشريع والذي يشمل الدستور والقوانين واللوائح والقواعد والأوامر والقرارات الوزارية والتشريع هو المصدر الرسمي الأصلي لقواعد قانون العمل مثلما هو المصدر الرسمي الأول للقواعد القانونية بوجه عام ، وقد أصبح قانون العمل من أكثر فروع القانون ازدحاماً بالنصوص التشريعية

فقد ترك للسلطة الإدارية المختصة إصدار اللوائح والقرارات الوزارية التي تكمل هذه التشريعات وتكفل تنفيذها ، وفي مصر يعتبر المجلس الاستشاري الأعلى للعمل من الهيئات الاستشارية الهامة ويتكون من أعضاء يمثلون الحكومة والعمال وأصحاب العمل ويختص هذا المجلس بإبداء الرأي في قوانين العمل قبل إصدارها وهو ما يعرف باللجنة الثلاثية على الصعيد المحلي .

#### ثانياً : المصادر ذات الطبيعة الحرفية :

يري فريق من شُرّاح القانون، أن قانون العمل ليس كله من صنع الدولة ذلك أن هناك قواعد ذات أصل حرفي تنشأ بمعزل عن الدولة ومن أمثلتها القرارات النقابية فالنقابات تضع قواعد عامة تلزم جميع أعضاء النقابة باحترامها وتملك حق توقيع الجزاء على من يخالفها كفصل العضو من النقابة عند مخالفته لللائحة أو إبرام العقود المشتركة مع أصحاب العمل.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٢٢

٤ - الإمام أحمد، المسند، بيروت، دار صادر، ج ٤، ص ٢٢٩.

٥ - محمد بن أحمد بن راشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، بيروت، دار الفكر، ط ١٩٥١م، ج ٢، ص ١٩٩.

### المطلب الثالث : خصائص قانون العمل :

يتميز قانون العمل بطابع واقعي، وبصياغة خاصة وبالصفة الأمرة التي تسود قواعده، فضلاً عن اختلاف قواعد تفسيره، وتضمنه لقواعد خاصة بتسيير إجراءات التقاضي على العمال .

#### أولاً : الطابع الواقعي :

يعتبر الطابع الواقعي من أهم خصائص قانون العمل فأحكامه يجب أن تظل بعيدة عن التجريم والتعميم، وأن تتكيف وتتغير بما يتفق والظروف الخاصة بكل حال على حده، بما يلائم طبيعة العمل وظروف العامل وقدرة صاحب العمل، وقد تختلف قواعد قانون العمل تبعاً لظروف العامل الرجل من المرأة أو العامل الحدث وهذا ما ذهب إليه قانون العمل السوداني لسنة ١٩٩٧م في المادة (٢١)، كذلك يفرق المشرع في القواعد التي تطبق على أصحاب الأعمال بسبب الاختلافي قدراتهم الاقتصادية، فيفرض على المنشآت الكبيرة أعباء لصالح العمال ويعفي المنشآت الصغيرة منها.<sup>(١)</sup>

وهكذا فإن المشرع لا يضع إلا القواعد العامة تاركاً للسلطة التنفيذية أن تحدد بقرارات وزارية نطاق تطبيق هذه القواعد بما يتناسب مع الظروف الخاصة بكل حالة ومن ذلك ما نصت عليه المادة ١/٨ من قانون العمل السوداني لسنة ١٩٩٧م بقولها : ( يجوز للوزير إنشاء مكاتب للاستخدام وتحديد المناطق والفئات التي يختص كل من تلك المكاتب بخدماتها ) والمادة ١/٩ من ذات القانون التي أجازت للوزير السماح لأي شخص بفتح مكتب للاستخدام أو بممارسة أعمال الاستخدام عن طريق وكالات الاستخدام (...). والمادة ٢/١٥ والتي تنص على أن ( ينظم الوزير بموجب أمر طرق وإجراءات التفتيش وبطاقات الموظفين الذين يقومون بالتفتيش ) .

#### ثانياً : الصياغة الخاصة بقانون العمل :

يتميز العمل بصياغة خاصة تبرز ذاتية واستقلال سواء في علاقات العمل الفردية أو الجماعية، ففي الأولي، يتميز عقد العمل بأحكام خاصة تخرجه من نطاق نظرية العقد في القانون المدني، ومن ذلك الأحكام الخاصة بالأهلية اللازمة لصحته، والسلطة المقدرة لرب العمل في توقيع الجزاءات على العامل، كذلك لا يترتب على بطلان عقد العمل إلا آثاراً محدودة بالمقارنة بآثار بطلان العقود الأخرى. وفي إطار علاقات العمل الجماعية توجد نظم

٦- الدكتور نزيه حماد، معجم المصطلحات الفقهية في لغة الفقهاء، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالي للفكر

الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٠٢.

قانونية خاصة يتميز بها قانون العمل كعقد العمل المشترك الذي يجب أن يتم وفقاً لأحكام عقود العمل الفردية ، وهو بهذا لا يخضع لقاعدة نسبية آثار العقد ، ومن أمثلة ذلك مسئولية صاحب العمل عن إصابات العمل على خلاف الأحكام المقررة في فقه القانون المدني.<sup>(٧)</sup>

### ثالثاً : الصفة الأمرة لقواعد قانون العمل :

يهدف قانون العمل إلى حماية العامل ولذلك فإن الصفة الأمرة لقواعده تعتبر من أهم الخصائص المميزة له، وفي غياب هذه الصفة يستطيع رب العمل - وهو في مركز اقتصادي يختلف عن مركز العامل - أن يفرض شروط العمل كما يشاء ، وليس أمام العامل عندئذٍ إلا قبول تلك الشروط حتى ولو كانت تتضمن انتقاصاً لما يقرره القانون له من ضماناتٍ لذا فإن الصفة الأمرة لهذه القواعد قد أخذت معني خاصاً يقصد تحريم مخالفتها على الحالة التي تؤدي المخالفة فيها إلى المساس بالحقوق المقدره للعامل بمقتضى هذه الحقوق يقدرها القانون له فإن المخالفة في هذه الحالة تعتبر جائزة، وهذا ما قرره المادة ٣١ من قانون العمل السوداني لسنة ١٩٩٧م بقولها : ( يعتبر باطلاً كل شرط في أي عقد للعمل يكون مخالفاً لأحكام هذا القانون ولو كان سابقاً على العمل به إلا إذا كان هذا الشرط أكثر فائدة للعامل ويحق له أن يطالب بكامل حقوقه بموجب هذا القانون ) .

٧- محمد القيسي، مبادئ الاقتصاد السياسي، مؤسسة الوحدة ، الكويت، ط١٩٧٨، ص٣٠٢.

## المبحث الثاني

### آثار عقد العمل بالنسبة للمخدم والمستخدم في الفقه والقانون

سوف يتم من خلال هذا البحث تناول آثار عقد العمل بالنسبة للطرفين وذلك في ثلاثة مطالب كما يلي :

#### المطلب الأول : الالتزام بدفع الأجر في الفقه الإسلامي :

##### أولاً : تناول الالتزام بدفع الأجر في الفقه :

متى سلم الأجير نفسه للمؤجر فإنه يستحق الأجر كاملاً عن المدة التي حبس نفسه فيها للقيام بالعمل المتفق عليه، عمل أم لم يعمل وذلك أنه قد قام بما عليه من التزام ، وبيان ذلك في المذاهب كآتي :

##### أولاً: المذهب الحنفي :

جاء تعريف الأجير في المذهب الحنفي : هو من يعمل لواحد عملاً مؤقتاً بالتخصيص ويستحق الأجر بتسليم نفسه في المدة وإن لم يعمل كمن استؤجر شهراً للخدمة أو شهوراً لرعي الغنم.<sup>(٨)</sup>

##### المذهب المالكي :

يري المالكية الأجير الخاص يستحق الأجر بمجرد تسليمه لنفسه لصاحب العمل، عمل أم لم يعمل مادام ذلك بسبب من صاحب العمل.<sup>(٩)</sup>

##### ثالثاً : المذهب الشافعي :

يري الشافعية أن الأجير الخاص متى حبس نفسه وفقاً للعقد المتراضي عليه فإنه يستحق الأجر عمل أم لم يعمل.<sup>(١٠)</sup>

##### رابعاً : المذهب الحنبلي :

جاء في المذهب أن العامل الأجير يستحق الأجر بتقديم منافعه إلى المؤجر بتسليمه نفسه خلال المدة المتفق عليها عمل أم لم يعمل، لأنه بذل ما عليه كما لو بذل البائع العين المبيعة، أو المنفعة في عقد العمل تحدد أما بالمدة وأما بالعمل فينبغي شغل هذه المدة بالعمل المتفق عليه ولا يجوز الإخلال بذلك لأنه إخلال بالعقد.<sup>(١١)</sup>

٨- الدكتور إسماعيل غانم، قانون العمل ، طبعة ١٩٦٢ م ، ص ٤٠.

٩- د. موسي رزيق، قانون العمل، محاضرات مطبوعة على الكمبيوتر، ص ٨٩.

١٠- نقلاً عن كتاب الموجز في قوانين العمل والتأمينات الاجتماعية، للدكتور إبراهيم أحمد محمد الصادق الكاروري، عميد كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان الإسلامية، مطبعة المثاني العالمية ، الخرطوم، ط ذو الحجة، ١٤٢٢هـ-

نوفمبر ٢٠١١م، ط ٥ ، ص ٦٧.

١١- ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار ، ج ٩، ص ٨٢.

## ثانياً الالتزام بدفع الأجر في القانون :

الأصل أن الأجر هو المقابل للعمل وهو عنصر جوهري في عقد العمل فلا قيمة لهذا العقد بدون الالتزام بدفع الأجر وأداء العمل، وعقد العمل هو أحد عقود المعاوضة وهو تبادل يرتب التزامات متقابلة في ذمة طرفين، وكما يقول البعض الأجر هو الثمن.<sup>(١٢)</sup>

جاء في القانون المدني المصري ، عقد العمل هو الذي يتعهد فيه أحد المتعاقدين بأن يعمل في خدمة المتعاقدين الآخرين وتحت إدارته أو إشرافه مقابل أجر يتعهد به المتعاقد الآخر، وذهب المشرع السوداني في قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤م إن عقد العمل عقد يلتزم أحد طرفيه بأن يقوم بعمل لمصلحة الآخر تحت إشرافه وإدارته لقاء أجر التزم صاحب العمل بالوفاء به والأصل إن الأجر هو المقابل للعمل غير أن العامل يستحق الأجر ولو لم يقم بالعمل إذا كان السبب يرجع إلى صاحب العمل .

ويتفق الفقه الإسلامي ونصوص القانون على أن العامل يستحق الأجر والعنصر الأساسي في العقد وذلك بمجرد حضوره لأداء العمل ولو لم يؤد العمل ما دام ذلك بسبب يعود لصاحب العمل.<sup>(١٣)</sup>

## المطلب الثاني : العمل خلال المدة المحددة في الفقه والقانون :

وسوف يتم تناول ذلك من خلال نقطتين :

### أولاً : العمل فعلاً خلال المدة المحددة في الفقه :

يذهب الفقهاء إلى أن الإجارة هي بيع المنافع لذلك اشترطوا معرفة قدر المنفعة لأن الإجارة بيع والبيع إنما يصح لمعلوم القدر<sup>(١٤)</sup> ، ويرى الفقهاء أن المنفعة تقدر إما بالمدة أو بالعمل ويبان ذلك في المذاهب الفقهية كآلاتي :

### أولاً : المذهب الحنفي :

جاء في رد المحتار على الدر المختار : يعلم النفع ببيان المدة كالسكن والزراعة مدة كذا، ويعلم النفع أيضاً ببيان العمل كالصياغة والصبغ والخياطة، وإن لم تحدد المدة بالعقد عمل العامل الفترة المعروفة بالعرف.<sup>(١٥)</sup>

أما في حالة بقاء العامل دون عمل بسبب في المؤجر فإنه يستحق الأجر كاملاً ولا شئ عليه

١٢- انظر أحمد الصاوي، بلغة السالك لأرب المسالك، ج٢، ص٩٥٩.

١٣- الشرييني، الإقناع، ج٢، ص٧٢.

١٤- انظر البهوتي، الروض المرعب، دار الكتاب، ط٢، ١٩٩٦م، ص٣٢٤.

١٥- ابن عابدين، مصدر سابق، ج٢، ص٩ وما بعدها.

لأنه حبس نفسه للعمل، جاء في مجلة الأحكام العدلية المادة (٥٧١) ( أن الأجير الخاص يستحق الأجر إذا كان في مدة الإجازة حاضراً للعمل ولا يشترط عمله بالفعل ولكن ليس له أن يمتنع عن العمل وإذا امتنع عن العمل لا يستحق الأجر ) .

### ثانياً : المذهب المالكي :

جاء في فتح الرحيم : ( الإجازة جائزة وتصح ممن يصح منه البيع وهي دفع مال يصح أن يكون ثمناً في مقابلة عمل أو غلة تقوم ويقدر على تسليمها ) وقال صاحب حاشية الدسوقي : ( الإجازة هي تملك منافع شئ مباحة مدة معلومة بعبوض غير أنهم سمو العقد على منافع الأرض وما ينقل غير السفن والحيوان إجازة ) . وقوله تملك منافع شئ مباحة مدة معلومة دالة على الالتزام بالعمل في إطار المدة والقدر المطلوب .

### ثالثاً : المذهب الشافعي :

جاء في المجموع : ( إن المنفعة تحدد بالمدة وبيان العمل وضابط الزمان كل ما لا ينضبط بالمحل وحينئذ يشترط علمه ) ، وهذا بيان الأهمية تحده المدة وبيان العمل المتعاقد عليه أثناء المدة المذكورة. <sup>(١٦)</sup>

### رابعاً : المذهب الحنبلي :

قال صاحب المغني: ( لو استأجره لعمل فكان الأجير يقرأ القرآن حالة عمله فإن أخر المكري بقراءة القرآن رجع المكري عليه بقيمة ما فوت عليه العمل بسبب انشغاله بالقراءة ) وهذا يشير إلي درجة الأمانة العالية التي ينبغي أن يتصف بها العامل فلا ينشغل بالنافلة عن العمل المتعاقد عليه.

### ثانياً : العمل خلال المدة المحددة في القانون :

يذهب القانون إلى إلزام العامل بأن يعمل وفق ما وقع عليه ومن ثم لا يجوز له أن يقوم بعمل آخر بدلاً عنه إلا بموافقة صاحب العمل، كما لا يجوز لصاحب العمل كقاعدة عامة أن يغير نوع العمل المتفق عليه إلا برضاء العامل ولو كان ذلك بقصد تحقيق مصلحة العامل، وذلك مراعاة لمصلحة صاحب العمل ولحفظ حق العامل .

إن من واجبات العامل أن ينجز عمله المحدد بعقد عمله بإخلاص وأمانه تبعاً لتوجيه وإشراف وإدارة صاحب العمل ووفقاً لما هو مبين في قانون العمل وأنظمتها وعقوده الجماعية حيث أن

١٦- المرجع السابق، ص٧.

سلطة صاحب العمل في الإدارة هي المظهر الأساسي لرابط التبعية.<sup>(١٧)</sup>

جاء في قانون العمل السوداني لسنة ١٩٩٧م : ( لا يجوز للعامل أن يشغل نفسه وقت العمل بشئٍ آخر ولا يعمل مدة العقد لدي غير صاحب العمل وإلا فإن لصاحب العمل فسخ العقد أو إنقاص الأجر بقدر تقصير العامل في عمله لديه ) .

المطلب الثالث : حفظ الأموال التي تحت يد العامل في الفقه والقانون :

وسوف نتناول في هذا المطلب صيانة وحفظ الأموال من قبل العامل من قسمين :

### أولاً : حفظ الأموال التي تحت يد العامل في الفقه :

العامل هو يؤدي ما عليه من التزام إنما يفعل ذلك وتحت يديه أموال وممتلكات يعمل من خلالها وهو مؤتمن عليها، وفي حال تلف ما تحت يديه فإن الأجير الخاص لا يضمن ذلك إلا إذا وقع التلف بسبب من إهماله وتقصيره.<sup>(١٨)</sup>

وقد أشارت السنّة المطهرة إلى واجب العامل في حفظ ما أوّتمن عليه إذ يقول الرسول صلي الله عليه وسلم: ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والخدام راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته )<sup>(١٩)</sup>، والحفظ يتمثل في الاعتناء بها ورعايتها وعدم التفريط فيها أو توظيفها في غير مكانها أو استهلاكها بغير وجه حق أو إعطائها لمن لا يستحقها .

والعامل في الشريعة عنصر مهم من عناصر المجتمع ، وله تأثير واضح على سلامة المجتمع واستقراره ، وعلى العامل المسلم أن يقيم نفسه من مال رب العمل مقام الوصي من مال اليتيم إذ يقول سيدنا عمر بن الخطاب<sup>(٢٠)</sup> رضي الله عنه : ( أنزلت نفسي من بين مال المسلمين بمنزلة الوصي من اليتيم )<sup>(٢١)</sup>، يشير رضي الله عنه إلى أنه سوف يبذل الجهد في حفظ مال المسلمين والسهر على رعايته باعتباره أمانة في عنقه ولا يأخذ منه إلا بإذنه وبالمعروف، وقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي كل يوم سبت فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه<sup>(٢٢)</sup>، وعن السائب بن جبير مولى ابن عباس وقد كان أدرك أصحاب رسول الله قال : ما زلت أسمع حديث عمر رضوان الله عليه أنه خرج ذات ليلة ليطوف المدينة، وكان يفعل ذلك كثيراً ، إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقةً عليها بابها وهي تقول :

١٧- المرجع السابق ، ص١٤.

١٨- البابرّي ، العناية في شرح الهداية، ج٧، ص٦٢.

١٩- محمد ابن أحمد ، فتح الرحيم على فقيها لإمام مالك بالأدلة، ج٣ ، ص ١٦٧.

٢٠- المطيعي، المجموع شرح المهذب، ج١٥، ص٢٥٥.

٢١- مجلة الأحكام العدلية، المادة (٦١٠).

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرقتني أن لا ضجيع الأعبه  
الأعبه طوراً، وطوراً كأنما بدا قمر من ظلمة الليل حاجبه  
يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشى لا تجتويه أقاربه  
فو الله لولا الله لا شئ غيره لينقض من هذا السرير جوانبه  
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لها أن على عمر وحشتي وغيبية زوجي عنى، وعمر واقف يسمع قولها ، فقال عمر : يرحمك الله، ثم وجه إليها بكسوة ونفقة، وكتب أن يقدم عليها زوجها، وفي رواية الشعبي: فدخل على حفصة- أم المؤمنين - فقالت: يا أمير المؤمنين: ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال: أي بنية، كم تحتاج المرأة إلى زوجها ؟ فقالت: في ستة أشهر، فكان لا يغزي جيشاً أكثر من ستة أشهر<sup>(٢٣)</sup>، وقد عقد ابن الجوزي في سيرة عمر الباب الرابع والثلاثين في ذكر عسس عمر بالمدينة وبعض ما جري له في ذلك .

#### رفع مستوي الشعب الفكري والمادي :

أما رفع مستوي الشعب فكرياً : فحسبنا من ذلك قول عمر : اني لم أبعثهم - أي الولاة - إلا ليفقهوا الناس في دينهم.<sup>(٢٣)</sup>

وأما رفع مستوى الشعب مادياً: فحسبنا قول عمر: ولكم علىّ ألا أجتني من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه : ولكم علىّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علىّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله<sup>(٢٤)</sup> وقوله : إن سلمني الله لأدعين أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدي.<sup>(٢٥)</sup>

حافضة على أموال الأمة وثوراتها : وقد مر معنا قول عمر : ولكم علىّ إذا وقع - الفئ - في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه .

وكان عمر لا يستحل أخذ شئ من أموال الأمة إلا بقدر ما تدعو إليه الضرورة فقد قال مرة : إنني لأجد هذا المال لا يصلحه إلا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ، ويعطى في الحق ،

٢٢- حديث (كلكم راعي ) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء عن الإمام ، ص ٤ ، ٢٠٨ ج رقم ١٧٠٥ ، وقال أبو عيسى هذا حديث بسند صحيح ، سنن الترمذي لأبي عيسى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، تونس دار سحنون، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.  
٢٣- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمر المؤمنين ويضرب بعدله المثل، أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات وبويع بالخلافة، عقب وفاة أبي بكر الصديق ولقب بالفاروق، قتله أبو لؤلؤة الفارسي ، الأعلام ، ج ٥، ص ٣٢.

٢٤- موسوعة فقه سيدنا عمر بن الخطاب ، تأليف د. محمد رواسي قلعة جي، ص ١٠٩ .

٢٥- سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص ٧١ وما بعدها، وفي مغني ابن قدامة أربعة أشهر ، ٣٠١/٧.

ويمنع من الباطل ، إنما أنا ومالكم كولي اليتيم إن استغفيت استغفيت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وقد حدد هو رضي الله عنهما يستحله من أموال الأمة في الجلسة التي كان فيها الأحنف بن قيس عند باب عمر حيث قال الأحنف : كنا جلوساً عند باب عمر ، فخرجت علينا جارية ، فقلنا : هذه سرية أمير المؤمنين، فقالت : والله ما أنا بسريته ولا أحل له ، وإني لمن مال الله ، قال : ثم دخلت فخرج علينا عمر فقال : ما ترونه يحل لي من مال الله؟ أو قال : من هذا المال؟ قال قلنا : أمير المؤمنين أعلم بذلك منا ، ثم سألنا فقلنا له مثل قولنا الأول ، فقال : إن شئتم أخبرتكم ما استحله منه؟ ما أحج واعتمر عليه من الظهر، وحلتي في الشتاء وحلتي في الصيف، وقوت عيالي شعبهم ، وسهمي في المسلمين، فإنما أنا رجل من المسلمين ، قال عمر : وإنما كان الذي يحج عليه ويعتمر بغيراً واحداً.<sup>(٢٦)</sup>

ولا بد لنا من أن نقف وقفة تأمل عند قوله ( وقوت عيالي شعبهم ) ومفهوم هذا أن عمر لم يكن يأخذ من بيت مال المسلمين إلا ما يدفع الجوع عن عياله من خبز وأدم، أما الفاكهة، فإنه لم يكن يحمل بيت المال ثمنها، بل كان يشتريها من ماله الخاص، فقد روي البيهقي أن عمر لما استخلف أكل هو وأهله من بيت المال، واخترف من مال نفسه<sup>(٢٧)</sup>، والإختراف هو اقتناء الفاكهة .

وحتى الأدم الذي كان عمر يحمله بيت مال المسلمين كان أدماً متواضعاً ، ليس بأكثر من جودة من الأدم الذي تتناوله أي أسرة فقيرة، وكان عمر يراعي في ذلك يسار المسلمين وإعسارهم ، فإن كانوا في يسر أيسر هو على نفسه وعياله، وإن كانوا في شدة وقحط قتر على نفسه وعياله، وقد لاحظ الناس تشدد عمر على نفسه وعياله عندما حل الجذب بالناس وكانت الشدة، وإن عمر لا يتناول من الطعام – وهو أمير المؤمنين – ما يقويه على أداء الأعمال التي أثقلته، فتقدمت إليه حفصة وابن مطيع وعبد الله بن عمر فكلموه وقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق، قال : أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح ، ولكني تركت صاحبي على الجادة، فإن تركت جادتها لم أدركهما في المنزل، وأصاب الناس سنة-شدة- فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً حتى أحيى – أخصب – الناس.<sup>(٢٨)</sup>

وذكر النووي في المجموع أن عمر كان يأكل الخبز بالزيت عام الرمادة، فقرقر بطنه

٢٦- الخراج ابي يوسف ، ص ١٤١ .

٢٧- مصنف عبد الرازق، ١٠٣/٦ و ٣٧١/١٠ .

٢٨- الخراج ابي يوسف، مرجع سبق ذكره، ص ١٤١ .

فقال: قرقر ماشئت ، فلا يزال هذا دأبك ما دام السمن يباع بأوراقي.<sup>(٢٩)</sup>

وروي الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر كان يأكل خبزاً بسمن، فدعا رجلاً من أهل البادية، فجعل يأكل ويتبع بالقمة وضر الصحيفة - ما يعلق بها من أثر السمن - فقال عمر : كأنك مقفز ، فقال : والله ما أكلت سمناً، ولا رأيت أكلاً به منذ كذا وكذا ، فقال عمر : لا أكل السمن حتى يحيا الناس من أول ما يحيون.<sup>(٣٠)</sup>

ولم يكن عمر يحمل بيت المال أكثر من هذا، أما باقي نفقاته فإنه كان يحملها ماله الخاص ، فإن وفي ماله بذلك فيها ونعمت ، وإن لم يف لجأ إلى أصدقائه الموسرين الذين لا يجد حرجاً ولا ذلاً بالاستدانة منهم ، فاستدان ، وقد ذكر أبو عبيد في الأموال : أن عمر أرسل الي عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعمئة درهماً ، فقال عبد الرحمن أتستسلفني وعندك بيت المال؟ ألا تأخذ منه ثم ترده؟ فقال عمر : إنني أتخوف أن يصيبني قدري، فتقول أنت وأصحابك : أتركوا هذا الأمير المؤمن، حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ، ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي.<sup>(٣١)</sup>

فإن لم يجد عند هؤلاء الأصدقاء ما يقوم بحاجته لجأ إلى بيت المال، يستدين منه إلي وقت اليسار ، قال يرفأ - مولى عمر - قال لي عمر : أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم إن احتجت إليه أخذت منه، فإذا أيسرت قضيت.<sup>(٣٢)</sup>

ولم يكن سيدنا عمر يطبق هذا الالتزام الشديد تجاه أموال الأمة نفسه فحسب، بل على أقاربه أيضاً ، فقد لقي عمر ذا قرابة له - صهراً له - فعرض لعمر أن يعطيه من المال، فانتهره عمر وزجره ، فانطلق الرجل، ثم لقيه عمر بعد فقال له : أجئتني لأعطيك مال الله ؟ ماذا أقول لله إذا لقيتني ملكاً خائناً ؟ أغلا كنت تسألني من مالي ؟ فأعطاه من ماله مالاً كثيراً.

رحم الله عمر ، لقد كان يضع ماله دريئةً لمال الأمة .

وبلغ به الإمعان في الحفاظ على أموال الأمة أنه رد ما اشتراه ابنه من غنائم غزوة جلولاء، وقال : أنه يُحَابَا<sup>(٣٣)</sup> لأنه ابن أمير المؤمنين .

انتهاج السياسة الوسط التي لا تهاون فيها ولا شدة على الأمة : فقد قال عمر موجهاً أبا

٢٩- مصنف عبد الرزاق، ١١/٢٢٣.

٣٠- المجموع، ١٠/٢٢٨.

٣١- الموطأ، ٢/٩٣٢.

٣٢- أموال أبي عبيد، ٣٦٨.

٣٣- مصنف عبد الرزاق، ١١/١٠٥، وكنز العمال برقم ١١٦٧٣.

موسي الأشعري حين وجهه إلى البصرة : إياك والسوط والعصا، اجتنبهما حتى يقال : لين في غير ضعف، واستعملهما حتى يقال شديد في عنف.<sup>(٣٤)</sup> عدم إرهاب الجيش : لأن إرهاب الجيش يؤدي إلى هبوط الروح المعنوية والكفاءة القتالية فيه، وفي ذلك ما فيه من أسباب خذلان، ولأنه يؤدي إلى ضعف الثقة بالحاكم، قال عمر : ولكم عليّ ألا أتيكم في المهالك، ولا أحجزكم في ثغوركم<sup>(٣٥)</sup> وقال لبعض قواده : قاتلوا بهم - بالجنود - الكفار طاقتهم، فإذا رأيتم بهم كلاله فكفوا عن ذلك، فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم، وكتب إلي أبي عبيدة حين ولاة بعد عزل خالد رضي الله عنه : أوصيك بتقوي الله الذي يبقي، ويفني ما عداه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتكم على جند خالد غنيمة، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم، وتعلم كيف أتاه، ولا تبتع سرية إلا في كنف من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في التهلكة).<sup>(٣٦)</sup>

### ثانياً : حفظ الأموال التي تحت يد العامل في القانون :

أوجب القانون على العامل أن يحرص على وسائل الإنتاج الموضوعة تحت تصرفه وأن يقوم بجميع الإجراءات الضرورية لحفظها وصيانتها وينزل القانون في جمهورية مصر العربية ( أنه يجب على العامل أن يحرص على حفظ الأشياء المسلمة إليه لتأدية عمله ) وتنص المادة (٥٤) من قانون العمل الموحد الملغي على أنه : ( إذا تسبب عامل في فقد أو إتلاف أو تدمير مهيات العمل أو آلات أو منتجات يملكها صاحب العمل أو كانت في عهده وكان ذلك ناشئاً عن خطأ العامل وجب أن يتحمل المبلغ اللازم نظير ذلك).

وجاء في قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤م : ( يضمن العامل ما يصيب مال العمل من نقص وتلف أو فقد بسبب تقصيره أو تعديه).<sup>(٣٧)</sup>

٣٤- مغني ابن قدامه، ٨/٤٤٧.

٣٥- أخبار القضاة، ١/٢٨٥.

٣٦- الخراج أبي يوسف، ١٤١.

٣٧- المرجع السابق، ٦/١٠٢، ١٠/٢٧١.

## المبحث الثالث

### تعريف التأمين وأنواعه

#### المطلب الأول : تعريف التأمين لغة واصطلاحاً :

التأمين لغةً : أصل الأمنطمأنينة النفس وزوال الخوف وفي القرآن (وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ) ورجل أمن وأمان أي له دين وأمن البلد اطمئنان أهله، واستأمن فلان طلب منه الأمان ومنه قوله تعالى: ( قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) .<sup>(٣٨)</sup>

أما التأمين في الاصطلاح : يجدر بنا في معرض التعريف بعقد التأمين أن نشير إلي أن هنالك فرق بين نظام التأمين باعتباره فكرة ذات أثر اقتصادي واجتماعي تقوم على نظرية عامة وذات قواعد فنية وبين عقد التأمين باعتباره تصرفاً قانونياً ينشئ حقوقاً بين طرفين متعاقدين وعليه فإن نظام التأمين وفق التعريف القانوني ، كما جاء في المادة (٧٥) من قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٤م ، ( التأمين عقد يلتزم به المؤمن أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغاً من المال أو إيراد مرتباً أو أي مقابل آخر في حالة وقوع الحادث المؤمن ضده أو تحقق الخطر المبيح في العقد وذلك مقابل مبلغ محدد أو أقساط فورية يؤديها المؤمن له للمؤمن).

ويتضح من هذا التعريف أن التأمين عقد بين طرفين أحدهما وهو المؤمن والثاني وهو المؤمن له، يلتزم المؤمن له بدفع أقساط محددة ، يلتزم بموجبها المؤمن على دفع مبلغ من المال للمؤمن له في حالة وقوع حادث أو خطر<sup>(٣٩)</sup>، وهو ما ذهب إليه المشرع في قانون التأمين الاجتماعي لسنة ١٩٩٠م والمعدل في عام ٢٠٠٤م .

#### المطلب الثاني : نشأة نظام التأمين وأنواعه :

الحديث عن نشأة نظام التأمين الاجتماعي يدعونا إلى إلقاء نظرة على بعض المؤثرات التي كان لها الدور في بروز هذا النظام، معلوم أن الثورة الفرنسية التي قامت في أواخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٩م أسست لظهور المذهب الفردي الذي ينادي بالأحادية الفردية والذي كان له الأثر في بروز النظام الرأسمالي والذي يقوم على حرية النشاط الاقتصادي وظهور مبدأ سلطان الإرادة وما يتبعه من حرية التعاقد .

٣٨- سورة يوسف الآية (٦٤).

٣٩- مصنف عبد الرزاق، ١١/١٠٤.

ثم شهد العالم ظهور الثورة الصناعية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر وانتشارها وقد كشفت هذه الثورة عن مساوئ النظام الفردي والرأسمالي خاصة فيما يتعلق بحقوق العمال وزيادة المخاطر ، وأن نسب الفضل لتطور ونمو التأمين الاجتماعي للدول الأوروبية ألمانيا ، فرنسا ، بريطانيا ... الخ في هذا العصر ( إلا أن هذا النظام قد وضعت الشريعة الإسلامية أصوله الأولى وذلك بإعلاء قيمة التكافل الاجتماعي ، واثبات بعض الحقوق لعاملين برعايتهم وحمايتهم وتوفير الضروريات لهم وفق التقدير الشرعي العام ) .

### أنواع التأمين :

ينقسم التأمين من حيث الشكل إلى قسمين أساسيين :

**الأول :** تأمينتعاوني أو تبادلي .

**الثاني :** تأمين تجاري .

### التأمين التعاوني :

وهو أن يكتب مجموعة من الأشخاص يتهددهم خطر واحد بمبالغ نقدية على سبيل الاشتراك يؤدي منها تعويض لكل من يتعرض للضرر من هؤلاء ، والفكرة في ذلك هو أن تتولاه جمعيات التأمين التعاوني لا تستهدف بالربح ، وإنما التعاون لجبر الخطر والضرر الذي يلحق بأحد الأعضاء بتوزيعه عليهم جميعاً وقد أطلق على التأمين التعاوني اصطلاح التأمين بالاكنتاب أو التأمين التبادلي لأن الأعضاء أنفسهم مؤمنون ومؤمن عليهم<sup>(٤٠)</sup>.

### التأمين التجاري :

وهو ( التأمين الغالب وسمى تجارياً لأن الشركات والمؤسسات التي تقوم به لا تقصد سوى الربح عن طريق بيع التأمين للناس وفي هذا النوع يدفع المؤمن له مبلغاً من المال للمؤمن ) شركة التأمين ( على أن يتحمل تعويض الضرر الذي يصيب المؤمن له ) ، فإن لم يتعرض للضرر المحدد بعقد التأمين أصبح المدفوع حقاً للمؤمن ولا شئ للمؤمن له ، فإن لم يتعرض للضرر المحدد بعقد التأمين أصبح المدفوع حقاً للمؤمن ولا شئ للمؤمن له ، والفكرة الأساس في هذا النظام هو أن يتولى التأمين شركات أو مؤسسات لا صلة لها بمجموع المستأمنين المشتركين لديها وتقتصر صلتها بكل مستأمن على حده وفلسفة هذه الشركات هي بيع الأمن للناس بقصد الربح .

### **المطلب الثالث : التأمين من حيث الموضوع :**

ينقسم التأمين من حيث الموضوع إلى عدة تقسيمات منها :  
تأمين الأضرار وتأمين الأشخاص والتأمين الفردي والتأمين الاجتماعي .

#### **أولاً : تأمين الأضرار :**

وهذا يشمل التأمين البحري والنهري والجوي ويقصد به التأمين على المخاطر التي تحدث للسفن والطائرات ولما تحمله من بضائع كما يشمل التأمين البري وهو التأمين ضد الحوادث العامة، التأمين من المسؤولية وفيه يؤمن الشخص نفسه من الضرر الذي يصيبه، في حالة تحقق مسؤولية قبل المضرور، فشركة التأمين لا تعوض المضرور نفسه بل تعوض المؤمن له ثم يرجع على شركة التأمين بمقدار هذا التعويض .

#### **ثانياً : تأمين الأشخاص :**

وموضوع هذا التأمين هو الشخص المؤمن عليه إذ يتم التأمين ضد الأخطار التي تهدد الشخص في وجوده أو في سلامته، وهو يختلف أيضاً من حيث أن المؤمن يلتزم بأداء مبلغ التأمين إلى المؤمن له أو إلى المستفيد من التأمين بصرف النظر عن الضرر الذي يمكن أن ينتج من تحقق الحادث والخطر المؤمن منه، والتأمين من الإصابات وحالات التأمين على الحياة ثلاثة وهي :

**الصورة الأولى :** التأمين العمري : وفيه يدفع المؤمن مبلغ التأمين للمستفيد عن وفاة المؤمن على حياته فهو تأمين عمري يبقى طوال عمر المؤمن على حياته.<sup>(٤١)</sup>

**الصورة الثانية :** وفيه يدفع مبلغ التأمين للمستفيد إذا مات المؤمن على حياته في خلال مدة معينة، فإن لم يمض من خلال المدة المعينة برئت ذمة المؤمن واستبقى أقساط التأمين إلى قبضها .

**الصورة الثالثة :** تأمين البقيا : وفيه يدفع المؤمن مبلغاً التأمين للمستفيد إذا بقي حياً بعد موت المؤمن على حياته فإذا مات المستفيد قبل موت المؤمن على حياته انتهى التأمين وبرئت ذمة المؤمن من مبلغ التأمين واستبقى الأقساط التي قبضها .

**الصورة الرابعة :** التأمين المختلط : وهو عقد بموجبه يلتزم المؤمن في مقابل أقساط بأن يدفع مبلغاً التأمين، رأس مال أو إيراد مرتب إلى المستفيد، إذا مات المؤمن على حياته خلال مدة معينة.<sup>(٤٢)</sup>

٤١- انظر د. هشام رفعت، عقد العمل في الدول العربية، ص ١٥٥.

٤٢- المادة ٢/٤٠٤.

## المبحث الرابع

### التأمين من الإصابات وخصائصه الشرعية

وهو عقد بمقتضاه يدفع المؤمن، في مقابل قسط للمؤمن له مبلغ التأمين إذا تحققت الإصابة المؤمن منها، كأن يموت في حادث مفاجئ أو يصاب في جسمه إصابة تعجزه عن العمل عجزاً دائماً أو مؤقتاً، ويلحق بالتأمين من الإصابات من المرض وفيه يؤمن الشخص نفسه من العجز عن العمل الذي يترتب على المرض وتدخل في ذلك نفقات العلاج .

**التأمين من حيث العموم والخصوص وينقسم إلى تأمين فردي واجتماعي :**

#### الأول : التأمين الفردي :

يكون فيه المؤمن طرفاً مباشراً في العقد حيث يتولي مباشرة العقد ليؤمن على نفسه من خطر معين لمصلحته الشخصية وهي طلب الأمان لدى شركة من شركات التأمين والتي هي شركات تجارية تهدف إلى الحصول على الربح في ظل نظام التأمين .

#### الثاني : تأمين اجتماعي :

يرمي إلى تأمين مجموعة من الأفراد يعتمدون على كسب أيديهم من بعض الأخطار التي قد يتعرضون إليها كالمرض والشيخوخة والبطالة والعجز فهو يهدف إلى تغطية الأخطار الاجتماعية وتهدف إلى تحسين وضع ومستقبل طبقة من طبقات الشعب العامة .

#### خصائص التأمين الفردي والاجتماعي :

يتميز بأنه نظام يقتصر على فئات معينة لفرض الحماية على فئات معينة إذا ما عجزت عن الكسب بينما التأمين الفردي لا يتحدد بفئة معينة، فهو رخصة مباحة لكل شخص في المجتمع، بينما الاجتماعي إلزامي لفئة، أيضاً يتميز بفكرة التكافل الاجتماعي بينما الفردي يقوم على فكرة المشاريع التجارية، أما أقساط التأمين في النظام الاجتماعي لا يتحملها العامل وحده بل ورب العمل أيضاً بالإضافة إلي مساهمة الدولة بنسبة أخرى بينما التأمين الفردي يتحمل فيها المؤمن نفقات دفع الأقساط لوحده.<sup>(٤٢)</sup>

#### المطلب الثاني : عقد التأمين في ضوء الشريعة الإسلامية :

يرد التعامل بنظام التأمين إلى القرن السادس عشر الميلادي وقد بدأ في نطاق التأمين البحري بسبب المخاطر التي كانت تتعرض لها السفن وما تحمله من بضائع وكان في بدايته نظاماً بين تجار البندقية في إيطاليا ثم توسع بعد ذلك ليشمل الكثير من نواحي

٤٢- نقلاً عن كتاب الموجز في قوانين العمل، للدكتور إبراهيم أحمد محمد الصادق الكاروري، ص ١١١.

الحياة ، وظهرت الشركات التأمينية التي هيمنت على سوق التأمين وفرضت سياسات استغلالية تمثلت في دفع رسوم باهظة والتنصل من دفع التأمينات في حالة الحرب .

أما ورود ذكر التأمين في مصنفات فقهاء المسلمين فإنه ينسب للعلاقة للعلامة محمد ابن عابدين رحمه الله، عندما وصف عقد التأمين وسماه السوكرة وجاء في باب المستأمن من كتاب الجهاد وذلك أن بعض الوكلاء التجاريين الأجانب يدخلون إلى دار الإسلام، ومستأمنين ويعقدون صفقاتهم مع السوكرة عليها، ثم يقول : ( وبما قررناه يظهر جوانب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو أنه جرت العادة أن التجار إذا استأجروا مركباً من حربي يدفعون له أجرته ويدفعون أيضاً مالاً معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده يسمى ذلك المال سوكرة ) على أنه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابل ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا يقيم في بلاد السواحل الإسلامية يقبض من التجار مال السوكرة أي ( قسط التأمين ) وهكذا سار نظام التأمين متدرجاً حتى برز في صورته المعاصرة.<sup>(٤٤)</sup>

ويمكن إجمال أقوال الفقهاء في عقد التأمين في الآتي :

#### ١ / القول ببطالان عقد التأمين بجميع أنواعه :

وهذا الفريق يذهب إلى حرمة عقد التأمين ولا يحل فيه أخذ التعويض من جانب المؤمن له وأخذ القسط من جانب المؤمن له ويستدلون بأن عقود التأمين الحالية نوع من الميسر باعتبار أن الميسر وفق التعريف هو : كل عقد يكون فيه أحد العاقدين عرضة للخسارة بلا مقابل يناله من العاقد الأخير الرابع .

ثم هي نوع من بيع الفرر الذي حرّمته الشريعة الإسلامية وهو بيع الأشياء الاحتمالية الذي لا تدري عاقبته هل تحصل أم لا ، كبيع السمك في الماء والطير في الهواء، ويشتمل على الربا وهو أكل أموال الناس بالباطل ففي حالة عدم حصول الكارثة فإن المؤمن يستحق القسط دون القيام بفعل مقابل- وعند وقوع الكارثة فإن المؤمن له يستحق مبلغ التأمين وإن زاد على ما دفع مقابل من القسط .

#### ٢ / القول بالجواز إذا خلا من الربا :

وقد ذهب إلى هذا القول مصطفى الزرقا ونفى ما أورده المانعون ، ومن الأدلة التي يذهب إليها المجيزون أن عقد التأمين يمكن إلحاقه بعقد الموالاة والذي يقوم على أن يقول مجهول النسب للعربي أنه ولي تعقل عني إذا جنيت وترثني إذا مت. وهو يماثل ضمان خطر

٤٤- المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣ .

الطريق عند الحنفية مثل أن يقول شخص أسلك هذا الطريق وإن أصابك شئ فأنا ضامن، وأيضاً اعتمدوا على قاعدة الوعد المبرم عند المالكية وأيضاً الاستناد على نظام العواقل في الإسلام حيث أن الدية توزع على أفراد عائلة القاتل في حال عدم القصاص.<sup>(٤٥)</sup>

### بيان ما اتفق عليه فقهاء الشريعة :

اتفق الفقهاء من حيث المبدأ على قبول فكرة التأمين القائمة على التعاون بين المؤمن لهم والذي يشكل وحدة الأساس المشترك بالنسبة للتأمين بجميع أنواعه، وعلى أن التأمين من الحاجات العصرية الملحة واتفقوا على أن عقد التأمين بصورته المعروفة حالياً هو عقد مستحدث واختلفوا في إلحاقه بالعقود الشرعية المعروفة كالكفالة والمضاربة وولاء الموالاة ونظام العواقل والوعد الملزم والأكثرين على عدم الإلحاق، بينما ذهب البعض إلى الإلحاق وتقدمت أدلتهم واتفق الفقهاء على نوعين من التأمين هما التأمين التعاوني والتأمين الحكومي في صورتين منه هما : التعاقد والمعاش ونظام التأمينات الاجتماعية .

### فمن حيث التأمين التعاوني :

هذا النوع يحقق مصالح كثيرة أمر بها الشرع، فهو يحقق التعاون وقد أمرنا الله تعالى في قوله: ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى )<sup>(٤٦)</sup> ويحقق الحذر الذي أمرنا به الله ومن المكروه كما في قوله تعالى: ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا )<sup>(٤٧)</sup>، فهو يقي من الضرر ولا يوقع ضرراً وهو ما حث عليه الشرع وفق قاعدة ( لا ضرر ولا ضرار ) .

أما من حيث التأمين الحكومي ( في صورة نظامي المعاشات والتأمينات الاجتماعية ) نجدها معاملة إلزامية أساسها التعاون وتختص بفضة معينة وتشتمل على معاوضة وهذا ما عبر عنه الإمام ابن حزم الظاهري بقوله : ( المفسدة المفضية إلى تحريم إذا عارضتها مصلحة أو حاجة راجحة أبيض المحرم ) وجاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي حول التأمين بشنتي صورته وأشكاله الموافقة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم (٥١) وتاريخ ١٣٩٧/٤/٤م من جواز التأمين التعاوني بدلاً من التأمين التجاري المحرم.<sup>(٤٨)</sup>

٤٥- انظر أ.د. حاج آدم حسن الطاهر ، عضو هيئة المظالم والحسبة العامة منتدباً لها من وزارة العدل، تولى عدداً من المناصب الرفيعة بجمهورية السودان، لديه عدد مقدر من المؤلفات منها نظرات ومحاضرات في قانوني العمل والتأمينات الاجتماعية، ص٥٣ وما بعدها.

٤٦- سورة المائدة، الآية (٢).

٤٧- سورة النساء، الآية (١٠٣).

٤٨- المصدر السابق نفسه، ص٥٤.

## الخاتمة :

### وتشتمل على :

#### أولاً : أهم النتائج :

١. للعمل في الإسلام قيمته ومكانته وقد أتت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحث على العمل وتعلو من شأن العاملين .
٢. قد اتصل العمل بحياة الإنسان وبتطوره الحضاري منذ أقدم العصور وذلك لتأثيره المباشر في حركة الحياة ونموها فقد ذهبت بعض النظم الاقتصادية إلي التحويل على عقد العمل باعتباره العنصر الأساسي للإنتاج .
٣. تعتبر علاقات العمل وما يتعلق بها من أحكام من أهم القضايا التي أثارها فلسفة الإنسان وظلت تؤثر في نظر المفكرين والمشرعين ودعاة حقوق الإنسان وهذا بدوره أدى إلي حدوث ثورة في تنظيم العلاقة بين المخدم والمستخدم .
٤. التأمين جازر شرعاً إذا خلا من الربا والغرر .
٥. التأمين الحكومي المتمثل في المعاش والتأمينات الاجتماعية جازر .
٦. أظهر أنواع التأمين جوازاً هو التأمين التعاوني التكافلي .

#### ثانياً : التوصيات :

٧. كما يهتم شرع القانون بحقوق العامل، وجب الاهتمام بحقوق صاحب العمل واتخاذ تدابير احترازية تحمي الطرفين، والنظر للعامل لاعتباره الطرف الأضعف فتح المجال واسعاً في اتخاذ إجراءات قضائية ضده تكلفه الكثير وهذا بدوره يساعد على تدمير رأس المال الوطني وتحجيم فرص العمل وسعي أصحاب رؤوس الأموال نحو العمالة الأجنبية .
٨. أوصي بمراجعة عقود التأمين لأن هنالك تعويضاً يؤخذ من جانب المؤمن ولا يؤخذ من جانب المؤمن له، وهذا النوع يكون فيه أحد المتعاقدين عرضة للخسارة بلا مقابل يناله من العاقد الآخر .
٩. عقود التأمين هي نوع من بيوع الغرر الذي حرمته الشريعة الإسلامية وهو بيع الأشياء الاحتمالية الذي لا تدري عاقبتها هل تحصل أم لا .
١٠. أيضاً عقد التأمين فيه شبهة الربا وهو أكل أموال الناس دون وجه حق ففي حالة عدم حصول الكارثة فإن المؤمن يستحق القسط دون القيام بعمل مقابل .

## عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي

### (دراسة مقارنة)

إعداد : د. علي حسين الجيلاني حسين<sup>(1)</sup>

#### مستخلص الدراسة

في هذه الدراسة سوف أتناول مفهوم عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، وذلك بدراسة تعريف عقد إجارة الأشخاص في اللغة والإصطلاح الفقهي، ومن ثم تطور عقد الإجارة في الشريعة الإسلامية وأهميتها، وبعد ذلك أتعرض لتمييز عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي عن غيره من العقود المشابهة له - مثل عقد إجارة الأعيان، وعقد الوكالة، وعقد المقاولة، وعقد البيع- ومن ثم نتناول أركان عقد إجارة الأشخاص، وذلك بتناول ركن الصيغة وركن العاقدين، وبعد ذلك أذكر عدد من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من هذه الدراسة. إستخدمت الدراسة المنهج الإستقرائي التحليلي، والمنهج التاريخي، بجانب المنهج المقارن.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن هناك بعض المسائل والأحكام التي باتت تفرضها مستجدات ومعطيات التطور في القرن الماضي، تحتاج الى معالجة، كالأحكام والضوابط المتعلقة بتنظيم، وغيرها، إذ تبدو الحاجة لبيان موقف الشريعة الإسلامية منها، بغية تبنيها وإدراجها ضمن أحكام القوانين المتعلقة بالعمل، وهو ما يجعل بدوره الشريعة الإسلامية مصدراً لتلك القوانين، ومن أهم التوصيات التي أوصي بها ضرورة البحث في المسائل المستجدة في العصر الحديث من خلال أحكام الفقه الإسلامي، وذلك لإيجاد قواعد وأحكام لهذه المستجدات ووجود أساس شرعي لها، حتي تتماشى مع العصر الحالي. والنظر الي أهمية العمل في الحياة الإجتماعية والإقتصادية، والحث على بث روح الإجتهد وسط أفراد المجتمع، وذلك للعمل على نهضة البلاد وتقدمها، والعمل بما جاء في الكتاب والسنة من أوامر بالعمل والسعي للكسب المشروع.

١- د. علي حسين الجيلاني حسين جامعة الجزيرة - كلية القانون

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من أهدى بهديه وأستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

إن عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي أو ما يعرف في الفقه القانوني المعاصر (بعقد العمل) أصبحت من المواضيع التي تُحظى بأهمية بالغة في الوقت المعاصر، ومن هنا كان البحث في هذا الصدد عن الإجارة في الفقه الإسلامي، وفي هذه الدراسة أتعرض للأحكام التي تتعلق بإجارة الأشخاص دون غيرها من الأحكام المتعلقة بإجارة الأعيان، وذلك من حيث أن عقد الإجارة عموماً في الفقه الإسلامي ينقسم إلى نوعين: إجارة أشخاص وإجارة أعيان، على اعتبار أن إجارة الأشخاص هي التي تعنيها في هذه الدراسة، من هنا جاء إختيار هذا الموضوع.

## أهمية الدراسة :

تأتي أهمية الموضوع انطلاقاً من أهمية الإجارة بصورة عامة، إجارة الأشخاص وعلى وجه الخصوص في الفقه الاسلامي، وما حظيت به من أحكام فقهية ثرة وردت في مصادر الشريعة الإسلامية، إضافة إلى إجتهدات الفقهاء القدماء والمحدثين، ولكن عندما بدأت التشريعات الحديثة التي تناولت (عقد العمل) مع مطلع القرن الماضي في الظهور والتطور، أخذ الأمر يتصور في فهم الكثير من الشراح على غير ما هو عليه، من أن الفقه الإسلامي لم يحافظ على حقوق الأجير بالصورة التي وفرتها له أحكام التشريعات الحديثة والإتفاقيات الدولية والإقليمية، من هنا برزت الأهمية الملحة لتوضيح أحكام عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، وشمولها وأحتوائها لكل الحقوق التي تحافظ على مصالح الطرفين في هذا العقد.

## أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة للنظر في أحكام عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، وبيان الأهتمام الكبير الذي أولته الشريعة الغراء للعمل في المجتمع المسلم، بحيث جعلت منه واجب وشرف وكرامة يرتقي إلى مصافة العبادة، وفي المقابل الاهتمام بالأجير وحقوقه التي يجب أن ينالها مقابل عمله، والواجبات التي ينبغي أن يقوم بها، وحقوق أرباب العمل، وبحيث أوجد الفقه الإسلامي نظاماً يحافظ ويوازن بين مصلحة المجتمع في التنمية والإعمار، ومصلحة الأجير في حصوله على أجره، وحقوق رب العمل في الحصول على المنفعة.

## منهج البحث :

تنتهج الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الإستقرائي التحليلي المقارن مع المنهج التاريخي بحيث يرجع الي المصادر الأصلية في الفقه الإسلامي، والمقارنة كلما كانت هناك ضرورة، لا سيما أحكام التي جاءت في القانون السوداني.

## مشكلة الدراسة :

أن مشكلة الدراسة تكمن في أن هناك عدم اهتمام- من قبل البعض- بالأحكام المتعلقة بعقد إجارة الأشخاص التي جاءت في الفقه الإسلامي، وتصويرها من جانب بعض الشراح في العصر الحاضر بأنها لا تتماشى مع ما جاءت به التشريعات المعاصرة من أحكام عقد العمل، وعدم وضوحها بالصورة التي تجعل منها نظاماً متكاملًا. ومن هنا يمكن صياغة مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

١/ ما هو مفهوم عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، وإلى أي مدى يتشابه أو يختلف مع ما جاءت به عقد العمل في التشريعات المعاصرة؟

٢/ ما هي الإختلافات التي يختص بها عقد إجارة الأشخاص عن العقود الأخرى، بحيث جعل منه عقد له خصوصيته وأحكامه المتعلقة به؟

٣/ مما يتكون عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، بحيث تشكل أركان يقوم بها، وينعدم بعدمها؟.

## هيكلية الدراسة :

ونتعرض لهذا الموضوع من خلال التقسيم التالي:

المبحث الأول: مفهوم عقد إجارة الأشخاص:

المطلب الأول: تعريف عقد الإجارة.

المطلب الثاني: أهمية العمل وأهدافه في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: تمييز عقد العمل عن العقود الأخرى :

المطلب الأول: عقد إجارة الأشخاص وعقد إجارة الأعيان.

المطلب الثاني: عقد الإجارة وعقد الوكالة.

المطلب الثالث: عقد العمل وعقد المقاولة.

المطلب الرابع: عقد الإجارة وعقد البيع.

المبحث الثاني: أركان العلاقة التعاقدية في عقد الإجارة :

المطلب الأول: الصيغة.

المطلب الثاني: العاقدان.

المطلب الثالث: المنفعة.

الخاتمة.

النتائج.

التوصيات.

المصادر والمراجع.

## المبحث الأول مفهوم عقد إجارة الأشخاص

### المطلب الأول: تعريف عقد الإجارة :

العقد لغة ، العهد ، وهو عكس الحل ، والجمع عقود ، وعاقدته أو عقدت عليه أي أزمته ذلك بإستيثاق<sup>٢</sup> ، والعقد الضمان والعهد<sup>٣</sup> ، والعقد : العهد وما عقد من إتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كل منها تنفيذ ما إتفقا عليه<sup>٤</sup> .

أما العقد في الإصطلاح فيميز بعض الفقهاء بين الإتفاق والعقد ، بأن الإتفاق هو توافق إرادتين أو أكثر على إنشاء التزام أو نقله أو تعديله أو إنهائه ، ومثل الإتفاق على تعديل التزام ، الإتفاق على إقتران أجل بالالتزام أو إضافة شرط له ، أما العقد فهو أخص من الإتفاق فلا يكون عقداً إلا إذا كان منشئاً للالتزام أو ناقلاً له ، فإذا كان يعدل الالتزام أو ينهيه ، فهو ليس بعقد<sup>٥</sup> .

الإجارة لغة : مأخوذة من أجر يأجر ، وهي ما أعطيت من أجر في عمل وأجر الملوك بأجرة إجرا ، فهو مأجور ، وأجرة يؤجره إيجاراً ومؤاجرة ، وأجرت عبدي أوجرة إيجاراً فهو مؤجراً ، وأجر الإنسان وإستأجره ، والإجير : المستأجر وجمعه أجراء ، والأسم منه : الإجارة<sup>٦</sup> . والإجارة لغة مشتقة من الأجر وهو الجزاء على العمل ، الأجر الجزاء على العمل وجمعه أجور ، والإجارة من أجر يأجر ، وهو ما أعطيت من أجر في عمل<sup>٧</sup> ، والأجرة : الكراء ، تقول أستأجر الرجل فهو يأجرني أي يصير أجيرني ، وأتجر عليه بكذا من الأجر فهو مرتجر ، ومعناه أستؤجر على العمل ، وأجره الدار أكرها<sup>٨</sup> .

ونري أن الإجارة في اللغة مأخوذة من أجر يأجر ، وهو المشهور في اللغة ، ومنها الإجير والأجراء ، والأجر وهو المقابل على العمل ، وجمعه أجور .

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الرابع ، الجزء ٢٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٠٣٠ .

٣- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للتأليف ، دار بيروت للنشر ، بيروت ، د.ت ، باب العين .

٤- المعجم الوسيط ، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث العربي (ج.م.ع) ، الطبعة الرابعة ، مطبعة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م ، ص ٦١٤ .

٥- عاطف محمد عبد الله الحاج ، الحاجة الماسة في قانون إيجار المباني لسنة ١٩٩١م ، دار وادي النيل للطباعة والنشر والتوزيع ، الخرطوم ، ٢٠٠٨م ، ص ٦ .

٦- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .

٧- ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٠ .

٨- أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، الطبعة الأولى ، ص ٩ .

والإجارة في اصطلاح الفقهاء ، بمعنى بيع المنفعة المعلومة في مقابلة عوض معلوم<sup>٩</sup> ، وهي كذلك تملك المؤجر للمستأجر منفعة مقصودة من العين المؤجرة في نظر العقلاء بعوض يصلح أجرة<sup>١٠</sup> .

ونجد أن فقهاء المذاهب الأربعة قد أوردوا تعريفات متعددة لعقد الإجارة في الفقه الإسلامي، وعلى الرغم من الاختلاف في صياغة تلك التعريفات إلا أنها في الواقع تحكي عن توافق في التعريف مع إيراد بعض القيود التي يراها البعض ضرورية، وسوف نتناول تلك التعريفات تباعاً.

فيقصد بالإجارة اصطلاحاً عند الحنفية : « بيع المنفعة المعلومة في مقابل عوض معلوم »<sup>١١</sup> .

ويعرفها المالكية بأنها : « بيع منافع معلومة بعوض معلوم مع خروج فسادها »<sup>١٢</sup> . ونجد أن المالكية قد خصصوا لفظ الإجارة بالعقد علي منافع الآدمي وكل ما يقبل الانتقال غير السفن والحيوان ، ولفظ كراء حيث قالوا الإجارة والكراء شئ واحد في المعنى غير أنه يطلق علي العقد علي منافع الآدمي ، وما ينقل من غير السفن والحيوانات إجارة، وعلي العقد علي منافع ما لا ينقل كالأرض والدور وما ينقل من سفينة وحيوان لفظ كراء غالباً<sup>١٣</sup> .

وعلى كل فهم قد عرفوا الإجارة : « بأنها عقد تملك منافع شئ مباح مدة معلومة بعوض غير ناشئ عن المنفعة » ، ومثلها الكراء فإنهم عرفوه بهذا التعريف أيضاً لما عرفت معني الإجارة والكراء واحد وإنما الاختلاف في التسمية، فقولهم تملك يشمل العقود التي تفيد التملك من إجارة، وبيع، وهبة، وصدقة، ونكاح، وجعل، ومضاربة، ومساقاة، فإنها كلها تفيد التملك، ويشمل أيضاً تملك الأمة المحللة وهي المستعارة التي يعقد عليها مستعيرها ليحلل نكاحها، وقولهم منافع شئ خرج به البيع والهبة والصدقة لأنها تفيد تملك ذات الشئ لا منافعه، والمراد بالشئ ما يصح أن تستأجر منفعته سواء كان آدمياً أو حيواناً أو ثياباً أو أواني أو غيرها مما تقدم قريباً، وكذلك يخرج به عقد النكاح لأنه يفيد تملك منفعة البضع وإنما تملك الانتفاع ولا يلزم من تملك الانتفاع تملك المنافع كما

٩- مجلة الأحكام العدلية ، ألفتها لجنة مكونة من عدد من العلماء والفقهاء في الخلافة العثمانية ، ص ٧٢ .

١٠- محمد قدرى باشا ، مرشد الحيران الي معرفة أحوال الإنسان ، المطبعة الكبرى الأميرية ، القاهرة ، ١٨٩١م ، مادة ٤٧٠ .

١١- علي بن إبي بكر الميرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الجزء الرابع، ص ٥ .

١٢- محمد بن محمد الطرابلسي المعروف بالحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، مكتبة النجاح، طرابلس،

الجزء الخامس، ص ٢٨٩ .

١٣- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، مرجع سابق، ج ٤ ص ١ / ٢ .

في المنكوحة بشبهة ولها زوج فإن المهر الذي يجب لها تأخذها هي لا الزوج، وقولهم منفعة مباحة خرج به تمليك منفعة الأمة المحللة التي ذكرت، فإن العقد عليها لا يسمى إجارة لن منفعتها المقصودة من العقد - وهي الوطاء - غير مباحة، وقولهم مدة معلومة خرج به الجعل كما إذا جعل قدراً من المال لآخر في نظير أن يحضر له خيلة الضالة فإن المدة فيه غير معلومة، وقولهم غير ناشئ عن المنفعة خرج به المساقاة والمضاربة لأن العوض ناشئ عن المنفعة، فإن العامل يدفع للمالك أجره أرضه أو شجرة من الثمرة<sup>١٤</sup>.

أما الشافعية فقد عرفوها كالاتي: « عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة بعوض معلوم »<sup>١٥</sup>. وذهب بعض التعاريف عند الشافعية الي القول « قابلة للبدل والإباحة لإخراج عقد النكاح لأنه عقد علي منفعة البضع فهذه لا يصح بدلها لغير العاقد »، وبذلك تخرج العقود المشابهة لعقد الإجارة والتي تفيد تمليك المنافع، مثل الجعالة والمساقاة والمضاربة والقراض، وهبة المنافع والوصية بها وإعارتها، ويخرج أيضاً الإجارة الفاسدة، وهي الإجارة علي منفعة محرمة أو منفعة غير مقصودة أو المجهولة فيها المنفعة<sup>١٦</sup>.

في حين تعرف لدى الحنابلة بأنها: « عقد على منفعة مباحة معلومة تؤخذ شيئاً فشيئاً »<sup>١٧</sup>. وعُرفت أيضاً بأنها: « عقد على منفعة مباحة معلومة لمدة معلومة من عين أو موصوفة في الذمة أو عمل معلوم بعوض معلوم »<sup>١٨</sup>.

ومما تقدم في المذاهب الأخرى تعرف العقود التي خرجت عن التعريف كالبيع والهبة والصدقة ونحو ذلك مما يكون العقد فيها على العين لا المنفعة، وكذلك العقود على ما لا يباح ونحو ذلك.

وعليه، فإن إستفادة شخص ما من عمل شخص آخر يعد من قبيل المنفعة المعلومة التي يستحق مقدمها عوضاً أو أجراً معيناً، فالشخص الذي يستفيد من عمل آخر هو « المستأجر » يقابل صاحب العمل في مفهوم القوانين الوضعية المعاصرة وعرف هذه الأيام، والآخر

١٤- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة-قسم المعاملات، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص٩٤  
١٥- محمد بن محمد الخطيب الشربيني، معنى المحتاج الي معرفة أفاظ المنهاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الجزء الثالث، ص٢٨٧.

١٦- الإمام السيد البكري، إعانة الطالبين، مطبعة إحياء الكتب العربية/ عيسى بالبابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٠٩.

١٧- منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقتناع، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٢م، الجزء الخامس، ص١٧٧٣.

١٨- عبد القادر بن عمر التغلبي السيباني الجنبلي، نيل المآرب بشرح دليل الطالب، دار إحياء الكيتب العربية، القاهرة، الجزء الأول، ص٢٢١.

الذي يعمل لقاء أجر هو « الأجير » يقابل العامل<sup>١٩</sup>، والعلاقة بينهما هي ما تعرف بعقد العمل، والذي يقصد به بحسب ما تعرفه القوانين الوضعية: « عقد يلتزم أحد طرفيه بأن يقوم بعمل لمصلحة الآخر تحت إشرافه أو إدارته لقاء أجر »<sup>٢٠</sup>.

ونري في خلاصة القول : أن تعريفات الفقهاء جميعاً متقاربة في المعنى وإن اختلفت في عباراتها.

أما في القانون السوداني..، فقد عرف قانون العمل لسنة ١٩٩٧م عقد العمل بأنه : « يقصد به أي عقد سواء كان مكتوباً أو شفويّاً، صريحاً أو ضمناً، يستخدم بمقتضاه أي شخص تحت إشراف وإدارة صاحب العمل مقابل أجراً أياً كان نوعه على ألا يشمل عقود التلمذة الخاضعة لأحكام قانون التلمذة الصناعية والتدريب المهني لسنة ١٩٧٤م »<sup>٢١</sup>.

ونلاحظ الفقه الإسلامي في تعريفه لعقد الإجارة أورد ما يفيد تعهداً ضمناً من طرفيه بالالتزام الكامل بحقوق و ضمانات وشروط العمل الأخرى المقررة بقانون العمل وأنظمته سواء ذكرت في العقد أو لم تذكر، في حين أن التعريفات التي وردت في الفقه الإسلامي جاءت في مجملها لتعبر عن قيام عقد الإجارة - إجارة الأشخاص - على المنفعة والعيوض بصورة أساسية، وقد أورد بعض الفقهاء مجموعة من القيود والخصائص من خلال تعريفاتهم لعقد الإجارة ، في حين ذكر بعض الفقهاء قيوداً أخرى، وكل ذلك نراه لا يؤثر كثيراً في التعريف.

والتعريف الذي نختاره لعقد الإجارة الشرعية الصحيحة هو : « أنه عقد علي منفعة ، مقصودة ، مباحة ، معلومة ، بعوض معلوم » . وبذلك تخرج العقود المشابهة لعقد الإجارة والتي تفيد تمليك المنافع ، مثل الجعالة والمساقاة والمضاربة والقراض ، وهبة المنافع والوصية بها وإعارتها .

### المطلب الثاني: أهمية العمل وأهدافه في الشريعة الإسلامية :

إن فلسفة الإسلام في تقرير الحقوق هنا فلسفة تصلح لكل زمان ومكان ، إذ لم يقر الإسلام هذه الحقوق في أطر أو قوالب جامدة بل تركها للمسلمين يقررونها علي ضوء أحكام الكتاب والسنة وإجتهد علماء الأمة ، فالمصالح التي تتبدل يوماً أثير يوم بفعل التطور الطبيعي للحياة البشرية تجد في الشرع الإسلامي متسعاً لإستيعابها في كل وجوه

١٩- جاء في المادة (٤١٢) من مجلة الأحكام العدلية، ما نصه : « الأجير الذي أجر نفسه » .

٢٠- د. هيثم حامد المصاورة، التشريع العمالي الإسلامي، دار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٨ .

٢١- قانون العمل لسنة ١٩٩٧م ، المادة (٤) .

الحياة وتبدو مظاهر هذا الحق وصور حمايته في الدستور والقانون ، لكل ما تقدم يتجلى حرص الإسلام علي حماية الملكية وضمان الكسب المشروع ، فعلى هذه القيم ، قيم دين الإسلام بنى الرسول صلي الله عليه وسلم دولة الإسلام بخصائص دولة توحيدية تحريرية، طالما أن العدل يعني أن يوحد الولاء لله فإن توحيد الولاء سيحرر الناس ، فهي دولة تصل للحرية عن طريق التوحيد وتبطل الإسترقاق والإستكبار معاً ، وأنها دولة قانون يحتكم فيها الناس حكماً ومحكومين الي شريعة معلومة ذات قواعد موضوعية<sup>٢٢</sup>

فكلمة عمل، سواء كانت تعني عملاً يدوياً أم عملاً عقلياً أخروياً، وردت في الكثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية، وهي تحض على العمل وتعلي مكانة العاملين، حيث أن النبي صلي الله عليه وسلم ألقني بعامل فرأى في يده خشونة فقال له : « ما هذا أرى في يدك؟»، فقال العامل: «إنه أثر المسحاة أضرب وأنفق على عيالي»، فقبل صلى الله عليه وسلم يده وقال: « هذه يد لا تمسها النار»، وفي رواية أخرى : « هذه يد يحبها الله ورسوله»، نبي الله وقائد أمة يقبل يد عامل خشنة قد يأنف قادة اليوم من دعاة المذاهب الوضعية أن يصفحوها<sup>٢٣</sup> .

وحيث نجد إن الإسلام قد إهتم بالعمل ، لأن قيمة الإنسان لا تقاس إلا بالعمل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن قيمة كل أمرئ في المجتمع بما يقدمه لربه وللناس من عمل ، كما ان الشريعة الإسلامية رفعت شأن العمل الي مصاف العبادات والواجبات الدينية الأساسية ، حيث يقول الله تعالى: « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »<sup>٢٤</sup> ، وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »<sup>٢٥</sup> .

والعمل قيمة إيجابية يحرص عليها الإسلام نظراً لما فيه من تحقيق صالح المجتمع يقول صلي الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خيرٌ وأحب الي الله من المؤمن الضعيف »<sup>٢٦</sup> .

وحض الإسلام علي العمل، والكسب عن طريق العمل، وبالوسائل الشريفة، وشجع الإسلام

٢٢- التجاني عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، معهد البحوث والدراسات الإجتماعية، الخرطوم، ١٩٩٥م ، ص٨٥ .

٢٣- د. جمال الدين عياد، نظم العمل في الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٩ .

٢٤- سورة الجمعة ، الآية (١٠) .

٢٥- مختصر صحيح البخاري ، د. مصطفى ديب البغا ، الطبعة الخامسة ، دار العلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، ١٩٩٤م ، ٣ / ٧٤ .

٢٦- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، دار سننون ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ١٢ / ١٣٩٥ .

الحافظ والمبادرة الفردية، والغنى نعمة من نعم الله، والمطلوب من الغني أن يعرف حق الناس وحق الله فيما أعطاه، إن المذموم في الإسلام هو الترف أي بطر النعمة، وحث الإسلام علي طلب العلم، وأول ما نزل من القرآن الكريم: « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ »<sup>٢٧</sup>، والقراءة في الإسلام، والعلم في الإسلام، والعمل في الإسلام، يجب أن يكون « باسم الله »، « من أجل الكل »، « من أجل الدنيا والآخرة »، ولقد أمر الإسلام بالنصح لأولي الأمر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالنقد البناء المخلص ليس مجرد إباحة أو رخصة أو حق، بل إنه - في الإسلام - فرض<sup>٢٨</sup>.

وإذا كان الإسلام قد اعتبر العمل واجباً علي الفرد إذ لا يباح له أن يعيش علي التسول أو السلب أو النهب، وقد شددت الشريعة النكير علي السائلين من غير حاجة، قال الرسول صلي الله عليه وسلم: « من فتح علي نفسه باباً من التسول فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر »<sup>٢٩</sup>.

وكذلك بغضت الشريعة السؤال، لأنه ذل ومهانة، وإهدار للكرامة الإنسانية، وتعطيل للقوي البشرية والمواهب الإبداعية

، وسبيل الي الخداع والإحتيال، إذ يحمل السؤال السائل الي التظاهر بالعاهاات والأمراض، والفقر والمسكنة، وحتى يستدر عطف الناس وبرهم، قال عليه الصلاة والسلام: « من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر »<sup>٣٠</sup>، وعلي ذلك حثت الشريعة الناس علي العمل، فإذا لم يتمكن الإنسان من الحصول علي عمل من الأعمال فيجب علي الدولة الإسلامية أن تهيب له عملاً مناسباً، وان تحمي حقوقه، وان تعد أفراد الرعاية أعداداً فنياً وعلمياً وأن تنشئ لهم المراكز التدريبية، لتمكنهم من النهوض بواجباتهم الكفائية<sup>٣١</sup>.

ونري أن كل ذلك جعل عقد الإجارة محل إهتمام الفقهاء المسلمين، حيث أخذوا يفصلون أحكامه ويوضحون تفاصيله بشتي صورته وأقسامه، ولا شك أن عقد الإجارة قد أخذ حيزاً كبيراً عند فقهاء الإسلام، الأمر الذي جعل منه باباً أساسياً في الفقه الإسلامي، وهو يؤكد أن الشريعة الإسلامية وأحكامها صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

٢٧- سورة العلق، الآية (١).

٢٨- القطب محمد القطب طليله، الإسلام وحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٩٩.

٢٩- الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، تونس، دار سحنون، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، من حديث إبي كبشة الأنماري، وقال: حسن صحيح.

٣٠- أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، د.ت، ٢٨٩/٣، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ٢/ ٥٢٤، الحديث رقم / ٨٧٢٠.

٣١- إسماعيل البدوي، الحريات العامة، دعائم الحكم في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، مرجع سابق، ص٢٨٤.

## المبحث الثاني

### تمييز عقد العمل عن العقود الأخرى

قد يختلط عقد الإجارة - إجارة الأشخاص - بغيره من العقود، وذلك لأنه قد يتشابه في العديد من خصائصه وأحكام مع هذه العقود، ومن هنا تأتي أهمية هذا التمييز، يقوم عقد العمل على عناصر ثلاثة، هي المدة، الأجرة، والمنفعة، وأنه من العقود المستمرة، لأن المدة عنصر جوهري فيه، وهناك ارتباط وثيق بين الأجرة والمدة، ويجب على ضوء تلك العناصر تمييز عقد العمل عن بعض العقود الأخرى.

### المطلب الأول: عقد إجارة الأشخاص وعقد الإجارة الأعيان:

عقد إجارة الأعيان من العقود الواردة على إنتفاع بالشئ، فهو تملك للمستأجر منفعة مقصودة من الشئ المؤجر لمدة معينة لقاء مقابل معلوم، بينما عقد إجارة الأشخاص يرد على عمل ويمتاز بعنصر تبعية العامل لصاحب العمل، فإن الثاني يرد على الإنتفاع بالشئ ولا توجد بين عناصره هذه التبعية القانونية، فلم يمكن الأمر كذلك في العصور القديمة .

كما إن عقد إجارة الأشخاص أصبح يعرف بإصطلاح عقد العمل، والذي يعد حديث النشأة في لغة القانون، لم يظهر إلا في مطلع هذا القرن حيث كان عقد العمل يعتبر نوعاً من عقد الإيجار، وأنت نصوصه في التقنين القديم تحت باب واحد . وهم الآن يفرقون بين عقد العمل وعقد الإيجار عن طريق عنصر التبعية، ويواجهون صعوبة في التفرقة بين عقد العمل وعقد الإيجار عندما يلزم أحد المتعاقدين بتأدية عمل معين للعاقد الآخر الذي يلتزم بدوره بتمكين الأول من الإنتفاع بعين من أعيانه مقابل مبلغ يدفعه له مقدماً على أن يقوم الثاني بإستغلال هذا الشئ عن طريق العمل ومع بقاء ملكية الشئ لصاحبه الأصلي رغم إنتقال حيازته الي من يقوم بالعمل ولنعتبر هذا الشئ سيارة مثلاً، فيثور التساؤل عما إذا كنا بصدد عقد إيجار للسيارة يتمثل في الأجرة التي يدفعها مستغل السيارة لمالكها، أو بصدد عقد عمل يعمل فيه الطرف الثاني لقاء أجر، هو الفارق بين ما يدفعه لمالك السيارة وبين الإيراد الذي سيحصل عليه من إستغلال السيارة .

في الفقه الإسلامي يعتبر حق الملكية هي أخطر الحقوق شأناً وأبعدها مدى وأوسعها مضموناً وهذا الحق بمثابة المحور الذي تدور عليه تلك الحياة ، والواقع أن حق الملكية كغيره من الحقوق يخضع لكثير من القيود ، وملكية المنافع بصفة خاصة من أهم العقود والتي ينتجها عقد الإجارة فكما نعلم محل العقد في الإجارة هو المنفعة وهي أحد أنواع

الملك ، وعندما تناول الفقه الإسلامي عقد العمل<sup>٢٢</sup> فإنما تناوله من خلال تنظيمه لعقد الإجارة ككل ، وكان يعرف بإجارة الأدمي للخدمة والعمل ولم يقتصر التقريب بين عقد الإجارة وعقد العمل على هذا اللفظ، بل إمتد الي الناحية الموضوعية، حيث كان العقد الثاني يعتبر نوعاً من العقد الأول، وبذا نستطيع أن نقول أن الفقه الإسلامي قد وضع تنظيماً شاملاً لعقد الإجارة يندرج تحتها أنواع الإجازات المختلفة من بينها عقد إجارة الأدمي للخدمة والعمل وهو ما يسمى الآن بعقد العمل، إذن لا يوجد فرق بين العقدين وإنما العقد الأول يجب العقد الثاني تحته، حيث أن عقد الإجارة تنظيم شامل وعقد العمل فرع يندرج تحت هذا التقسيم<sup>٢٣</sup>.

ونري من خلال تعريف الإجارة يتضح لنا أن عقد الإيجار يشمل إجارة منافع الأراضي والدواب والدور ونحوها وعمل الإنسان أيضاً ، إذن نستطيع أن نقول أن عقد العمل أحد أنواع الإيجار، مع الأخذ في الاعتبار أن الفقهاء أوردوا العقد على منفعة الإنسان وليس على الإنسان مقابل أجر، وحيث أن العبرة بالمقاصد والمعاني وليست بالألفاظ والمباني فلا عبرة بالألفاظ وإختلافها سواء أطلقنا عقد عمل أو عقد إجارة الأشخاص ، وأن قلنا أفضل عقد العمل .

ونري أن التفرقة هنا تقوم على أساس عنصر التبعية أيضاً فإذا كان هناك رقابة وإشراف وتبعية من صاحب السيارة على مستغل السيارة كنا بصدد عقد عمل، وإذا لم يوجد هذا الإشراف كنا بصدد عقد إيجار .

### المطلب الثاني: عقد الإجارة وعقد الوكالة :

تبدو أهمية التمييز بين العقدين في أن كلاً منهما يختلف عن الآخر، فالأجير في عقد الإجارة يتمتع برعاية خاصة من حيث حقوقه وضماناته لا يحظي بها الوكيل في عقد الوكالة، ومن مظاهر هذه الرعاية أن أجر الأجير يتمتع بحق إمتياز ولا يجوز الحجز عليه إلا في حدود معينة ولا كذلك أجر الوكيل، كما ان عقد الوكالة في الأصل تبرعه ما لم يتفق على غير ذلك صراحة أو يستخلص ضمناً من حالة الوكيل، بينما الآخر من العناصر الجوهرية لعقد الإجارة، وأخيراً فإن أحكام إنتهاء عقد العمل تختلف عن الأحكام الخاصة بإنتهاء عقد الوكالة، ومن هذه الأحكام أن عقد العمل لا تنتهي بوفاة صاحب العمل بينما

٢٢- قدرى باشا ، مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان، الباب الثالث، مرجع سابق، ص٨٠ .

٢٣- نادرة محمود محمد سالم ، عقد العمل دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة ،

الوكالة تنتهي بموت الموكل، وبصفة عامة بأن كلاً من العقدين يخضع عن العقد الآخر<sup>٢٤</sup>. وتقتصر الوكالة على الأعمال القانونية دون الأعمال المادية، فعمل الوكيل يقتصر على تمثيل الموكل في إجراء التصرفات القانونية، أما العامل فيقوم بالأعمال الذهنية واليدوية، ولا تتور مشكلة التمييز بين عقد الوكالة وعقد العمل في حالة ما إذا كان موضوع العقد هو قيام طرف بعمل مادي لحساب الآخر، هذا العقد ليس وكالة على سبيل التأكيد<sup>٢٥</sup>.

### المطلب الثالث: عقد العمل وعقد المقاولة :

وتأتي أهمية التمييز بين عقدي العمل والمقاولة حيث أن كلا من العقدين يخضع لنظام قانوني يختلف عن النظام القانوني الذي يخضع له الآخر، لذلك يكون من الأهمية تحديد نوع العقد، ومن مظاهر إختلاف النظام القانوني لكل من العقد ان العامل في عقد العمل يتمتع ببعض الإمتيازات والضمانات والحقوق أثناء أدائه لعمله وبعد الإنتهاء منه .

أما في الفقه الإسلامي فإن الإجارة على ضربين : الأجير الخاص والأجير المشترك، وعندما نتناول التفرقة بين عقد إجارة الأشخاص وعقد الإستصناع في الفقه الإسلامي إنما نتناول وجه الإختلاف أو الفرق بين الأجير المشترك وعقد الإستصناع أو المقاولة كما يسميه شراح القانون الوضعي .

ووجه الإختلاف بين الإجارة في الأجير المشترك وعقد الإستصناع الذي هو بيع شرط فيه العمل أن الإجارة تكون العين فيها من المستأجر والعمل من الأجير، أما الإستصناع فالعين والعمل كلاهما من الصانع « الأجير »<sup>٢٦</sup> ، كما أنه لا يلزم في الإستصناع دفع الشيء المستصنع حالاً وقت العقد وأن الشيء المصنوع إذا لم يكن على الأوصاف المطلوبة ثبت للمستصنع خيار فوات الوصف، ولا يجري الضمان الذي يجري بالنسبة للأجير المشترك على عقد الإستصناع .

وقد تدق في بعض الأحيان التفرقة بين عقدي العمل والمقاولة، وذلك عندما يكون لصاحب العمل سلطة الإشراف والتوجيه للمقاول في أدائه لعمله، فيثور التساؤل عما إذا كنا بصدد عقد عمل أو عقد مقاولة، وفي هذه الحالات يمكن الوصول الي التكييف الصحيح للعقد بالنظر الي العناصر الأخرى للعقد، كطريقة تحديد الأجر، وإنعقاد العقد وتنفيذه، فإن

٢٤- د. يس محمد يحي، قانون العمل- المصري السوداني، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١م، ص٩٩.

٢٥- د. محمد حسين منصور، قانون العمل، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص٩٩.

٢٦- الفتاوى الهندية، ج٤ ، ص٥١٧ // ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، د.ت، ج٢، ص٢٢٢

كان مجموع هذه العناصر والظروف وعنصر استمرار الروابط وعرف المهنة والظروف الأخرى التي لا بدت العقد تؤدي الى أن القائم بالعمل يتحمل مخاطر عمله ويتمتع بقدر من الإستقلال في إدائه فإن العقد يكون عقد مقاولة، أما إذا كان لا يتحمل مخاطر العمل ويخضع لإشراف وتوجيه صاحب العمل فإن العقد يكون عقد عمل .

### المطلب الرابع: عقد الإجارة وعقد البيع :

عقد البيع هو أحد العقود التي تقع على الملكية، كما هو تملك مال أو حق مالي لقاء مقابل، ومع ذلك فقد ذهب رأي قديم في الفقه - متأثراً بالنظرة الإقتصادية للعمل - الى أن العامل يبيع قوة عمله الي صاحب العمل مقابل حصوله على الأجر، ولكن هذا الرأي لم يعد مقبولاً لأنه يساوي بين الشئ المادي الذي تنتقل ملكيته بالبيع وقوة العمل التي لا تنفصل عن شخص العامل وهو نص يتنافى مع طبيعة عقد البيع، كما ذهب رأي آخر في الفقه الي محاولة للتقريب بين عقد العمل وعقد البيع على أساس تصوير العمل الذي يقوم به العامل في مادة الشئ وإخراجها في شكل جديد، على نحو يجعل له حق ملكية على هذا الشئ مقابل الأجر الذي يحصل عليه من صاحب العمل، ولكن هذا التصوير لا يتفق مع طبيعة عقد العمل لأن هذا العقد لا يكسب العامل ملكية على الشئ محل العمل<sup>٣٧</sup>.

أما عن التفرقة بين عقد الإجارة وعقد البيع في القانون، فإنه لا يشكل صعوبة في نظر شراح القانون نظراً لإختلاف موضوعها، إلا أن النظرة القديمة الي العمل بإعتباره سلعة تتداول في السوق كسائر السلع كانت تبرر القول بورود البيع على العمل، ويختلط الأمر في الواقع عندما يقوم العاقد الملتزم بالعمل بتقديم ما يقع عليه عمله من مواد فيجمع حينئذ وصف العامل أو المقاول لتعهد بتادية عمل، ووصف البائع لإلزامه بنقل ملكية المنقول<sup>٣٨</sup>. في الفقه الإسلامي قلما يوجد لبس بين عقد العمل وعقد البيع، فالأول من العقود التي ترد على العمل، والثاني من العقود التي ترد على الملكية، وقد صرح الفقهاء بأن الإجارة من قبيل البيع، حيث قالوا أنها بيع نفع معلوم بعوض . إذ المعقود عليه في عقد إجارة الأشخاص هو المنفعة أو بيع عمل العين فيه تبع<sup>٣٩</sup>.

٢٧- د. يس محمد يحي، قانون العمل- المصري السوداني، مرجع سابق، ص١٠٩ .

٢٨- أ.د. محمود جمال الدين زكي، عقد العمل في القانون المصري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ص٢٥٢ .

٢٩- الزليعي، عثمان بن علي بن علي بن محمد فخر الدين الزليعي- المتوفي سنة ٨٤٣هـ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للفقهاء الحنفي، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الإمبريية ببولاق، مصر المحمية، ١٣١٥هـ، ج ٥، ص١٠٥ // الكاساني، إبي بكر سعود بن أحمد علاء الدين الكاساني- المتوفي ٥٨٧هـ، بدائع الصنائع، ج ٤، ص٢٠١ // البيهوتي،

ونري على حسب فالرأي الراجح الذي يعتبر عقد البيع إلا إذا كانت المواد الأولية التي يقدمها العاقد ثانوية بالنسبة لما يقوم به من عمل وبنوا التفرقة بين العقدين على أساس فكرة التبعية القانونية بين العامل وصاحب العمل أو عقد المقاول إذا تخلفت هذه التبعية . ويمكن القول بأننا نكون بصدد عقدين في نفس الوقت، عقد بيع بالنسبة للمواد الأولية، وعقد عمل أو مقاوله حسب الظروف لأن هذا الرأي يؤدي الي صعوبات عملية نتيجة أعمال نظامين مختلفين في نفس الوقت، وعلى كل حال فإنه في الصور التي يشتبه فيها عقد العمل بعقد البيع فإن التمييز بينهما إنما يرجع أساساً الي معيار التبعية القانونية كميز لعقد العمل، فإذا وجدت هذه التبعية فإن العقد يكون عقد عمل، وإذا تخلفت فإن العقد يكون عقد بيع إذا توافرت أركانه وعناصره الأساسية .

---

العلامة منصور بن بولس بن إدريس البهوتي - المتوفي سنة ١٠٥١هـ ، كشاف القناع على متن الإفتاع ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت، ج٦ ، ص٣٠ . // الدسوقي، الشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي - المتوفي سنة ١٢٢٠هـ ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤ ، ص٢٠ . // مجلة الأحكام العدلية ، المادة ٤٢٠؛

## المبحث الثاني

### أركان العلاقة التعاقدية في عقد الإجارة

أما أركان الإجارة في الفقه الإسلامي فالركن عند علماء اللغة : ركن الشئ جانبه، والجمع أركان، فأركان الشئ أجزاء ماهيته<sup>٤٠</sup> . فالركن هو الجانب القوي الذي يمسكه أما عند رجال الفقه الإسلامي فقد اختلف فيه حيث ذهب الجمهور<sup>٤١</sup>، الي انه ما لا بد منه لتصور العقد ووجوده سواء كان جزءاً منه أم مختصاً به .

ونتناول ثلاثة أركان، وهي الصيغة، والعاقدان، والمنفعة.

#### المطلب الأول: الصيغة :

الصيغة في عقد الإجارة هي الإيجاب والقبول أو ما يقوم مقامها في كل ما يدل على تمليك المنفعة المقصودة من العمل، ويصح في الإجارة إستخدام أي من الألفاظ المعروفة في إنشاء العقد كإستأجرت، وعملت، وقبلت، كما وتجوز الإشارة المعهودة من الأخرس لإنشاء العقد<sup>٤٢</sup> .

إن الحنفية يعتبرون الصيغة هي ركن العقد لأن الركن عندهم ما لا يتم الشئ إلا به وكان جزءاً منه، ومبررهم في ذلك أن الصيغة وحدها هي التي تستقل بإيجاد العقد وتكوينه، فإذا وجدت الصيغة، وجد العقد، وهذا غير موجود بالنسبة للعاقد والمعقود عليه فإنهما موجودان قبل الصيغة ومع ذلك لم يوجد العقد عندهما<sup>٤٣</sup>، وأياً كان الأمر فإن هذا الخلاف بين الحنفية والجمهور خلاف لفظي لا ثمرة له، لأن الفقهاء جميعاً متفقون على أن العقد لا يكون موجوداً إلا بتوفر هذه الأمور الأربعة .

والشافعية يقولون بإعتبار الصيغة ركناً لعقد الإجارة ومنها أن تكون مشتملة على الإيجاب والقبول لفظاً، وأن لا ينفصل بينهما فاصل طويل عرفاً، كما أن الإجارة يشترط فيها

٤٠- طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، مطبعة الإستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، ص ٢٣٧ .

٤١- عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٠ .

٤٢- منصور يوسف البهوتي، الروض المربع، دار الفكر، الطبعة السادسة، ص ٢١٤ // موفق الدين بن قدامة المقداسي، الكافي في الفقه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الجزء الثاني، ص ١٩٨ // الشربيني، مغني المحتاج الي معرفة ألفاظ المنهاج، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٨٩ .

٤٣- ابن عابدين - المتوفى سنة ١٢٥٢هـ، حاشية ابن عابدين ( قررة عيون الأخبار لتكملة رد المختار على درر المختار شرح تنوير الأبصار )، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٢٢٢هـ، ، الطبعة الثالثة، ١٣٢٦هـ، ص ٣ - ٤ . // د. محمد سلام مذكور، المدخل لفقه الإسلامي - تاريخه ومصادره ونظرياته العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م، ص ٥١٣ .

التأقيت، وتنقسم صيغة الإجارة الي قسمين : صريحة ، وكناية ، فالصيغة الصريحة هي ما دامت على معني الإجارة وحدة فلا تحتل غيره، والكناية ما أحتملت الإجارة وغيرها، وإذا وقع العاقدان على عقد مكتوب كالمعارف عليه في زماننا فإنه يصح ويقوم التوقيع على المكتوب مقام التلفظ بالصيغة، ويكون من باب الكناية<sup>٤٤</sup> .

وقد ذهب جمهور الفقهاء الي ان العقد ما يتم به الإرتباط بين إرادتين على وجه ينتج إلتزاماً بينهما، كما قالوا أن الأساس في العقود هو إرادة المتعاقدين، وهي أمر خفي لا يعرف إلا بما يظهرها من لفظ أو ما يقوم مقامه مما يكون الإيجاب والقبول ويطلق عليه صيغة العقد، ولذا فلا تصلح الإرادة وحدها أن تكون أساساً للأحكام، رغم أنها أساس العقد لأنها أمر خفي ولا يظهره إلا الصيغة الدالة عليها والتي هي مظهر الحكم، وتتكون الصيغة من الإيجاب والقبول، وكل من الإيجاب والقبول قد يكون باللفظ أو بالفعل، وقد يكون صريحاً وقد يكون ضمناً، ويكون التعبير عن الإرادة بالأقوال وذلك بأن تكون العبارة اللفظية<sup>٤٥</sup> هي الأصل في إظهار رغبات المتعاقدين، لأنها الطريق الطبيعي للتفاهم بين الناس، حيث أن الأفعال من المعاطاة ونحوها قد تحتل أكثر من وجه، ويكون التعاقد بلغة التخاطب لدي المتعاقدين ففي المبادلة على المنفعة مثلاً يجب إستعمال لفظ يفيد ذلك كالإجارة ، وتتعقد الإجارة بالفعل الماضي<sup>٤٦</sup> ، كما تتعقد بالجملة الأسمية وحرف الجواب والمضارع والأمر إذا نوي فيهما الإيجاب، إلا أن الحنفية لهم رأي آخر وهو عدم صلاحية التعاقد بفعل الأمر وكذا بصيغة الإستفهام<sup>٤٧</sup> .

وإن التعبير عن الإرادة يكون بالأقوال وذلك بأن تكون العبارة اللفظية، هي الأصل في إظهار رغبات المتعاقدين، لأنها الطريق الطبيعي للتفاهم بين الناس، حيث أن الأفعال من المعاطاة ونحوها قد تحتل أكثر من وجه، ويكون التعاقد بلغة التخاطب لدي المتعاقدين ففي المبادلة على المنفعة مثلاً يجب إستعمال لفظ يفيد ذلك كالإجارة ، كما أن الإجارة

٤٤- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة<sup>٢</sup> - مرجع سابق، ص ١١٠ .

٤٥- ابن تيمية - شيخ الإسلام إبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الشهير بإبن تيمية - المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، الفتاوي الكبرى ، قدم له وعرف به فضيلة الشيخ المفتي حسن بن محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ج ٢ ، ٤٠٦ .  
٤٦- مجلة الأحكام العدلية ، المادة ٤٣٥ .

٤٧- الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الحنفيد - المتوفى سنة ٥٩٥هـ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، د.ت ، ج ٢ ، ص ١٧٠ . // الإمام موقف الدين إبي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة- المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، المغني والشرح الكبير ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ ، ج ٦ ، ص ٢ - ٤ . // البهوتي ، كشاف القناع على متن الإقتناع ، مرجع سابق، ج ٢ ، ص ٥٢٧ .

تتعقد بالفعل الماضي<sup>٤٨</sup>، كما تتعقد بالجملة الأسمية وحرف الجواب والمضارع والأمر إذا نوي فيهما الإيجاب، إلا أن الحنفية لهم رأي آخر وهو عدم صلاحية التعاقد بفعل الأمر وكذا بصيغة الإستفهام<sup>٤٩</sup>، وجمهور الفقهاء على أن الإجارة تتعقد بأي لفظ دال عليها كالإستئجار والإكراء والإكتراء<sup>٥٠</sup>، وفي خياطة الثوب إذا كانت هذه الألفاظ لم توضع في أصل اللغة، لذلك، إلا أنها أفادت تملك المنفعة بعوض، والحنابله توسعوا أكثر من ذلك، وإختلف الفقهاء في إنعقاد الإجارة بلفظ البيع كقوله بعني عمك شهراً أو بعتك هذه الدار بكذا، وتتعقد الإجارة بلفظ البيع ويضاف الي المنافع، قول عند الحنفية، وقول عند الشافعية، ومبرهم في ذلك أن الإجارة صنف من البيوع، وهناك قول آخر عند الحنفية والشافعية، وهو الأرجح، لا تتعقد الإجارة بلفظ بعتك منفعتها لأن المنفعة مملوكة بالإجارة ولفظ البيع وضع لتملك العين، فذكره في المنفعة مفسدة، وقالوا أيضاً، ولأن بيع المعدوم باطل والمنافع المعقود عليها معدومة وقت العقد<sup>٥١</sup>.

والصيغة تتعقد بأي لفظ يعرف به غرض العاقدين وذلك عام في جميع العقود فإن المعول فيها على فهم مقصود العاقدين من ألفاظهما بما لا يوجب الريبة والنزاع لأن الشارع لم يعين ألفاظ العقود ولم يحدها بل جعلها مطلقة ليستعمل الناس منها ما يدل على غرضهم ويحدد المعني الذي يقصدونه فتتعقد بلفظ الإجارة سواء أضافها الي العين كما يقول أجرتك هذه الدار أو أضافها الي المنفعة كما يقول أجرتك منفعة هذه الدار، وتتعقد بلفظ الكراء كأن يقول أكريتك هذه الدار أو أكريتك منفعتها، وتتعقد بلفظ الملك مضافاً الي المنفعة كأن يقول ملكتك منفعة هذه الدار، ولفظ البيع مضافاً للمنفعة أيضاً كأن يقول بعتك منفعة هذه الدار أو بعتك سكني الدار، أن يكون العقد وارداً على منفعة عين معلومة كأن يقول شخص لآخر أجرتك هذا البعير أو هذه الدار أو وارداً على منفعة عين موصوفة في الذمة كأجرتك بعيراً صفته كذا، كما يمكن أن يكون العقد وارداً على عمل معلوم كأن

٤٨- مجلة الأحكام العدلية، المادة ٤٢٥.

٤٩- ابن رشد - الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الحفيد - المتوفى سنة ٥٩٥هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت، ج٢، ص١٧٠ // ابن قدامة- الإمام موفق الدين إبي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة- المتوفى سنة ٦٣٠هـ، المغني والشرح الكبير، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ، ج ٦، ص ٣- ٤ // البهوتي، كشاف القناع على متن الإقتناع، مرجع سابق، ج٢، ص٥٢٧.

٥٠- ابن تيمية، الفتاوي الكبرى، مرجع سابق، ج٣، ٤٠٧ // الخرشي، الخرشي على مختصر سيدي خليل، مرجع سابق، ج٧، ص٣.

٥١- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين مرجع سابق، ج٥، ص٢.

يقول شخص لآخر أستأجرتك لتبني لي هذا الحائط أو لتعمل لي هذا الصندوق أو نحو ذلك من التعاقد مع أرباب المهن فإن العقد فيها وارداً على أعمالهم وأن كان المقصود منه المنافع المترتبة عليها إلا أن المعقود عليه هو العمل والمنفعة تأتي تبعاً كما في عقد المساقاة فإنه يضاف الي البستان والمنفعة بالثمرة تأتي تبعاً<sup>٥٢</sup>.

أما السكوت في الإجارة فقد ذهب الفقه حديثاً الي إعتبار السكوت قبولاً ورضاءً وأن كان موقفاً سلبياً محضاً، وعلى ذلك فلا إعتبار للسكوت بالنسبة للإيجاب، أما بالنسبة للقبول فقد أجازوه وخير مثال على ذلك لو دُفع لخياط ثوب ليخيطه وقال صاحب الثوب سأدفع خمسين فقط، قال الخياط بل ستين وأبقاه يلزمه الخمسين فقط<sup>٥٣</sup>.

والجمهور على جواز المعاوضة، والمذهب عند الشافعية عدم جواز عقود المعاوضة، فلو دفع ثوباً الي الخياط ليخيطه ففعل ولم يذكر أحدهما أجرة فلا أجر له، ومثل له أجر المثل له أجر المثل لإستهلاكه منفعته، وقيل أن كان معروفاً بذلك العمل بالأجر فله أجر المثل، وقد أستدل القانون بإنعقاد الإجارة بالمعاوضة بأدلة منها، أن الشرع لم يطلب غير الرضا في صحة العقود، ولا يوجد دليل لإشتراط اللفظ في التعبير عن هذا الرضا، ولم ينقل عن الرسول صلي الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم إستعمال إيجاب وقبول في بيعهم ونحن نجد المسلمين في أسواقهم وبيوعاتهم على بيع بالمعاوضة<sup>٥٤</sup>، وحيث أن الإجارة نوع من البيع كما ذكر الفقهاء فينطبق عليها نفس الحكم.

وقد نذب الفقهاء كتابة العقد بين العامل ورب العمل بعد صدور الإيجاب والقبول، وحسب العرف الجاري حالياً أن يقوم التوقيع على العقد مقام الإيجاب والقبول، وكما نعلم فالكثابة تعتبر من الأدلة التي تدل على الرضا، إذن لا مانع شرعاً من تحقق ذلك في إنعقاد الإجارة وصحتها، حيث أننا في زمن فسدت فيه الذمم وضعفت فيه الأخلاق<sup>٥٥</sup>.

أما أدلة من منع إنعقاد الإجارة بالمعاوضة الآية الكريمة: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ »<sup>٥٦</sup>، وقول الرسول الكريم: «

٥٢- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة-قسم المعاملات، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص٩٩  
٥٣- مجلة الأحكام العدلية، المادة ٦٧ // أ.د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني مرجع سابق، ج ٥، ص ٤.

٥٤- البهوتي، كشاف القناع على متن الإقتناع، مرجع سابق، ج ٣، ص١٤٨.

٥٥- ابن تيمية، الفتاوي الكبرى، مرجع سابق، ج ٣، ص٤٠٦.

٥٦- سورة النساء، الآية (٢٩).

إنما البيع عن التراض<sup>٥٧</sup>، والرضا بين المتعاقدين أمر خفي لا يظهره إلا الإيجاب والقبول ولذلك وجب اللفظ لإظهار إرادة المتعاقدين .

وقد ذهب الجمهور الي أنه يجوز التعاقد بالكتابة بين حاضرين سواء يقدران على التلفظ أو يعجزان ما دامت الكتابة واضحة، ويوجد قول للشافعية بأنه لا يجوز التعاقد بالكتابة، بين الحاضرين إلا عند العجز عن النطق ، أما في حالة ما إذا كان التعاقد بين حاضر وغائب فيجوز بالمراسلة إتفاقاً بين الفقهاء<sup>٥٨</sup> .

وأما شرائط الصيغة فمنها رضا المتعاقدين فلا تصح إجارة المكره والمخطئ والناسي وأن كانت تنعقد وتنفذ إلا أنها تكون إجارة فاسدة حكمها أن فيها أجر المثل بعد الإستعمال وهذا الشرط وما قبله متعلق بالعقد<sup>٥٩</sup> .

وليس البلوغ والحرية والإسلام من شروط الإنعقاد، ويشترط أبو حنيفة لنفاذ العقد ألا يكون مرتداً إن كان رجلاً لأنه يرى أن تصرفاته تكون موقوفة عنده، بينما يرى الصحابان وجمهور الفقهاء أن تصرفات المرتد تكون نافذة ذكراً كان أو أنثى<sup>٦٠</sup> .

أما عن الإكراه في القانون فيكون عقد العمل قابلاً للإبطال إذا أكره العامل على إبرامه وإن كان من النادر أن يتحقق الإكراه عند إبرام عقد العمل، ولكن في حالة ما إذا كانت حاجة العامل الي مورد رزقه إستغلها صاحب العمل لإملاء شروط مجحفة ما كان العامل ليقبلها لولا شدة حاجته، ففي هذه الحالة يعتبر ظرفاً مكرهاً، ويتفق الشراح على جواز إبطال العقد في هذه الحاجة بشرط أن تمثل حاجة العمل الماسة خطراً يهدده وذويه<sup>٦١</sup> .

### المطلب الثاني : العاقدان :

لابد لإبرام عقد الإجارة من وجود شخصين هما المستأجر والأجير، الذين يشترط في كل منهما أن يكون عاقلاً بالغاً رشيداً ومختاراً، إذ لا تصح إجارة المجنون أو غير المميز أو المكره مثلاً<sup>٦٢</sup> .

٥٧- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق، ج ٢ ، ص٧٣٧ ، رقم ٢١٨٥ .

٥٨- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٨ // ابن تيمية، الفتاوي الكبرى ، مرجع سابق، ج٢ ، ص٤٠٦ // الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مرجع سابق، ج٢ ، ص٢٠٠ .

٥٩- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة-قسم المعاملات، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ١٠٠ .

٦٠- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج ٤ ، ص١٧٦ .

٦١- أ.د. إيهاب حسن إسماعيل ، قانون العمل، مرجع سابق، ص٢١٧ // د. عبد الودود يحيى ، شرح قانون العمل ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ، دت ، ص ١٧٢ .

٦٢- الشربيني، مفني المحتاج الي معرفة ألفاظ المنهاج، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٨٨ // البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص١٧٧٤ .

وقد يلجأ العاقد مباشرة الي التعاقد مع رب العمل، وقد يكون أحد طرفي العقد أو كلاهما وكيلًا عن الغير في إبرام هذا العقد<sup>٦٣</sup> ، وأجارة الوكيل عندئذ نافذة لوجود الولاية بإنابة المالك له فتعقد كما لو عقدها الموكل نفسه، وذهب الفقه المالكي الي أنه إذا أجر الوكيل بمحابة حق للموكل أن يفسخ العقد أو يرجع عليه بالمحابة<sup>٦٤</sup> ، وقال الكاساني : « ولو أجر إجارة فاسدة نفذت ، ولأن مطلق العقد يتناول الصحيح والفاقد كما في عقد البيع ولا ضمان عليه لأنه لم يصير مخالفاً » . ومع ذلك فإنه تصح إجارة الصبي لنفسه إذا ما تم الحصول على إذن وليه<sup>٦٥</sup> .

أما فلو أجر الصبي نفسه بأجر لا غبن فيه بدون إذن وليه ، فهنا للفقهاء آراء في ذلك، ذهب جمهور الفقهاء<sup>٦٦</sup> الي أن هذه الإجارة صحيحة إن كان مأذوناً له من وليه. أما الشافعية فقد منعه مطلقاً ، ولو كان الصبي مأذوناً له في ذلك من الولي.

وأستدل الجمهور بقوله تعالى : « وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ »<sup>٦٧</sup> . قال ابن كثير في تفسيره : « ... قال الفقهاء إذا بلغ الغلام مسلحاً لدينه وماله أنفك عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه »<sup>٦٨</sup> . وأستدلوا أيضاً بأن الأحكام قسمان أحكام تكليف تتوقف على المكلف وقدرته وبلوغه كالصلاة والصيام، وأحكام وضعية، وهي الأسباب والشروط . وعقد الإجارة سبب من الأسباب كالبيع، وهي أحكام وضعية لا تتوقف على علم المكلف ولا قدرته ولا بلوغه، ومع ذلك فإن الشارع راعي مصلحة الصبي فجعل عقده موقوفاً على إجازة الولي صوناً للأموال عن الضياع بسبب قصور النظر<sup>٦٩</sup> .

٦٣- الفتاوي الهندية ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٤١١ .

٦٤- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مرجع سابق، ج٣ ، ص٣٨٨ .

٦٥- الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوي الهندية « المعرفة بالفتاوي المالكية »، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، الجزء الرابع، ص٤٩٦ .

٦٦- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج٤ ، ص١٧٦ // ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مرجع سابق، ج٢/ ، ص٢٨٢ // النووي، المجموع ، مرجع سابق، ج٩ ، ص١٦٧ // الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك الي مذهب الإمام مالك ، مرجع سابق، ج٤/ ، ص٧ // الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، مرجع سابق، ج٤/ ، ص٣ // الخرخشي، الخرخشي على مختصر سيدي خليل ، مرجع سابق، ج٧ ، ص٢ // قدري باشا ، مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان، مرجع سابق، مادة: ١٧٤ .

٦٧- سورة النساء، الآية (٦) .

٦٨- ابن كثير- التوتوي سنة ٧٧٤هـ، تفسير العلي القدير لإختصار ابن كثير ، إختصره وعلق عليه محمد نسيب الرفاعي، عمادة شئون المكتبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، ج١ ، ص٣٥٤ .

٦٩- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٢ // الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج٤ ، ص١٧٦ // ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مرجع سابق، ج٢/ ، ص١٦٧ .

والقول بصحة رأي الجمهور بصحة عقد الصبي المميز وتوقف نفاذه على إجازة الولي، فقد أثبتت الحياة العملية أن هناك كثيراً من الصبيان المميزين يتصرفون تصرفات توافق المصلحة، فضلاً عن قوله في محكم التنزيل: « وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ »<sup>٧٠</sup>، فهذه الآية تدل على جواز تصرف الصبي المميز قبل البلوغ<sup>٧١</sup>.

ومنشأ الولاية إبرام العقد نيابة عن الصغير هو الشفقة والحب والحرص على مصلحة الصغير، ويقول الكاساني: « الإجارة من الأب والوصي والقاضي، وأمينة نافذة لوجود الإنابة من الشرع، فلأب أن يؤجر ابنه الصغير في عمل من العمال لأن ولايته على الصغير كولايته على نفسه، لأن شفقتة عليه كشفقتة على نفسه، وله أن يؤجر نفسه فكذا ابنه، ولأن فيها نظراً للصغير من وجهتين أحدهما أن المنافع في الأصل ليست بمال خصوصاً منافع الحر، وبالإجارة تصير مالاً، وجعل ما ليس بمال من باب النظر، والثاني أن إجارة في الصنائع من باب التهذيب والتأديب والرياضة وفيه نظر للصبي، فيملكه الأب، وكذا وصي الأب لأنه مرضي الأب، والجد أب الأب لقيامه مقام الأب عند عدمه، ووصيه لأنه مرضيه، والقاضي لأنه نصب ناظراً، وأمينة لأنه مرضيه »<sup>٧٢</sup>، ونستطيع أن نقول أن جميع مذاهب الفقه الإسلامي قد أجازت لمن له الولاية، التعاقد بالنيابة عن الصبي القاصر<sup>٧٣</sup>.

والأهلية في الفقه الإسلامي هي صلاحية العاقد لأن يطالب غيره ويطالبه غيره بالآثار المترتبة على عقد الإجارة المتفق عليه، فالأهلية إذن هي صلاحية الشخص للقيام بنفسه بالأعمال القانونية والقضائية المتعلقة به، يشترط أن يكون العاقدين مميزين، فلا تتعد الإجارة على العمل من المجنون، أو المعتوه، أو الصبي غير المميز<sup>٧٤</sup>.

٧٠- سورة النساء، الآية (٦).

٧١- ابن كثير، تفسير العلي القدير لإختصار ابن كثير، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٥٤ // الجلالين - الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - المتوفى سنة ٨٦٢هـ، والشيخ جلال الدين عبد الرحمن إبي بكر السيوطي - المتوفى سنة ٩١١م، تفسير الجلالين، علق عليه الشيخ خالد الحميصي الجوجا، مكتبة الملاح، دمشق، د.ت، ص ١٠٢.

٧٢- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج ٤، ١٨٨.

٧٣- الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك الي مذهب الإمام مالك، مرجع سابق، ج ٤، ص ٧ // ابن قدامة، المغني والشرح الكبير، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤ // المرتضى - الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى - المتوفى سنة ٨٤٠هـ، البحر الزخار الجامع لفقه علماء الأمصار، د.ن، ج ٣، ص ٥١.

٧٤- الدردير، الشرح الصغير مرجع سابق، ج/٤، ص ٧ // ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مرجع سابق، ج/٢، ص ١٧٢ // الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مرجع سابق، ج/٤، ص ٣ // الفيروزآبادي، المهذب، مرجع سابق، ج/١، ص ٣٤٢.

تشترب الأهلية فيمن يتعاقد بنفسه لحساب نفسه، أما من يتعاقد لحساب غيره قاصداً إلزامه فيجب أن تكون له بجانب الأهلية ولاية التعاقد عن ذلك الغير وإلزامه بما يعقده هو على ذلك الغير من عقود<sup>٧٥</sup>.

وتثبت الولاية للعاقد إذا كان يبرم العقد بإعتباره ولياً، أو وصياً، أو قيمياً، أو وكيلاً عن غيره . والعاقد الذي يبرم العقد بإعتباره ولياً، أو وصياً، أو قيمياً عندهم لا تتوافر في العاقد أهلية التعاقد، فقد أجازت الشريعة الإسلامية للولي وهو الأب الصحيح، والجد في حالة وفاة الأب، إجازة الصبي المميز أو الإذن له بإبرام عقد الإجارة شرط ألا يغيب غيباً فاحش<sup>٧٦</sup>. ومن شروط الإنعقاد الإجارة أمور منها العقل فلا تتعقد إجارة المجنون والصبي الذي لا يميز، أما الصبي المميز فإن أجر نفسه أو أجر شيئاً يملكه فإجارتته تتعقد بدون إجارة إن كان مأذوناً من واليه وإن لم يكن مأذوناً تتعقد موقوفة على إذن الوالي فلا تنفذ إلا إذا أجازها، فإذا أجر الصبي المميز المحجور عليه نفسه وعمل عملاً فإنه يستحق أجره لنفسه<sup>٧٧</sup>.

وأجاز جمهور الفقهاء إجارة الصبي المميز لنفسه دون إذن وليه، ومنعها الشافعية، وقد أستدل الشافعية على بطلان إجارة الصبي المميز قياساً على بطلان إجارة الصبي غير المميز لأنه غير مكلف، وفضلاً عن أن العقل لا يمكن معرفة الحد الذي يصلح به التصرف لخفائه فجعل الشارع له ضابطاً وهو البلوغ فلا يصح تصرفه قبل البلوغ. وفي حالة ما إذا كان الصبي محجوراً عليه كان العقد موقوفاً على الإجازة عند الحنفية<sup>٧٨</sup>، وفي الراجح عند المالكية<sup>٧٩</sup>، وقول عند الإمام أحمد<sup>٨٠</sup> لأن الولاية شرط للنفذ لا للصحة، وكان العقد غير صحيح عند الشافعية، وفي قول عند المالكية ورواية عن أحمد لأن الولاية عندهم شرط لصحة العقد وإنعقاده لا لنفاذه.

والمطلوب لصحة التراضي أن تتوافر الأهلية في طرفي العقد، ومن شروط هذا الرضاء وخلوه من العيوب، ولا يختلف القانون مع الشريعة الإسلامية حيث يتطلب أن تتوافر لدي كل من المتعاقدين

٧٥- مجلة الأحكام العدلية، المادة ٤٤٧. // أ.د. أنور محمود دبور، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، دار الثقافية العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص ٣٩٥.

٧٦- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٥٥.

٧٧- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة-قسم المعاملات، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ١٠٠.

٧٨- قدرى باشا، مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان، مرجع سابق، مادة ١٧٧.

٧٩- الإمام مالك- الإمام مالك بن أنس رواية سحنون بن سعيد التتوحي- المتوفى سنة ٢٤٠هـ، المدونة الكبرى، مطابع

السعادة، القاهرة، ١٢٢٣هـ، ج ٢، ص ٤٠٣.

٨٠- ابن قدامة، المغني والشرح الكبير، مرجع ساب، ج ٦، ص ٤٥.

إرادة معتبرة قانوناً، وذلك يستلزم أن يكونا مميزين على الأقل، لأن عديم التمييز لا إرادة له، ويترتب على ذلك أنه إذا كان العامل أو رب العمل غير مميز فإن عقد العمل يكون باطلاً مطلقاً<sup>٨١</sup>.

### المطلب الثالث : المنفعة :

المعقود عليه في الإجارة هو المنفعة التي يحصل عليها المستأجر، ويشترط فيها أن تكون مباحة، ومعلومة، ومقدور تسليمها، فلا يجوز أن تكون المنفعة محرمة، كإستئجار شخص للفناء، أو الزمر، أو حمل الخمر، أو الإعتداء على الآخرين بالثتم أو الضرب، أو القتل. كما يجب أن يكون كلا العاقدين عالماً بالمنفعة ومحلها علماً نافعاً للجهة التي قد تفضي الي النزاع، فيجب أن يكون العامل عالماً بمدة العمل أو الخدمة إذا ما كان تحديد العمل على المدة، ويجب أن يبين المستأجر للأجير غاية العمل وان يحدد له المعمول فيه بالإشارة أو التعيين، كما لا يجوز إستئجار شخص لأمر لا يستطيع القيام به، كإستئجار الأمي للكتابة<sup>٨٢</sup>.

أشترط الفقهاء في المنفعة التي هي ركن من أركان الإجارة شروط يلزم توافرها لكي يكون العقد صحيحاً، وتكاد المذاهب الفقهية تتفق في هذه الشروط من حيث المعنى وإن اختلفت في العبارة وبعض التفاصيل، وهذه الشروط إجمالاً هي أن تكون المنفعة معلومة، وألا يكون مع المنفعة عين تهلك بالإستعمال، وأن يكون مقدوراً على تسليمها، ورؤية العين المؤجرة، وأن يكون للمنفعة قيمة مالية، وأخيراً أن تكون المنفعة مشروعة ومباحة<sup>٨٣</sup>.

أما موقف الفقهاء من أن المعقود عليه شرعاً هو المنفعة وأن العين تابعة لها، حيث يقصد بالمنفعة الإستفادة من الشئ المؤجر مما لا تمكن حيازته مستقبلاً دون العين، مثل زراعة الأرض وسكنى الدار والشئ الذي تكمن فيه المنفعة، ويمكن أن تحاز المنفعة بحيازته مثل الأرض والبيت في هذين المثالين. وقد اختلف الفقهاء في المعقود عليه في عقد الإجارة، هل هو المنفعة أو العين على ثلاثة مذاهب، حيث يرى المذهب الأول، وهو مذهب جمهور الفقهاء الي أن المعقود عليه في عقد الإجارة هو المنافع والعين تابعة لها. ومبررهم في ذلك أن المنافع هي التي يجوز التصرف فيها، وأن العوض في عقد الإجارة وهو الأجرة يقابل المنفعة دون العين، وما كان العوض مقابلة فهو المعقود عليه، ولو كان العين لما جاز رهنها إذا كانت مستأجرة ولكن رهنها جائز<sup>٨٤</sup>.

٨١- أ.د. محمد لبيب شنب، شرح قانون العمل، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٨٢- عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي، إرشاد السالك الي أقرب المسالك، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٧٧.

٨٣- نادرة محمود محمد سالم، عقد العمل - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، مرجع سابق، ص ١٠٣.

٨٤- الكاساني، بدائع الصنائع، مرجع سابق، ج ٤، ١٧٥.

وذهب رأي ثاني وهو لأبي إسحق المروزي- من الشافعية- الي أن المعقود عليه في عقد الإجارة هو العين لأن المنافع معدومة، والمعقود عليه في الإجارة يجب أن يكون موجوداً وقت العقد قياساً على البيع، هذا إلى جانب أن العقد يضاف الي العين، لأن العين هي التي تستوفي منها المنافع فلذلك تكون العين هي المعقود عليه في عقد الإجارة<sup>٨٥</sup>.

ومن وجهة الرأي الأول حيث أن المنافع وإن كانت معدومة وقت التعاقد إلا أن تسليم العين يعتبر تسليمًا لها حكماً، حيث أن المنفعة هي والعين متلازمتان، وأنه عندما يضاف عقد الإيجار الي العين فذلك لأن العين هي محل المنفعة، ولذلك أضيف عقد الإيجار إليها كما يضاف عقد المساقاة الي البستان، والمعقود عليه هو الثمرة، فضلاً عن أنه يجوز أن يضاف عقد الإيجار الي المنفعة نفسها فيقال أجرتك منفعة سيارتي مثلاً<sup>٨٦</sup>.

وذهب رأي ثالث : وهو للأمام ابن تيمية، حيث يرى أن المعقود عليه في عقد الإجارة هو كل ما يتجدد ويستخلف بدله مع بقاء العين سواء كان عيناً أو منفعة، كماء البئر ولبن الظئر والعين<sup>٨٧</sup>.

وبذلك نجد مخالفة ابن تيمية لقول الجمهور صريحة في أن المعقود عليه في عقد الإجارة هو العين التي تحدث شيئاً فشيئاً مع بقاء أصلها، ولكنه إتفق مع الجمهور في أن المعقود عليه في عقد الإجارة ما إنتفع به ما بقاء أصله، أما العين التي تحدث شيئاً فشيئاً على سبيل المتبع، وإجازه ابن تيمية على الأصل والقاعدة .

والمعقود عليه في عقد الإجارة هو المنافع، وإذا أضيف العقد فلأنها محل المنفعة إلى أنه لو كان المعقود عليه هو العين كما قيل لإمتنع رهن العين المستأجرة ورهنها كما نعلم جائز، كما قال جمهور الفقهاء فضلاً عن تمليك المنافع بعوض هو الإجارة، وتمليك الأعيان بعوض هو البيع، هذا هو الأصل وهو أمر مقرر عند جميع الفقهاء، وإذا حدث ما يرد على العين وهو مشابه للمنفعة مع بقاء أصله كلبن الظئر وغيرها فيمكن القول بجوازه إستثناء من القاعدة العامة ورخصة للضرورة .

وأما الأجير الذي منفعته عامة، فإن خدماته تعتبر مصلحة من المصالح التي يجب على الدولة توفيرها للناس، وذلك لأن كل منفعة يتعدي نفعها الأفراد الي الجماعة، وكانت الجماعة محتاجة إليها، كانت هذه المنفعة من المصالح العامة التي يجب على بيت

٨٥- الماوردي ، الحاوي الكبير ، مرجع سابق، ج ٩ ، ورقة ٢٥٨ .

٨٦- ابن قدامة، المغني والشرح الكبير ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٤ .

٨٧- ابن تيمية ، الفتاوي الكبرى ، مرجع سابق، ج ٣ ، ص ٤٤٣ .

المال توفيرها للناس جميعاً، وذلك كأن يستأجر الأمير من يقضي بين الناس مشاهرة، وكأستئجار موظفي الدوائر والمصالح، وكأستئجار المؤذنين والأئمة، ويدخل في المصالح التي يجب على الدولة إستئجار الأجراء لها للناس جميعاً التعليم والتطبيب، أما التعليم فلاجماع الصحابة على إعطاء رزق المعلمين قدراً معيناً من بيت المال أجراً لهم، ولأن الرسول جعل فداء الأسير من الكفار تعليم عشرة من أبناء المسلمين، وبدل فدائه من الفنائم، وهي ملك لجميع المسلمين، وأما الطب فلأن الرسول صلي الله عليه وسلم أهدي إليه طبيب فجعله للمسلمين، فكون الرسول جاءت الهدية، ولم يتصرف بها، ولم يأخذها، بل جعلها للمسلمين، دليل على أن هذه الهدية مما هو لعامة المسلمين، فالرسول إذا جاءه شئ هدية، ووضعه للمسلمين عامة، يكون هذا الشئ مما هو لعامة المسلمين<sup>٨٨</sup>.

إعتبر فقهاء المسلمين العمل من فروض الكفاية التي إن قام بها البعض قياماً يسد حاجة المجتمع سقط الأثم عن الباقيين، وإلا أثمرت الأمة كلها، وتحول فرض الكفاية الي فرض عين إن كان الغير عاجزاً عنها أو لا يستطيع، قياساً على الجهاد، قال ابن تيمية: « فلهذا قال غير واحد من الفقهاء أن الصناعات فرض عين على الكفاية فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها كما أن الجهاد فرض على الكفاية ..، وعلى دولة الإسلام أن تجبر الناس على أي عمل كان إذا كانت الأمة بحاجة إليه وإمتنع الناس عن القيام به، لكنه إشتراط أن يعطي العمال أجر المثل<sup>٨٩</sup> ». وروي أن الإمام أحمد بن حنبل كان مع علمه ومكانته لا يجد غضاضة من أي عمل كان، فكان يؤجر نفسه للحمل في الطريق إذا كان بحاجة الي نفقة، بل نجد من مؤرخيه من ذكر أنه عندما كان في اليمن نفذت منه النفقة فعرض عليه رفاقه الدراهم فأبى وأخذ ينسج التكك، ويبيعها ويفطر على ثمنها .

وذهب الفقهاء المسلمون الي أن العمل لإكتساب العيش وقضاء الدين والإنفاق على من يعول هو فرض عين على كل مسلم، وكانوا يرونه قرابة يتقربون به الي الله تعالي. ولقد مارس كثير من فقهاء وعلماء المسلمين الأعمال اليدوية، ولا زلنا نقرأ ونسمع عن عدد كبير من الذين نسبوا الي الأعمال والحرف التي كانوا يزاولونها فيأكلون لقمة العيش منها دون أن يجدوا أية غضاضة من هذه النسبة الي المهنة أو الحرفة، ولا زلنا نقرأ أسم الزجاج، والجصاص، والخياط، والبزاز، والخراز، والقطان، والدقاق، والخصاف، وغيرهم<sup>٩٠</sup>.

٨٨- تقي الدين النبهاني، النظام الإقتصادي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٠.

٨٩- ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، تحقيق سيد بن إبي سعدة، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٤٥.

٩٠- د. إبراهيم حسين العسل، العمل والقضايا العمالية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٣٥.

ونرى أن العمل يتمثل في النشاط الإنساني الذي يُبذل من أجل تحقيق الذات الفردية من جهة، وتحقيق الذات الإجتماعية من جهة أخرى، يمكن أن يكون مصدر سعادة ورفاهية للفرد والمجتمع على حدٍ سواء، وبه تقوم المجتمعات وتزدهر الحضارات، وكما يرى الباحث أن جميع الأنظمة المعاصرة قد سعت الي تنظيم العمل، وإن كانت في الوقت ذات نجد أن بعض المجتمعات - الغربية منها - وإن كانت تنادي بالحريات في مجال العمل، إلا أنها جميع التشريعات قد فرضت الكثير من القيود على عقد العمل، كما أن الإسلام قد وضع العمل في مكانة عالية تساوي مرتبة الجهاد في سبيل الله، وقد وضع له القيود والشروط، وأحاطه بكثير من الضمانات التي تحفظ للعامل حقه، وحتى لا يتحول الي السخرة والإستعباد .

كما نرى أن رأي شراح القانون في أن محل عقد العمل هو عمل العامل أي منفعة العين المؤجرة، وهذه المنفعة تقاس بالمدة، ومحل عقد العمل بالنسبة للمستأجر هو الأجرة التي يلتزم بتقديمها للمؤجر، يتفق مع ما قاله جمهور فقهاء الشريعة الإسلامية .

## الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أهتدي بهديه الى يوم الدين .  
في خاتمة هذه الدراسة، التي تناولت بالبحث عقد إجارة الأشخاص في الفقه الإسلامي، والتي أشتملت على المفهوم العام لهذا العقد من حيث تعريفه وخصوصيته إلى يختص بها عن غيره من العقود الأخرى، ومكوناته، وما جاءت به أحكام الفقه الإسلامي، مع مقارنة يسيرة مع أحكام القانون السوداني، وبعض آراء الفقهاء المحدثين، يخلص الكاتب إلى عدد من النتائج والتوصيات. يهدف من خلالها بيان ما توصلت إليه هذه الدراسة.

## النتائج :

ومن النتائج التي توصلنا إليها من هذه الدراسة، ما يأتي:

١/ قد وردت تعريفات عديدة في الشريعة الإسلامية وجميعها تكمن في أن التعرض لأحكام علاقات العمل في الشريعة الإسلامية يتطلب الخوض في أحكام الرابطة العقدية التي تقوم بين طرفي العمل، كما أن هذه التعريفات متقاربة ومتشابهة الي حد كبير. وهذا بدوره يقتضي النظر في إجراء المزيد من الدراسة ومعرفة الجوانب التي ينطلق منها كل تعريف إدراك ماهية هذا العقد .

٢/ هناك مسائل وأحكام التي باتت تفرضها مستجدات ومعطيات التطور في القرن الماضي، تحتاج الي معالجة، كالأحكام والضوابط المتعلقة بتنظيم الإجازات وساعات العمل والراحة وإصابات العمل، وغيرها، إذ تبدو الحاجة لبيان موقف الشريعة الإسلامية منها، بغية تبينها وإدراجها ضمن أحكام القوانين المتعلقة بالعمل، وهو ما يجعل بدوره الشريعة الإسلامية مصدراً لتلك القوانين .

٣/ العمل شرف الحياة وكرامتها، هو حياة وكرامة الفرد لأنه يؤمن له سبل الإنفاق على نفسه وأهل بيته، وبقية وإياهم مشقة الحرمان وذل السؤال، وهو حياة وكرامة للمجتمع لأنه يكفل لأفراده حاجاتهم ومتطلباتهم، ويهيئ لهم أسباب الأمن والإطمئنان، فلا عجب أن أهتم الإسلام بالعمل، وقدرت الشريعة العامل فرفعتة الي درجة المجاهد في سبيل الله .

٤/ هناك بعض العقود نجدها تتشابه مع عقد إجارة الأشخاص، وقد تداخل معه بحيث

يصعب التفرقة بينهما في بعض الأحيان، إلا أن الفقهاء قد وضعوا عدة معايير للتمييز بين هذه العقود، كما أن عقد إجارة الأشخاص يرتكز في الأساس على عنصري الأجر والتبعية في المقام الأول.

٥/ إن الأركان التي يقوم عليها عقد الإجارة في الفقه الإسلامي - وهما ركني الصيغة والعاقدان - قد جاءت بتفصيلات وافية في كتب الفقه الإسلامي، ومن خلال هذا الأركان يتأكد صحة وعدم صحة هذا العقد .

### التوصيات :

ومن خلال هذه الدراسة نوصي بعدة توصيات أهمها :

١/ أهمية دراسة الأحكام الواردة في كتب الفقه الإسلامي بشأن عقد إجارة الأشخاص، وذلك لأهمية هذا العقد في الآونة الأخيرة، وتقييم ما جاء في هذه الكتابات بالشرح وإستنتاج الآراء الراجعة للإستفادة منها .

٢/ ضرورة البحث في المسائل المستجدة في العصر الحديث من خلال أحكام الفقه الإسلامي، وذلك لإيجاد قواعد وأحكام لهذه المستجدات ووجود أساس شرعي لها، حتى تتماشى مع العصر الحالي .

٣/ النظر الي أهمية العمل في الحياة الإجتماعية والإقتصادية، والبحث على بث روح العمل وسط أفراد المجتمع، وذلك للعمل على نهضة البلاد وتقدمها، والعمل بما جاء في الكتاب والسنة من أوامر بالعمل والسعي للكسب المشروع .

٤/ العمل على إدراج القواعد والأحكام الشرعية الواردة للفقه الإسلامي في التشريعات المعاصرة، وذلك إنطلاقاً من أن الدولة الإسلامية مطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف نواحي الحياة.

## المراجع :

### القرآن الكريم.

#### أولاً: كتب الأحاديث:

- ١- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد ، الطبعة الثانية ، دار سحنون ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، الجزء ١٢ .
- ٢- أحمد بن حنبل ، المسند ، مؤسسة قرطبة ، د.ت ، ٢٨٩/٣ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، الجزء الثاني.
- ٣- الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، تونس ، دار سحنون ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٤- مختصر صحيح البخاري ، د. مصطفى ديب البغا ، الطبعة الخامسة ، دار العلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، ١٩٩٤م ، الجزء الثالث.

#### ثانياً : كتب اللغة :

- ١- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الرابع ، الجزء ٣٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
- ٢- أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، الطبعة الأولى.
- ٣- الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للتأليف ، دار بيروت للنشر ، بيروت ، د.ت.
- ٤- المعجم الوسيط ، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث العربي ( ج.م.ع ) ، الطبعة الرابعة ، مطبعة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م .

#### ثالثاً : كتب الفقه الإسلامي :

- ١- ابن تيمية - شيخ الإسلام إبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الشهير بإبن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، قدم له وعرف به فضيلة الشيخ المفتي حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ج ٣ .
- ٢- ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، د.ت ، ج ٢ .
- ٣- ابن عابدين ، حاشية ابن عابدين ، د.ن ، ج ٥ .
- ٤- الإمام السيد البكري ، إعانة الطالبين ، مطبعة إحياء الكتب العربية/ عيسى بالبابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، د.ت ، ج ٣ .

- ٥- التجاني عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، ١٩٩٥م.
- ٦- الدسوقي، الشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤.
- ٧- القطب محمد القطب طلبيه، الإسلام وحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٨- الزيبي، عثمان بن علي بن علي بن محمد فخر الدين الزيبي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للفقه الحنفي، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الإميرية ببولاق، مصر المحمية، ١٣١٥هـ، ج٥.
- ٩- الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوي الهندية ” المعرفة بالفتاوي العالمية“، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، الجزء الرابع.
- ١٠- د. جمال الدين عياد، نظم العمل في الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ١١- قدرى باشا، مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان، الباب الثالث.
- ١٢- عبد القادر الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة-قسم المعاملات، الجزء الثالث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ١٣- عبد القادر بن عمر التغلبي السباني الجنبلي، نيل المآرب بشرح دليل الطالب، دار إحياء الكيتب العربية، القاهرة، الجزء الأول.
- ١٤- علي بن إبي بكر الميرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الجزء الرابع.
- ١٥- محمد بن محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج الي معرفة ألفاظ المنهاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الجزء الثالث.
- ١٦- محمد بن محمد الطرابلسي بالحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، مكتبة النجاح، طرابلس، ج٥.
- ١٧- محمد قدرى باشا، مرشد الحيران الي معرفة أحوال الإنسان، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٨٩١م.
- ١٨- مجلة الأحكام العدلية، ألفتها لجنة مكونة من عدد من العلماء والفقهاء في الخلافة العثمانية.
- ١٩- منصور بن يونس البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ج٥.
- ٢٠- منصور يوسف البهوتي، الروض المربع، دار الفكر، الطبعة السادسة

### رابعاً: كتب الفقه القانوني:

- ١- عاطف محمد عبد الله الحاج ، الحاجة الماسة في قانون إيجار المباني لسنة ١٩٩١م ، دار وادي النيل للطباعة والنشر والتوزيع ، الخرطوم ، ٢٠٠٨م.
- ٢- د. محمد حسين منصور، قانون العمل، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١١م.
- ٣- أ.د. محمود جمال الدين زكي ، عقد العمل في القانون المصري ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م.
- ٤- نادرة محمود محمد سالم ، عقد العمل بين الشريعة والقانون، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م.
- ٥- د. هيثم حامد المصاورة، التشريع العمالي الإسلامي، دار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ٦- د. يس محمد يحيى، قانون العمل- المصري السوداني، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١م.

### خامساً: القوانين:

- ١- قانون العمل لسنة ١٩٩٧م.

## الوسائل الحديثة ودورها في إبرام العقود المالية

### (رؤية تأصيلية)

د/ محمد الأمين علي محمد<sup>(١)</sup>

تناول هذا البحث تعريف العقد و مدي مشروعيته و أركانه ، كما أنه تطرق إلي تعريف القبض و أركانه و شروطه ، و كذلك التعريف بالوسائل الحديثة و تقسيماتها و فوائدها . كما انه تعرض لمشكلة البحث وهي تكمن في عدة تساؤلات منها التعريف بماهية العقد و القبض و كذلك اقسام العقود التي يشترط فيها القبض و كذلك نشأت الوسائل الحديثة و المراحل التي مرت بها و طرق تطورها ، و طريقة معالجة هذه المشاكل تكمن من خلال ثانيا هذا البحث .

وقد اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الإستقرائي التحليلي و المنهج الوصفي و قد توصل الباحث الي عدة نتائج منها : أن الفقه الإسلامي بمرونته ظل وسيظل مهما تغيرت الوقائع شكلا و مضمونا « صالحا لإسباغ قواعده و ضوابطه علي كل ما يستجد من وقائع . و كذلك ليس في الشرع ما يمنع من تقبل مستحدثات العقود مع مراعاة عدم مخالفه مقصود الشارع . و كذلك لا مانع شرعا من استخدام الوسائل الحديثة خاصة الإنترنت فأن شأنها شأن سائر القنوات الفضائية لأنها وسيلة من وسائل لا يقال فيها حلال و لا حرام ، و إنما حرمتها بالنسبة لما تستخدم له و كذلك توصل الباحث الي عدة توصيات منها إن أعداء الإسلام قد نجحوا في استخدام الوسائل الحديثة و بخاصة الانترنت و توظيفها لخدمة دعواتهم الباطلة في تشويه صور الإسلام ، لذلك فإن علي الأمة الإسلامية اليوم أن تسعى للاستفادة من هذه التقنية الحديثة من أجل نشر تعاليم الإسلام و أحكامه تعاليمه كما نحب هدينا « عالميا » صالحا « لجميع البشر في كل زمان و مكان .

يجب أن تتضافر الجهود لمزيد من البحث و المعالجة لمثل هذه الأمور الحديثة، ابتغاء مرضاه الله تعالى، تحقيقا لتلاؤم مع متطلبات العصر، و مقتضيات التطور الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام علي سيدنا محمد سيد المرسلين و صاحب الخلق الكريم ، بشر و أنذر ، و وعد ، أنقذ الله به البشر من الضلالة ، و هدي الناس إلي صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات و ما في الأرض إلا إلي الله تصير الأمور .

و بعد ..

فان التعاقد بالوسائل الحديثة تكنولوجيا علي اختلاف أنواعها ( سمعية ، و بصرية ) ، تعد

١- استاذ مساعد - كلية الشريعة - جامعة القرآن الكريم و تأصيل العلوم .

من المسائل التي دعت الضرورة إلى بيانها و اختلاف الفقهاء في شأنها فقد، غدا التعاقد بالوسائل الحديثة اليوم همزة وصل بين الشعوب، وأداة تسهّل الحوار والتعامل بينهم ، فلقد قرب المسافات واختصر الزمن ، وسهل في المعاملات بين جميع جهات الأرض .

وزادت أهمية التعاقد بالوسائل الحديثة مع التقدم الكبير حيث قل الالتقاء المباشر بين المتعاقدين وأصبحت العقود تبرم بينهم بالمراسلات وعبر المسافات فأصبحت الضرورة ماسة إلى دراسة هذا الموضوع .

- ١ . بيان الموقف الفقهي من إبرام العقود بالوسائل الحديثة .
  - ٢ . محاولة متواضعة لسد النقص في الحديث عن التعاقد بالوسائل الحديثة وتناولها من وجهة نظر الشريعة الإسلامية .
  - ٣ . إن الموضوع له علاقة مباشرة بواقع الناس وحياتهم ، باعتبار أنه يتعرض لقضايا شائعة بينهم .
  - ١ / تكمن أهمية الموضوع في أنه يتعلق بجانب من حياة المسلمين اليومية كالبيع والشراء .
  - ٢ / محاولة التوصل لنتائج وتقديم مقترحات فيما يتصل بالعقود .
  - ٣ / محاولة الوصول إلى الحكم الشرعي في هذه المسائل بعد بحثها بحثا « فقهييا » مع دراسة الإبعاد المستجدة لكل مسألة و بيان الحكم الشرعي لها .
- تكمن مشكلة البحث في عدة تساؤلات منها :

- ١ - ما معنى العقد
  - ٢ - ما معنى القبض وما هي أقسامه وما هي العقود التي يشترط فيها القبض
  - ٣ - ما معنى الوسائل الحديثة وما هي أقسامها وما فوائدها
- اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي الاستقرائي والمنهج الوصفي
- قسمت البحث إلى مقدمة و ثلاثة مباحث وهي علي النحو التالي :-
- المطلب الأول : تعريف العقد لغة و اصطلاحا .
- المطلب الثاني : مشروعيه العقد من الكتاب و السنة .
- المطلب الثالث : أركان العقد .
- الثانيا المطلب الأول : تعريف القبض و أقسامه و كفيته و شروطه .
- المطلب الثاني : العقود التي يشترط القبض في صحتها .

المطلب الثالث : العقود التي يشترط فيها القبض لنقل الملكية .

المبحث الثالث : التعريف بالوسائل الحديثة وفوائدها .

المطلب الأول : تعريف الوسائل الحديثة نشأتها وتطورها .

المطلب الثاني : تقسيمات الوسائل الحديثة .

المطلب الثالث : فوائد الوسائل الحديثة وعيوبها .

الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات .

## المبحث الأول

### تعريف العقد ومشروعيته وأركانه

#### المطلب الأول : تعريف العقد لغة واصطلاحاً

العقد عند علماء اللغة بفتح العين و تسكين القاف و ضم الدال اسم من عقد فهو يطلق عند علماء اللغة علي معان كثيرة ، تدور كلها حول الربط و الشد و الإحكام و الالتزام و التوكيد و التقوية و الضمان سواء كان ذلك من الأمور الحسية أو المعنوية.<sup>٢</sup>

#### فقد جاء في اللغة

إن العقد نقيض الحل فالعقد العهد و الجمع عقود ، فهو أوكد العهود ، و عقد الحبل أي شده و منه قيل عقدت البيع و نحوه ، و عاقده علي كذا و عقدت عليه بمعني عاهدته .<sup>٣</sup>  
أولاً : الأصل في العقد يطلق علي الربط الحسي ثم نقل إلي الربط المعنوي علي سبيل المثال المجازي لكن لا علي سبيل الحقيقة فيه .

فيرى البعض إن حقيقة كلمة العقد في الربط الحسي ثم تجاوز بها عنه من الربط المعنوي ، و علي هذا الرأي يكون إطلاق العقد علي البيع و غيره من التصرفات من قبيل المجاز تشبيها للربط بين الإيجاب و القبول .

ثانياً : و قد تطلق كلمة و يراد بها مطلق الربط أعم من أن يكون حسياً أو معنوياً و علي هذا يكون إطلاق العقد علي التصرفات كالبيع و نحوه من باب الحقيقة لا من قبيل المجاز .  
بالنظر للمعنيين الأول و الثاني نجد المعنى الثاني بالعموم هو الأكثر شيوعاً و استعمالاً في معجم اللغة العربية نظرًا للالتزام الواضح بين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي .

أطلق الإمام الجصاص رحمة اللهُ العقد علي التزام شئ في المستقبل قائلاً : « إن إطلاق العقد علي التزام شئ في المستقبل أعم من أن يكون جهة واحدة أو من جهتين ، فقد سمي البيع و النكاح و سائر عقود المعاوضات عقوداً ، لأن واحد من طرفي العقد ألزم نفسه بالتزامه و يسمى اليمين علي المستقبل عقداً ، لأن الحالف ألزم نفسه بشئ يفعل في المستقبل فهو عقد» .<sup>٤</sup>

٢- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ط عيسى الحلبي مصر ، ج ١ - ص 16

٣- هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، المرجع السابق نفسه ، ص ١٦

٤- هو أبو بكر احمد ابن عبد الله الرازي الجصاص ، ولد ٣٠٥ هجرية ، و توفي سنة ٣٧٠ هجرية - طبقات المفسرين

مرجع سابق ج ١ ، ص ٩٣ .

٥- أحكام القرآن للجصاص ، ٣ / ٥٢٨٥ دار إحياء التراث العربي بيروت ، سنة ١٤٠٥ هـ .

و ذهب الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) فقال العقود الربوط و أحدها عقد ، وقال : عقدت العهد و الحبل ، و عقدت العسل و هو يستعمل في المعاني و الأجسام .

عند الحنفية : العقد هو تعلق كلام أحد العاقدين بالآخر - شرعا علي وجه يظهر أثره في المحل<sup>٨</sup> .  
عند المالكية : هو يتوقف علي إيجاب و قبول ، وأما غيرها كالطلاق وما بعده إخراجات لا تتوقف علي إيجاب و قبول<sup>٩</sup>

عند الشافعية : العقد هو ما يجري بين اثنين مما يتوقف الالتزام فيه علي اجتماع إرادتين<sup>١٠</sup> .

### عند الحنابلة : هو ما يجري بين اثنين حقيقة أو حكماً<sup>١١</sup> .

#### سبب اختلاف الفقهاء :

لعل السر في اختلاف الفقهاء راجع إلي الاستعمال اللغوي لكلمة عقد ، إذ أنه يطلق كما سبق علي الربط بين أطراف الشيء ومن هذا المعني جعل العقد بمعني الربط بين كلامين في الاتفاقات المتبادلة ، كما أنه يراد به الأحكام و التقوية ، ومن هذا المعني جعل العقد بمعني العهد و اليمين ، يقوي عظم الحالف علي فعل المحلوف أو تركه .

#### العقد عند الفقهاء له معنيان :

أحدهما عام : هو التصرف الذي ينشأ عنه الحكم الشرعي ، سواء صدر من شخص واحد كالنذر و اليمين ، أو من طرفين كالبيع و الإجارة ، مفاد هذا التعريف يتحقق بالتصرف الذي ينشئ حكماً شرعياً ، و سواء وجد التزاماً من جانب في مقابله التزام من جانب آخر كالبيع ، أو كان متوقف تماماً علي قبول الطرف الآخر كالطلاق و النذر و الإبراء من الدين<sup>١٢</sup> .

و من هذا الإطلاق العام جاء في روح المعاني في تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

٦- هو عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن فزح الأنصاري ، الخزرجي القرطبي ، المتوفى سنة ٦٧١ هجرية أنظر طبقات النفسرين للسيوطي ، ص ٩٢ ، مكتبة وهبه القاهرة ، ط ١ ، سنة ١٣٩٦ هـ .

٧- المائدة الآية ١ .

٨- العناية بهامش شرح القدير للإمام البابرتي ، ٦/١٨٨ ، ٢٤٨ ، دار المعرفة بيروت

٩- حاشية الدسوقي ، للإمام محمد بن عرفة الدسوقي ، ٣/٥ ، تحقيق محمد عليش ، ط دار الفكر بيروت .

١٠- نهاية المحتاج في شرح المنهاج ، للشيخ محمد بن أحمد الرملي ، ٣/٥ ، ط مصطفى الباوي الحلبي ، القاهرة ١٩٢٨ م

١١- كشاف القناع عن متن الإقناع ، للشيخ منصور بن يونس البهوتي ، ٢/١٤٦ ، تحقيق هلال مصيلحي ، ط دار الفكر

بيروت ، ١٤٠٢ هـ

١٢- المدخل لدراسة بعض النظريات في الفقه الإسلامي ، د: عبد الودود السريتي ، ص ٨٠ ، ط دار المطبوعات

الجامعية الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .

أَوْفُوا بِالْعُقُودِ<sup>١٣</sup>. المراد ما يعمم جميع ما أُلزم الله عباده ، و عقد عليه من التكاليف و الأحكام الدينية ، و ما يعقدونه فيما بينهم ، من عقود الأمانات و المعاملات و نحوها ، مما يجب الوفاء به<sup>١٤</sup>.

وإليه ذهب أبو بكر الجصاص<sup>١٥</sup> رحمه الله ، لأن العقد هو ما يعقده العاقد علي أمر يفعله هو أن يعقد علي غيره فعله علي وجه إلزامه<sup>١٦</sup>.

ثانياً خاص : و هو يتناول التصرف الذي يتوقف علي تمامه علي إرضاء الطرفين ولا يصح بالإيجاب أو القبول، و بهذا المعني عرفه الإمام الزركشي رحمه الله<sup>١٧</sup> : «العقد ارتباط الإيجاب و القبول كعقد البيع و النكاح و غيرهما»<sup>١٨</sup>

وبناء عليه فإن هذا المعني هو الذي يراد به العقد ، و ذلك لأن المعني الشائع المشهور ، حتى إذا ذكر لفظ العاقد كان هو المتبادر في الذهن . أما معني العام فلا تدل عليه كلمة العقد إلا بنيه تدل عليه<sup>١٩</sup>

إن العقد هو من قبيل الارتباط في نظر الشرع بين شخصين ، نتيجة اتفاق إرادتهما ، و هاتان الإرادتان خفيتان ، فطريق إظهارهما التعبير عنهما ، و هو في العادة بيان يدل عليهما بصورة متقابلة من الطرفين المتعاقدين ، و يسمى هذا التعبير المتقابل إيجاباً و قبولاً .

الإيجاب هو أول كلام يصدر من أحد المتعاقدين ، فعبر عن إرادته في إنشاء العقد أياً كان هو البادئ منهما ، و أما القبول هو ما يصدر من الطرف الآخر بعد الإيجاب معبراً عن موافقته عليه . فالبادئ بعبارة في بناء العقد دائماً هو الموجب ، و الآخر هو القابل ، سواء كان البادئ مثلاً في عقد البيع هو البائع بقوله بعث أو المشتري بقوله اشتريت ، أو كان البادئ في نحو الإجارة هو المستأجر بقوله أجزت أو المستأجر بقوله استأجرت و هكذا في سائر العقود ، أو تعبيراً فيها عن الإرادة العقدية من أحد الطرفين هو الإيجاب و ثانيهما من الطرف الآخر هو القبول .

١٣- سورة المائدة الآية ١

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، الألوسي ، ٦/٤٨٨ ص ٢١٧ دار إحياء التراث العربي بيروت .

١٥- سبق ترجمته ، ص ٥

١٦- أحكام القرآن ، لأبي بكر بن علي الرازي الجصاص ، ٣/ ٢٨٥ تحقيق : محمد الصادق ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٤٠٥ م .

١٧- هو أبو عبد الله بدر الدين ابن بهار بن عبد الله الزركشي ، ولد سنه ٧٤٥ هـ ، و توفي سنة ٧٩٤ هـ ، أنظر ابن القاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ط ١ مكتبة عالم الكتاب بيروت ، سنه ١٤٠٧ هـ .

١٨- المنثور في القواعد ، للزركشي ، ٢/٣٩٧ ط ٢ ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية .

١٩- الملكية و نظرية العقد ، للشيخ أبو زهرة ، ص ١٧٥ ، دار الفكر العربي ، ط : ٣ ، ١٩٥٧ هـ .

ومتى حصل الإيجاب و القبول بشرائئطهما أعتبر بينهما الارتباط و في الحقيقة ارتباط بين الشخصين بموضوع العقد . و موضوع الأثر المقصود منه ، الذي شرع العقد لأجله ، أي حكمه الشرعي ، فيصبح كل منها ملزما من الحقوق التي التزمها ، بمقتضى الطرف الآخر.

الإيجاب و القبول في عقد البيع هما لفظاً « بعت أو اشتريت » أو ما في معناهما ، إذا صدر كل منهما من عاقد ذو أهلية شرعية لعقد البيع ، يرتبطان في عقد البيع ارتباطاً يثبت له أثر في محل العقد ، و هو الأحوال التي يقصد المتعاقدان تبادل الحقوق فيها ، وذلك الأثر هو انتقال ملكية المبيع من المشتري ، و استحقاق الثمن ، و المال المرهون هو محل العقد ، و حق الاحتباس موضوع العقد ، و هو الغاية النوعية التي تميزه عن غيره من أنواع العقود ، ثم بعد الانعقاد تثبت هذه الغاية ، فتكون حكماً شرعياً للعقد الواقع إلي أثرها أصلياً يرتبه الشرع و يثبتته علي ذلك المال المرهون ، كنتيجة لعقد الرهن ، و هذا يقال في كل عقد<sup>٢٠</sup>.

بناء علي ما سبق من تعريف الفقهاء للعقد ، يتضح أن التعريف المختار للعقد هو ارتباط الإيجاب الصادر عن أحد المتعاقدين بقبول الطرف الآخر ، علي وجه مشروع يترتب عليه الأثر المقصود من المعقود عليه ، و ذلك لأن التعريف عام و شامل ، بالنسبة لأثار العقد ، لأن الأثر المقصود من العقد يشمل ما يترتب علي العقد من التزامات ، يجب علي المتعاقدين الوفاء بها ، وكذا بالنسبة للعقود التي تتدرج تحت مدلول العقد في الفقه الإسلامي.

### ثالثاً : تعريف العقد عن بعض المعاصرين

أولاً : عرف بأنه ارتباط إيجاب و قبول علي وجه مشروع يثبت أثره في محله<sup>٢١</sup>

ثانياً : الربط بين كلامين أو ما يقوم مقامها ، صادرين عن شخصين علي وجه يترتب عليه أثره الشرعي<sup>٢٢</sup>.

ثالثاً : هو تصرف إرادي يصدر عن شخص فيلزمه منفرداً أو مع آخر علي وجه يترتب عليه تحقيق مصلحة مشروعة<sup>٢٣</sup>.

إن الشريعة الإسلامية اهتمت اهتماماً كبيراً ، حيث جعلت لكل أحد باباً خاصاً لأحكامه و تطبيقاته ، كعقد البيع و الإجارة و الوكالة ، و السلم و الرهن ، وغيرهما من العقود الأخرى ، التي

٢٠- رسالة دكتورة ، د. الصادق محمد ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ص: ٧٠ تطبيقات صيغ التمويل الإسلامي ، ١٩٩٤

٢١- المدخل لدراسة الشريعة لمصطفى الزرقا ٢٩١/١ ، ط جامعة دمشق ، طبعة الأولى ، ١٩٦٥ م .

٢٢- مختصر أحكام المعاملات الشخصية ، الشيخ علي الخفيف ، ص٥٥ ، ط السنة المحمدية القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .

٢٣- الفقه الإسلامي وأدلته ، و هبة الزحيلي ، ٨٠/٤ ، دار الفكر سوريا ، ط٢ ، سنة ١٩٨٤ .

لا غني عنها بتنظيم المعاملات بين الناس دون استقلال المعاملات أو ظلم بينهم ، ومن أجل هذا نصت الشريعة الإسلامية علي مشروعية العقود في الكتاب و السنة و الإجماع .

أولاً : من القرآن الكريم: قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ )<sup>٢٤</sup>. إن الله سبحانه و تعالى قد حرم أكل أموال الناس بالباطل ، و أحله بطريق التجارة ، و فيما بينهم بالتراضي الذي هو الإيجاب و القبول بين الطرفين ، و هذا هو العقد عند الحنفية<sup>٢٥</sup>.

وقوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ )<sup>٢٦</sup> إن الله أمرنا بالوفاء بالعقود ، و الأمر هنا للوجوب ، ما لم يكن هناك صارف و حيث لا صارف يجب الوفاء بالعقود ، وهو المطلوب شرعيته . كما أن المراد بالعقود في الآية ، ما يجري بين الناس من العقود و المعاملات بأن تكون علي وفق ما أمر و أن يتجنبوا الخبيث من الكسب<sup>٢٧</sup>.

و أيضا قوله تعالى ( وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا )<sup>٢٨</sup> المراد بالعهد العقد ، و المعني أي الذين تعاهد عليه الناس ، و العقود التي تعاملوا بها ، و إن العهد و العقد كل منهما يسأل صاحبه<sup>٢٩</sup>.

حيث أمرنا الله بالوفاء به ، فإن الأمر بالوجوب ولا صارف هنا ، فدل علي وجوب الوفاء بالعقد ، و علي أنه مشروع لأن عدم الوفاء بالعهد و العقود صفة من صفات المنافقين ، و هم في الدرك الأسفل من النار<sup>٣٠</sup>.

وقوله تعالى ( وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ )<sup>٣١</sup> و قوله تعالى ( وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَفْسِيهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا )<sup>٣٢</sup>

٢٤- سورة النساء الآية ٢٩

٢٥- إقامة العقد في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي ، لاشين محمد يونس الغياتي ، ص ١٣ ، ط مطبعة التقدم طنطا ١٩٨٥ م .

٢٦- سورة المائدة ، الآية ١

٢٧- نظرية العقد في الفقه الإسلامي ، د. عبد الغفار صالح ، ص ٥٤ طبعة ٢٠٠٢-٢٠٠٣ م

٢٨- سورة الإسراء الآية ٣٤ .

٢٩- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ٤٠/٣ دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ

٣٠- إقامة العدل ، مرجع سابق ، للاشين الغياتي ، ص ١٤

٣١- سورة البقرة الآية ٢٣٥

٣٢- سورة النساء الآية : ٢٢

## ثانياً : من السنة النبوية :

ما روي عن ابن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده ، أن الرسول صلّى الله عليه وسلم قال: « الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا حرم حلال أو أحل حراما و المسلمون علي شروطهم ، إلا شرطاً حرم حلال و أحل حرام »<sup>٣٣</sup>.

أن عمر بن عبد العزيز أنه كتب : إن من سأل عن مواضع الفئى ، فهو حكم فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فرأه المؤمنون عدلاً ، موافقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم « جعل الله الحق علي لسان عمر و قلبه » فرض الأعطية للمسلمين ، و عقدت لأهل الأديان ذمة بما فرض عليهم في الجزية ، لم يضرب بها بخمس لا مغنم.<sup>٣٤</sup>

## ثالثاً الإجماع :

فقد أجمع فقهاء الأمة الإسلامية علي أن العقد غاية من غايات التشريع الإسلامي و وسيلة من وسائل التعامل بين الأفراد ، وذلك أن الإنسان كائن اجتماعي بفطرته لا يمكنه أن يعيش منفردا بعيدا عن جنسه لأنه بهم و يحتاج إليهم ، و ذلك لأن حاجات الإنسان معقدة و كثيرة فهو يحتاج إلي أن يقبض حاجته من مأكّل و مشرب و ملبس و مسكن و كل ذلك جعله يبني علاقات مع الآخرين ليتمكن معهم من قضاء حاجاته ، فكان ذلك دافعا لمشروعية العقد<sup>٣٥</sup>.

ومن المعقول أن العقل يجد في العقود منفعة كبيرة للأفراد ، وذلك لشدة الحاجة إليها ، فكان ذلك سببا في شرعيتها لأنها وسيلة لتحقيق الهدف بلا حرج أو مشقة أو ظلم<sup>٣٦</sup>.

تعريف الركن لغة : الركن يقصد به أجزاء الشيء و ماهيته و جوانبه التي يستند إليها و يقوم بها . واصطلاحاً : الركن هو الجزء الذاتي الذي تتركب الماهية منه و من غيره ، بحيث يتوقف تقومها عليه<sup>٣٧</sup>.

أولاً : رأي الجمهور في أركان العقد

يري جمهور المالكية و الشافعية و الحنابلة أن أركان العقد ثلاثة هي الصيغة و العاقدان و المعقود عليه « المحل » .

٣٣- أخرجه الترمذي في سننه ، ٦٣٤/٣ ، رقم الحديث ٣٥٢ ، كتاب الأحكام ، باب ما ذكر عن رسول الله في الصلح بين الناس .

٣٤- سنن أبي داود ، كتاب الخراج و الإمارة و الفي ، باب في تدوين العطاء ، رقم الحديث ٢٩٦١ ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

٣٥- إقامة العدل ، لاشين الفيّاتي ، مرجع سابق ، ص: ١٤

٣٦- سبل السلام و شرح بلوغ المرام ، لمحمد بن إسماعيل للصنعاني ، ٣/٢ ، ط دار إحياء التراث العربي ، ط٤ ، بيروت ١٣٧٩ هـ .

٣٧- الموسوعة الفقهية ، ص ٢٠٠ ، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية ، ط ١ ، ج ٢٠ دار الصفاة ، سنة ١٩٩٤ .

وللجمهور فيما ذهبوا إليه و هو أن العقد لا يمكن تصوره بدون الثلاثة وهم الصيغة -  
العاقدان - و المعقود عليه ، لذلك وجب اعتبارها أركان العقد .

وبناء علي مسلك الجمهور هذا يكون العاقدان والمعقود عليه من أركان العقد و هو مأخوذ  
من نصوصهم :

١/ عند المالكية : و للبيع ثلاثة أركان وهي: الصيغة و العاقد و هما البائع و المشتري و  
المعقود عليه<sup>٣٨</sup> .

٢/ عند الشافعية : و أركان العقد عاقد و معقود عليه و صيغة<sup>٣٩</sup>

٣/ عند الحنابلة : أما البيع فله ثلاثة أركان ، عاقد ، و معقود عليه ، و صيغة<sup>٤٠</sup> .

### ثانياً : رأي الحنفية في أركان العقد :

يري الحنفية أن للعقد ركنا واحدا ، وهو الصيغة التي لا يتم إنشاء العقد إلا بها لأنها  
وحدها التي تدخل في تكوينه وهي عبارة عن الإيجاب والقبول<sup>٤١</sup> .

### رأي الحنفية :

ولهم في مسلكهم هذا وجهة نظر هي أنه إذا وجدت الصيغة وجد العقد لأن الصيغة يلزم  
من وجودها عاقدين ، قالوا بأن الصيغة تشمل وحدها بإيجاد العقد و تكوينه ، و هذا  
المعني غير موجود بالنسبة للعاقدين و المحل .

وبناء علي رأي الحنفية يكون العاقدان و المعقود عليه من الشروط لا من الأركان ، لأن  
الركن عندهم هو الصيغة فقط .

فقد جاء في كتب الحنفية : أما القول في الإيجاب و القبول و هما ركنه . فالواقع أن ما ذهب إليه  
الحنفية من اعتبار الصيغة ركن للعقد بالضرورة وجود الركنين الآخرين عند غيرهم ، فلا إيجاب  
بغير موجب ولا قبول بغير قابل ، ولا إيجاب و قبول بغير محل يقع عليه العقد ، فكان مذهب الحنفية  
أولي بالاختصار عليه<sup>٤٢</sup> .

٣٨- مواهب الجليل لشرح مختصر ، لأبي خليل عبد الله عبد الرحمن المغربي المشهور بالحطاب ٢٨٨/٤ ، ط دار الفكر  
بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ .

٣٩- حواشي الشرواني ، للشيخ عبد الحميد الشبرواني ، ط دار الفكر بيروت ، ٢١٥/٤ .

٤٠- كشاف القناع عن متن الإقتناع ، للشيخ منصور بن يونس البهوتي ، ١٤٦/٢ ، تحقيق : هلال مصيلحي مصطفي  
هلال ، ط ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢هـ .

٤١- بدائع الصنائع لأبي بكر علاء الدين بن أحمد الكاساني ، ١٣٣/٥ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م

٤٢- بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج٢٥ ، ص ١٣ .

## المطلب الأول : تعريف القبض و أقسامه و شروطه :

حقيقة القبض و أقسامه : دلت القواعد العامة في الشريعة الإسلامية علي اشتراط القبض في كثير من العقود و إن كان ذلك الاشتراط مختلفا في مدام بين عقد و آخر و بين فقيه و آخر من الفقهاء و المجتهدين .

### حقيقة القبض في اللغة و الاصطلاح :

تعريف القبض في اللغة : القبض الجمع و الأخذ في القاف و الباء و الضاد أصل واحد صحيح يدل علي شئ مآخوذ ، فالقبض هو تناول الشئ بجميع الكف و قبض الشئ أخذه بيده تقول قبضت اليد علي الشئ أي جمعها بعد تناوله ، و قبضها عن الشئ أي جمعها قبل تناوله و ذلك تناوله و ذلك إمساك عنه ، و قبضت الشئ قبضا أي أخذته ، و هو في قبضته أي ملكه .

و قد استعار القبض لتحصيل الشئ و ان لم يكن فيه مراعاة الكف نحو قبضت الدار و الأرض من فلان أي أخذته ، و يقال قبضته عن الأمر أي عزلته ، و قد يكتني عن القبض بالموت و يقال قبضه الله أي أماته<sup>٤٢</sup> .

### القبض في اصطلاح الفقهاء :

أن القبض و الحيابة و الحوز من الألفاظ المشتركة و معناها هو حيابة الشئ و التمكن منه سواء كان التمكن باليد أو بعدم المانع من الاستيلاء عن الشئ هو ما يسمى بالتخلية أو القبض الحكمي . و القبض عبارة عن حيابة الشئ و التمكن منه سواء أكان مما يمكن تناوله باليد أم لم يمكن<sup>٤٣</sup> . قال العلامة الكسائي : « لأن القبض هو التمكن و التخلي و ارتفاع الموانع عرفا و عادة و حقيقة . موازنة بين المعني اللغوي و الاصطلاحي للقبض : إذا نظرنا للقبض في معناه اللغوي و الاصطلاحي نلاحظ أن بينهما نسبة العموم و الخصوص و المطلق لأن القبض يستعمل في اللغة لتحصيل الشئ و إن لم يكن فيه مراعاة الكف و هو معناه الاصطلاحي و يستعمل أيضا بمعاني أخرى فكان كل قبض بالمعني الاصطلاحي قبضا بالمعني اللغوي و العكس إذ الأخص يستلزم دائما معني الأعم و العكس<sup>٤٤</sup> .

١/ القبض الحقيقي : هو القبض الحسي أي القبض التام المدرك بالحس و يتم بتقدير

٤٢- لسان العرب ، لابن منظور ، ٧/٧٢٤ مادة « قبض »

٤٤- البهجة شرح التحفة ، ابي الحسن علي بن عبد السلام التولي ، ١/١٦٨ ، ط مصطفى الحلبي ١٣٧٠ هـ ، مصر .

٤٥- قضايا فقهيه في المال و الاقتصاد ، د/ نزيه حماد ، ص٧٦ ، طبعة دار القلم دمشق .

المقدرات بالكيل والوزن والعد والزرع ونقل المنقولات كالسيارات والطائرات ومواد البناء والحيوانات من مكانها الذي تم فيه التعاقد إلي مكان آخر .

٢/ القبض الحكمي : أو التقدير يقام مقام القبض الحقيقي وينزل منزلته وأن لم يكن متحققا حسا في الواقع وذلك لضروريات ومسوغات تقتضي اعتبارا تقديرا وحكما وترتيب أحكام القبض الحقيقي عليه .

**كيفية القبض :** أن القبض في الأشياء يختلف بحسب طبيعة الأشياء وبحسب طبيعية الناس في العصور المختلفة والبيئات المتباينة وطبيعة المعاملات كما هو معلوم فإن كل ما ورد في الشرع مطلقا ولم يرد فيه ولا في اللغة ما يقيد به يرجع في تحديده للعرف<sup>٤٦</sup> و يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « الأسماء تعرف حدودها تارة بالشرع كالصلاة والصيام والزكاة والحج وتارة باللغة كالشمس والقمر والبحر والبرد وتارة بالعرف كالفيض والتفرق كذلك العقود كالبيع والإيجار والنكاح والهبة وغير ذلك فما ورد له كيفية شرعية في قبضه يرجع إليها وما ليس كذلك فيرجع فيه للعرف»<sup>٤٧</sup> .

تختلف كيفية قبض الأشياء حسب اختلافها في نفسها وهي نوعان : ١/ عقار ٢/ ومنقول

### قبض العقار :

#### إختلف الفقهاء على المراد بالعقار إلي قولين :

**الحنفية :** هو أن العقار ما له أصل ثابت لا يمكن نقله وتحويله للأراضي والدور أما البناء والشجر فيعتبران من المنقولات إلا إذا كانا تابعين للأرض فيرى عليهما حكم العقار بالتبعية . **الجمهور :** هو أن العقار هو الأرض والبناء والشجر وأما ما يكون به القبض العقار فقد اتفق الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة علي أن القبض هو العقار بالتخلية والتمكين من اليد والتصرف فإن لم يتمكن منه فإنه منعه شخص آخر من وضع يده عليه فلا تعتبر التخلية قبضا وقيد الشافعية قولهم هذا بما إذا كان العقار غير معتبر فيه تقدير أما إذا كان معتبرا فيه كما إذا اشترى مزارعة فلا تكفي التخلية بل لابد مع ذلك من الزرع .

كما اشترط الحنفية أن يكون العقار قريبا فإذا كان بعيدا فلا تعتبر التخلية فإن لم يعتبر القرب والبعد وان كان العقار مما له قفل فيكفي في قبضه تسليم المفتاح مع تخليته بحيث يتهيأ له فتحه من غير تكلف .

٤٦- القبض وأحكامه ، د/ مسعود بن مسعود ص١٦ ، طبعة المكتبة ، الطبعة الأولى دار بن حزم ١٩٩٥ م .

٤٧- القواعد النورانية الفقهية ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ، تحقق محمد حامد الفقي ٢٩٩/١ ، ط دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٩ هـ .

قد ألحق الحنفية و الشافعية و الحنابلة الثمر علي الشجر بالعقار في اعتبار التخلية في ارتفاع المواضع قبضا له لحاجه الناس إلي ذلك و تعارفهم عليه<sup>٤٨</sup>.

### قبض المنقول :

المنقول هو ما يمكن نقله و تحويله فيشمل النقود و العروض و الحيوانات و الموزونات و السفن و السيارات و ما أشبه ذلك و اختلف الفقهاء في كيفية قبض المنقول إلي قولين للحنفية و الجمهور .

### الحنفية :

قبض المنقول يكون بالتناول باليد أو التخلية علي وجه التمكين و يسمى التناول باليد قبضا حقيقيا و بالتخلية قبضا حكما إي الأحكام المترتبة عليه كأحكام القبض الحقيقي .  
و استدلو علي ذلك : بأن تسليم الشئ في اللغة معناه جعله سالما خالصا لا يشاركه فيه غيره و هذا غيره و هذا يحصل بالتخلية و بان من وجب عليه التسليم لا بد أن يكون له سبيل الخروج من عهده ما وجب عليه ووافق الحنفية علي اعتبار التخلية في المنقول قبضاً .

### أما جمهور الفقهاء :

فذهبوا للتعريف بين المنقولات فيما يعتبر قبضا لها حيث أن بعضها يتناول باليد عادة كالنقود و الجواهر و غيرها و ما لا يتناول باليد نوعان « أحدهما لا يعتبر فيه تقدير في العقد ، و الثاني يعتبر فيه فيحصل لديهم في المنقولات ثلاث حالات .  
الأولي : أن يكون مما يتناول باليد عادة كالنقود و الجواهر و غيرها و قبضة يكون بتناوله باليد .  
الثانية : أن يكون مما لا يعتبر فيه تقدير في كيل أو وزن أو زرع أما لعدم إمكانه و أما مع إمكانه كالمتاع و العروض و الدواب و في هذه الحالة اختلف جمهور الفقهاء فيما يكون قبضا له علي ثلاث أقوال :

١ / الأباضية<sup>٤٩</sup> وهو أن يكون القبض بالتخلية<sup>٥٠</sup>

٢ / المالكية وهو أنه يرجع في قبضه للعرف .

٣ / الشافعية و الحنابلة وهو أن قبضه يكون بنقله و تحويله .

و استدل الشافعية و الحنابلة علي ذلك بالمنقول و العرف

٤٨- الحيازة في العقود ، د/ نزيه حماد ، ص٤٧ ، مكتبة دار البيان ، الطبعة الأولى دمشق ، ١٩٧٨ .

٤٩- الأباضية : هي احدي فرق الخوارج ومؤسسها عبد الله بن اباض التميمي و يدعي أنهم ليسو خوارج و الحقيقة أنهم ليسو من غلاة الخوارج و لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة مثل تعطيل الصفات و القول بخلق القرآن و جواز الخروج علي أئمة الجور - الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي

- الناشر دار الندوة العالمية - الرياض - ط١- ٢٠٠٣م - ص ٥٨

٥٠- الحيازة في العقود د/ نزيه حماد ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

أما المنقول فما روي عن ابن عمر أنه قال : كنا نشترى الطعام من الركبان جزافاً فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبيعه حتى ننقله من مكانه وقيس علي الطعام غيره .

**أما العرف :** فلأن أهله لا يعدون احتواء اليد عليه قبضاً من غير تحويل

**الحالة الثالثة :** أن يكون ما يعتبر فيه تقدير من كيل أو وزن أو زرع أو ثوب مزارعه ففي هذه الحالة اتفق الشافعية والمالكية والحنابلة علي أن قبضه يكون باستيفائه بما يقدر فيه من كيل أو وزن أو زرع واشترط الشافعية مع ذلك نقله وتحويله .

واستدل الشافعية والحنابلة « بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن بيع الطعام حتى يجري فيه الصاعان صاع البائع وصاع المشتري وقوله صلى الله عليه وسلم « من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يكتاله<sup>٥١</sup> » فذلك على أنه لا يحصل فيه القبض إلا بالكيل فتعيين فيما قدر بالكيل وقيس عليه الباقي .

إن منشأ اختلاف الفقهاء إنما هو اختلاف العرف والعادة فيما يكون قبضاً للأشياء كما قال ابن تيمية « ما لم يكن له حد في اللغة والشرع فيرجع فيه للعرف » كالقبض المذكور في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يقبضه<sup>٥٢</sup> . ولهذا اختلف القبض في الأشياء حسب نوعها واختلاف عادات الناس فيه<sup>٥٣</sup> .

### شروط صحة القبض :-

**الشرط الأول :** أن يكون الشخص أهلاً للقبض : أتفق الفقهاء علي أنه يشترط لصحة القبض صدوره من أهل له ، غير أنهم اختلفوا فيمن يكون أهلاً « علي ثلاثة أقوال : فذهب الشافعية والحنابلة إلي أنه يشترط في صحة القبض صدوره من جائز التصرف وهو البالغ العاقل غير المحجور عليه ، وذهب الحنفية إلي أن أهلية الشخص للقبض هي نفسها أهلية التصرفات القولية والعقود ، فيشترط لصحة القبض أن يكون القابض عاقلاً « فلا يصح قبض المجنون والصبي الذي لا يعقل<sup>٥٤</sup>»

**الشرط الثاني :** صدور القبض ممن له ولايته : فالقبض نوعان قبض بطريق الأصالة ، وقبض بطريق النيابة .

٥١- صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، كتاب البيوع ، حديث رقم ١٥٢٥ ، باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ، ص ١١٥٩

٥٢- صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، كتاب البيوع ، حديث رقم ١٥٢٥ ، باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ، ص ١١٦٢

٥٣- بدائع الصنائع ، للكسائي مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٢٦

٥٤- المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥

أما القبض بطريق الأمانة ، فهو أن يقبض الشخص بنفسه لنفسه ، ولا خلاف بين الفقهاء في أن ولاية هذا القبض تكون لمن تثبت له أهلية القبض<sup>٥٥</sup> .

أما القبض بطريق النيابة : فولايته تثبت أما بتوليئه المالك أو بتوليئه الشارع. **الشرط الثالث : الإذن :** اختلف الفقهاء في اشتراط الإذن لصحة القبض علي ثلاثة مذاهب : فذهب الحنفية و الشافعية إلي التفريق بين ما إذا كان للمقبوض منه الحق في حبسه كالمرهون في يد الراهن ، و الموهوب في يد الواهب ، و المبيع في يد البائع بثمن حال قبل الثمن ، وبين ما إذا لم يكن له الحق في حبسه كالمبيع في يد البائع بعد نقد المشتري ثمنه ، أو قبل إذا كان الثمن مؤجلاً ، فذهبوا في الحالة الأولى إلي أنه يشترط في صحة القبض أن يكون بإذن من له حق في حبسه ، و ذهبوا في الحالة الثانية إلي أنه لا يشترط ، و صححوا القبض بدون إذنه<sup>٥٦</sup> . و عللوا اشتراط الإذن في الأولى بأن من كان له الحق في حبس الشيء فلا يجوز إسقاط حقه بغير إذنه ، بخلاف من لم يكن له الحق في حبسه ، و تعلق حق الغير به ، و استحق قبضه فان لم يقبضه سواء أذن المقبوض منه أم لم يأذن .

و ذهب المالكية إلي أنه يشترط الإذن لصحة القبض في الرهن ولا يشترط في سائر العطايا كالهبة و الصدقة و الوقف ، لبقاء ملك الراهن في الرهن دونها .

و ذهب الحنابلة إلي أنه يشترط الإذن لصحة القبض في الرهن و في العطايا كالهبة و الصدقة ، فان تعدي المرتهن أو الموهوب أو المتصدق عليه فقبضه بغير إذن الراهن أو الواهب أو المتصدق ، فسد القبض ، و لم تترتب عليه أحكامه .

**الشرط الرابع :** أن يكون المقبوض غير مشغول بحق غيره ، و اختلف الفقهاء في اشتراط كون المقبوض غير مشغول بحق غيره علي ثلاثة أقوال:

الأولي للحنفية و الشافعية : و هو أن يشترط لصحة العقد أن يكون المقبوض غير مشغول بحق غيره فلو كان المبيع داراً مشغولة بمتاع للبائع فلا يصح القبض حتى يسلمها فارغة<sup>٥٧</sup> .

الثاني للمالكية : و هو انه لا يشترط في صحة القبض ان يكون المقبوض غير مشغول بحق غيره إلا في دار السكني فيشترط بصحة قبضها إخلاؤها .

الثالث للحنابلة : و هو انه لا يشترط ذلك ويصح قبض الشيء المشغول بحق غيره فلو خلاء

٥٥- الحيازة في العقود ، د. نزيه حماد ، ص ٥٠ ، مرجع سابق

٥٦- بدائع الصنائع ، للكاساني ١٢٣/٦ ، مرجع سابق .

٥٧- الفتاوى الهتدية ، المسماه بفتاوى العالم كبرى ١٧/٣ .

البائع بين المشتري وبين الدار المبيعة ، وفيها متاع للبائع صحة القبض لان اتصالها لملك البائع لأي منع صحة العقد.<sup>٥٨</sup>

الشرط الخامس : أن يكون المقبوض منفصلا متميزا « وهذا الشرط قال به الحنفية و هو أن يكون المقبوض منفصل متميز عن حق الغير فإن كان متصلا به اتصال الأجزاء فلا يصح القبض

و علي هذه فلورهن أو وهب الأرض بدون البناء أو بدون الزرع أو الشجر بدون الأرض أو الشجر بدون الثمر أو الثمر بدون الشجر فلا يصح القبض لو سلمه الكل لأن المرهون أو الموهوب المراد قبضه متصل بغيره اتصال الأجزاء وهذا يمنع من صحة القبض.<sup>٥٩</sup>

وسبب اشتراطهم هذا الشرط أن اتصال الشئ بحق الغير يمنع من التمكين منه و يحول دونه ومن أجل ذلك لا يصح قبضه و هو في هذه الحال.<sup>٦٠</sup>

الشرط السادس : أن لا يكون المقبوض حصة شائعة : أختلف الفقهاء في اشتراط عدم الشيوع لصحة القبض علي قولين :

الأول : للمالكية و الشافعية و الحنابلة : و هو أنه يصح قبض الحصة الشائعة ، لأن الشيوع لا ينافي صحة القبض ، إذ لو كان القبض غير متحقق في الحصة الشائعة لعدم تمكن كل واحد من الشريكين من التصرف في حصته ، لكان كل الشريكين في ملك شائع غير قابضين له و لو كانا غير قابضين له لكان مهما « لا يد لأحد عليه ، وهذا أمر ينكره الشرع و العيان ، أما الشرع فلأنه جعل تصرفهما فيه تصرف ذي ملك و ملكه و أما العيان فلكونه عند كل واحد منهما مدة متفقان عليها أو عندهما معا « يتفقان عليها و عندها معا ينتفعان به و يستغلانها.<sup>٦١</sup>

غير أن جمهور الفقهاء مع اتفاقهم علي صحة قبض الحصة الشائعة و عدم منافاة الشيوع لصحة القبض و اختلفوا في كيفية قبض الحصة الشائعة

أ/ فذهب الشافعية و الحنابلة إلي قبض الحصة الشائعة يكون بقبض الكل فإذا قبضه كان ما عدا حصته أمانة في يده لشريكه لأن قبض الشئ يعني وضع اليد عليه و التمكين منه و في قبضه الكل وضع ليده علي حصته و تمكن منها و قالوا لا يشترط لذلك إذن

٥٨- كشاف القناع علي متن الاقتناع ، منصور بن يوسف البهوتي ، مرجع سابق ٢/٢٠٢ .

٥٩- بدائع الصنائع للكاساني ، 6/125 ، المرجع السابق .

٦٠- رد المحتار ، علي الدر بن عابدين ، مرجع سابق ، ٤/٤٧٩ .

٦١- الأم ، محمد بن إدريس الشافعي ، ١٢٥/٣ ، ١٦٩ ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ط١ ، ١٣٢٦هـ .

الشريك إذا كان الشيء يقبض بالتخلية ، أما إذا كان مما يقبض بالنقل و التحويل ، فيشترط إذن الشريك لأن قبضه بنقله ، و نقله لا يتأتي إلا بنقل حصة شريكه مع حصته ، و التصرف في مال الغير بدون إذنه لا يجوز .

فإن أبي الشريك الإذن فللمستحق قبضه أن يوكل شريكه في قبض حصته فيصبح القبض ، فإن لم يوكله قبض له الحاكم ، أو نصب من يقبض لهما ، فينقله ليحصل القبض ، لأنه لا ضرر على الشريك في ذلك و يتم به عقد شريكه<sup>٦٢</sup> .

ب/ و قال المالكية : قبض الحصة الشائعة يكون بوضع يده عليهما كما كان صاحبها يضع يده عليها مع شريكه ، إلا في المرهون الذي يكون الشريك فيه الرهن فيشترط قبض الكل كيلا تجتمع يد المرتهن معا ، سواء أذن الشريك الرهن أو لم يأذن ، فلو وهب رجل نصف داره و هو ساكن فيها ، فدخل الموهوب له فساكنه فيها ، وصار حائزا بالسكني و الارتفاق بمنافع الدار ، و الواهب معه في ذلك علي حسب ما يفعله الشريكان في السكني ، فذلك قبض تام ، وكذلك كل من وهب جزءا من مال أو دار ، و تولى احتياز ذلك مع واهبه ، وشاركه في الاغتيال و الارتفاق فهو قبض<sup>٦٣</sup> .

لكن لو رهن شخص نصف دار شائعا لم يتم القبض إلا بقبض المرتهن جميعا لئلا تجول يد الرهن فيها ، أما لو كان النصف غير المرهون للرهن فيحصل القبض بحلولة في حصة الرهن مع الشريك في السكني و الارتفاق .

والتاني للحنفية : وهو أنه يشترط في صحة القبض ألا يكون المقبوض حصة شائعة ، وذلك لأن معنى القبض إثبات اليد و التمكن من التصرف في الشيء المقبوض ، و تحقق ذلك في الجزء الشائع وحده لا يتصور فإن سكنى بعض الدار شائعا و لبس بعض الثوب شائعا محال ، وإن قابضه لا يتمكن من التصرف فيه ولو جاز الكل نظرا لتعلق حق الشريك به<sup>٦٤</sup> .

إن جميع العقود التي يشترط فيها القبض لنقل الملكية : عقد القرض و العارية و الهبة و نحوها لا مانع شرعا من عقدها بالوسائل المستحدثة للاتصال ليس شرطا في صحتها لكنه شرط لإتمام العقد و نقل الملكية :

الهبة : ذكر جمهور الفقهاء أن الهبة و الصدقة و الهدية أفاض ذات معاني متقاربة وكلها تمليك

٦٢- مفتي المحتاج شرح المنهاج ، للشريبي الخطيب ، ٢/٤٠٠ ، مرجع سابق .

٦٣- الموسوعة الفقهية ، الصادرة عن وزارة الأوقاف ، مرجع سابق ، ٢٧٨/٣٠ .

٦٤- بدائع الصنائع للكاساني ، مرجع سابق ، ١٢٠/٦ .

في الحياة بغير عوض و اسم العطية شامل لجميعها وكذلك الهبة و ان كان هناك ثمة تغاير بين الصدقة و الهدية لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة<sup>٦٥</sup>

اختلف الفقهاء في اشتراط القبض لنقل الملكية للعين الموهوبة إلي الموهوب علي قولين : فذهب المالكية و الظاهرية<sup>٦٦</sup> : إلى أنه لا يشترط القبض في انتقال الملكية إلي الموهوب بل تثبت له بالعقد و علي المشتري اقباضه و فاء بالعقد لقوله : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ )<sup>٦٧</sup> حتى أن المالكية نصوا علي إجبار الواهب لتسليم الموهوب إن امتنع و استدلو علي عدم اشتراط القبض بالقياس على البيع فإن المشتري يملك ما اشتراه بالعقد و لو لم يقبض .

و ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية<sup>٦٨</sup> و الشافعية<sup>٦٩</sup> و الحنابلة<sup>٧٠</sup> : علي أنه يشترط القبض في انتقال الملكية إلي الموهوب و أن الهبة لا تملك إلا بالقبض و استدلو علي ذلك بالسنة و الإجماع و المعقول .

### و أما السنة :

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لا تجوز الهبة إلا مقبوضة )<sup>٧١</sup> أي لا تملك إلا بعد القبض فالمراد نفي الملك قبل القبض لا نفي الجواز ولأن النبي اهدي إلي النجاشي ثلاثين أوقية مسكا ، ثم قال لأم سلمة : إني لأرى النجاشي قد مات ولا أرى الهدية التي أهديت إلي إلا سترد فإن ردت إلي ، فهي لك فكان كذلك ، فدل ذلك علي أن الهدية لا تملك إلا بالقبض<sup>٧٢</sup> .

### أما الإجماع :

فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أن أبا بكر نحلها حزاز عشرين وثقا من ماله بالعالية<sup>٧٣</sup> ، فلما حضرته الوفاة قال : و الله يا بنية ما من الناس أحب إلي غني بعدي

٦٥- المغني ، لابن قدامة ٥ / مرجع سابق ٥٩١ .

٦٦- الشرح الكبير علي مختصر خليل ، أحمد الدردير ، ٤ / ١٠١ مرجع سابق .

٦٧- سورة المائدة: الآية ١

٦٨- رد المحتار علي الدر المختار ، لابن عابدين ، ٨ / ٤٢٤ ، ط دار الفكر بيروت ، ط ٢ ، ١٣٦٨ .

٦٩- مغني المحتاج ، للشمس الدين الخطيب ، ٢ / ٤٠٠ مرجع سابق .

٧٠- المحرر في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، لمجد الدين أبو البركات ، ١ / ٣٧٤ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ( ب ت ، ب ط )

٧١- المستدرک علي الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، ٢ / ١٢٤٥ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر

عطا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

٧٢- الحيازي في العقود ، د. نزيه حما ، ص ١٣ ، مكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٩٧٨ م .

٧٣- العالية : هي أرض العرب ما فرق نجد إلي أرض تهامة - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار

الدعوة بمصر - ص ٣٣

منك ولا اعز علي فقرا بعدي منك و إني كنت نحلكت<sup>٧٤</sup> من مالي حزاز عشرين وثقا فإن كنت جددتيه و احتزتيه كان لك وذلك و إنما هو اليوم للوارث و إنما هما أخواك و أختاك فاقتموه علي كتاب الله فلولا توقف الملك علي القبض لما قال أنه مال الوارث و قد روي عن عمر ابن الخطاب انه قضي في الأنحال أن ما قبض منه فهو جائز وما لم يقبض فهو ميراث<sup>٧٥</sup> و قد روي مثل ذلك عن عثمان وبن عمر وبن عباس و أنس و عائشة رضي الله عنهم ولا يعرف لهم في الصحابة مخالف فكان إجماعاً.

### أما المعقول :

أن الموهوب لو ملكه قبل القبض لثبت له الحق في مطالبة الواهب بالتسليم وإجباره عليه وهذا من موجبات عقد المعاوضات والهبة عقد تبرع.

وبالموازنة بين هذين القولين : يرجع جمهور الفقهاء باشتراط العقد لنقل ملكية العين الموهوبة إلي الموهوب وذلك لقلّة الأدلة التي ساقوها ولأن ما استدل به غير مشترطين في قياس الهبة علي البيع في أن المشتري يملك المبيع قبل قبضه غير مسلم لأنه قياس مع الفارق إذ البيع عقد معاوضة ينطوي علي التزام من طرفيه والهبة عقد تبرع ينطوي علي إحسان من الواهب دون أن يقابله أي التزام من الطرف الآخر فافترقا.

### القرض :-

في اللغة: القطع وشرعاً: هو عقد مخصوص يرد علي دفع مال مثلي لآخر ليرد مثله ، سمي العقد قرضاً لما فيه من قطع طائفة من ماله وذلك بالتسليم إلي المستقرض<sup>٧٦</sup> ، واختلف الفقهاء في مدى اشتراط القبض في القرض لنقل الملكية علي ثلاثة أقوال:  
ذهب المالكية إلي أن المقترض يملك القرض بالعقد ملكاً تاماً وأن لم يقبضه ويصير مالاً من أمواله و يقضي له به<sup>٧٧</sup>.

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية علي المعتمد عندهم<sup>٧٨</sup> والشافعية في القول الأصح<sup>٧٩</sup>

٧٤- نحلكت معناها : وهبتك - المرجع السابق نفسه - ص ٥٦

٧٥- سنن البيهقي الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين علي البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط دار الباز ، مكة المكرمة ١٩٩٤ .

٧٦- رد الصنائع ، للكاساني ، مرجع سابق ، ٢٩٥/٧

٧٧- المرجع السابق ، ص ٣٩٦

٧٨- رد المختار علي الدر المختار ، بن عابدين ، ١٦٤

٧٩- المهذب ، إبراهيم بن محمد الشيرازي ، ٢٩١/١ ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٦ م

والحنابلة<sup>٨٠</sup> إلي أن المقرض إنما يملك المال المقرض بالقبض واستدلوا علي ذلك : أولاً : بأن هذا الاسم دليل عليه لأن القرض في اللغة القطع فيدل علي انقطاع ملك المقرض بنفي التسليم ثانياً بأن المستقرض بنفس القبض صار في سبيل من التصرف في القبض من غير إذن المقرض بيعاً وهبة وصدقة وسائر التصرفات وإذا تصرف فيه نفذ تصرفه ولا يتوقف علي إجازة المقرض وهذه إمارات الملك إذ لو لم يملكه لما جاز له التصرف فيه وتظهر ، ثمة الخلاف بين ما ذهب إليه المالكية وما ذهب إليه جمهور الفقهاء إذا هلكت العين المقرضة بعد العقد وقبل القبض إذ يكون ضمانها في هذه الحالة علي المقرض عند المالكية لأنها هلكت في ملكه ، أما عند الجمهور فيكون ضمانها علي المقرض لأنها لم تزل في ملكه ولم يملكها المقرض بعد وذهب أبو يوسف من الحنفية والشافعية في قول عندهم ، إلي أن المقرض إنما يملك المال المقرض بالتصرف فإذا تصرف فيه تبين ثبوت ملكه قبله والمراد بالتصرف كل عمل يزيل الملك كالبيع والهبة والإعتاق ولا يكفي الرهن والتزويج والإجارة.

واستدل أبو يوسف علي قوله بأن الإقراض إعارة بدليل أنه لا يلزم فيه الأجل ولو كان معاوضة للزم كما في سائر المعاوضات و كذا في إقراض الدراهم و الدينير لا يبطل بالاقتراض قبل قبض البدلين و لو كان مبادلة لبطل لأنه صرف و الصرف يبطل بالافتراق قبل قبض البدلين و كذا لا يملكه الأب و الواسي و العبد و المأذون و هؤلاء يملكون المعاوضات و ثبت بهذه الدلائل أن الإقراض إعارة فبقيت العين علي حكم ملك المقرض<sup>٨١</sup> .

لتظهر ثمة الخلاف بين ما ذهب إليه جمهور الفقهاء و ما ذهب إليه أبو يوسف و الشافعية في قول في ما إذا استقرض شخص من رجل كرا و قبضه ثم اشترى ذلك الكرا بعينه من المقرض فإنه لا يجوز علي عين الجمهور لأنه ملكه بنفس القبض فيصير مشترياً ملك نفسه أما علي القول الآخر فالكر باقي علي ملك المقرض فيصير المستقرض مشترياً ملك غيره فيصح<sup>٨٢</sup>.

بالنظر إلي هذه الأقوال الثلاثة فإنني أميل إلي ما ذهب إليه جمهور الفقهاء : الأول : وهو أن ملكية القرض إنما تنتقل إلي المقرض بالقبض وذلك لقوة استدلالهم ولأمور ثلاثة ، أحدها : أن القرض عقد اجتمع فيه جانب المعاوضة وجانب التبرع أما

٨٠- كشف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس البهوتي ، 3/257 مطبعة أنصار السنة المحمدية القاهرة ، 1947م

٨١- مفني المحتاج شرح المنهاج ، محمد الشربيني الخطيب ، مرجع سابق ، ١٢/٢ .

٨٢- رد المحتار علي الدر المختار ، بن عابدين ، مرجع سابق ، ١٦٤/٥ .

المعاوضة فلأن المستقرض يجب عليه رد بدل مناسب عوضاً عن المال المستقرض وأما التبرع فلأنه ينطوي علي تبرع المقرض للمستقرض بالانتفاع بالقرض بسائر التصرفات لكن جانب التبرع فيه أرجح لضعف جهة المعارضة فيه كما اتضح من الأمثلة التي ساقها أبو يوسف ولأن التبرع بمنافع المال المقرض هو مقصوده وثمرته ، ألا تري أنه لا يقابله عوض في الحال كذلك لا يملكه من لا يملك التبرع فكان كباقي التبرعات من هبات وصدقات فتنتقل الملكية فيه بالقبض لا بالعقد ولا بالتصرف .

والثاني : أن القول بانتقال الملكية فيه بالتصرف ممنوع لأن التصرف فرع الملك فيمتنع كونه شرطاً فيه وإلا لزم الدور .

والثالث : أن قول أبي يوسف أن القرض إعارة والإعارة تملك المنفعة لا تملك العين غير المسلم لأن ما لا يمكن الانتقال به مع بقاء عينه بقيام عينه مقام المنفعة يصير قبض القبض فيه قائماً مقام قبض المنفعة والمنفعة في الإعارة تملك بالقبض لأنها تبرع بتمليك المنفعة فكذا ما هو ملحق بها وهو العين .

الوقف في اللغة : هو الحبس وهو ضد الإطلاق والتخلية .

وأما في الاصطلاح الشرعي : فهو ( تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة ) وقد اختلف فقهاء الحنفية في اشتراط القبض لزوال ملكية الوقف عن الواقف فقال أبو يوسف : يزول ملكه بمجرد القول ، لأنه اسقط ملكه لله تعالى فصار كالمعتق<sup>٨٢</sup> .

وقال محمد بن الحسن : لا يزول ملكه حتى يجعل للوقف متولياً ويسلمه إليه ، لأنه صدقة ، فيكون التسليم من شرطه كالصدقة المنفذة ، ولأن التملك من الله تعالى لا يتحقق قصداً لأنه مالك الأشياء ولكنه يثبت في ضمن التسليم إلي العبد كما في الزكاة وغيرها من الصدقات المنفذة .

وعلي هذا فإن بني شخص سقاية للمسلمين أو رباط للمجاهدين أو خلا أرض مقبرة للمسلمين زال ملكه عند أبي يوسف بقوله ، وقال محمد إذ استقي الناس من السقاية وسكنوا الرباط ودفنوا في المقبرة زال ملكه وقد أخذ مشايخ بخاري بقول الإمام محمد لكن المفتي به و الراجح هو مذهب الحنفية وهو قول أبي يوسف .

وإنني أميل إلي ما ذهب إليه أبي يوسف وأفتي به الحنفية من زوال ملكية الوقف عن الواقف

٨٢- نهاية المحتاج شرح المنهاج ، محمد أحمد الرملي ٣٥٨/٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ( ب ن ، ب ط )

دون احتياج إلي القبض قياساً علي العتق لأن في كل منهما تزول ملكية الرقبة من المعتق والواقف إلي الله عز وجل .

أما ما استدل به الإمام محمد من قياس الوقف والصدقة والزكاة فغير مسلم لافتراق الوقف عنهما ، إذ فيه لا تنتقل ملكية الرقبة إلي الموقوف عليه بينما تنتقل في الصدقة والزكاة ، فكان قياساً عليهما مع الفارق<sup>٨٤</sup> .

### العقود التي يشترط القبض في صحتها :-

إن العقود التي يشترط القبض فيها التقابض الفوري في مجلس العقد هي التي يعتبر القبض شرطاً في صحتها ويترتب علي عدمه البطلان هي مثار خلاف الفقهاء حول إمكانية عقدها بالوسائل الحديثة للاتصال ، وتحدث عن نماذج منها:

### أولاً الصرف :-

الصرف في اللغة: الصرف من الصرافة ، وله عدة معاني منها الدفع والوزن والكيل والنقل ، تقول صرفت المال أي أنفقته وصرفت الذهب بالدرهم أي بعته<sup>٨٥</sup> .

الصرف في الاصطلاح : هو مبادلة واقعة علي الأثمان بعضها ببعض عند الحنفية : إن الصرف هو بيع ما هو من جنس الأثمان بعضها ببعض<sup>٨٦</sup> عند المالكية : إن الصرف بيع الذهب بالفضة<sup>٨٧</sup> .

عند الشافعية : هو بيع النقد بالنقد من جنسه وغيره<sup>٨٨</sup>

عند الحنابلة : ما كان من جنسين فجائز التفاضل فيه يدا بيد ولا يجوز فيه نسبة<sup>٨٩</sup> .

في الاقتصاد : هو مبادلة عملة وطنية بعملة أجنبية ، ويطلق علي سعر المبادلة أيضا .

اتفق الفقهاء علي أنه يشترط في صحة عقد الصرف التقابض في البديلين قبل التفرق ، قال ابن المنذر أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم علي أن المتصارفين إذا افترقا قبل أن يتقابضا أن الصرف فاسد<sup>٩٠</sup> .

واستدلوا علي ذلك بما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي صلي الله

٨٤- الحيازة في العقود في الفقه الإسلامي ، الدكتور نزيه حماد ، مرجع سابق ، ص ١٠٢-١٠٣

٨٥- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، مرجع سابق ، ص ٣/٢٤٢

٨٦- المصباح المنير ، لأبي المكارم المطرزي ، ص ٢٠٣ ، ط دار الكتاب العربي .

٨٧- حاشية الدسوقي للإمام أحمد بن عرفة الدسوقي ، ٣/٣٥ ، مرجع سابق

٨٨- مغني المحتاج للإمام شمس الدين الشربيني الخطيب ، مرجع سابق ، ٢/٢٥

٨٩- المغني لابن قدامه ، مرجع سابق ، ٤/٢٩

٩٠- رد المحتار علي الدر المختار ، لابن عابدين ، ٥/٤٩-٢٥٨ ، مرجع سابق .

عليه وسلم أنه قال : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيفما شئتم إذا كان يداً بيد »

وبما روي عن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال : « ولا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ، ولا تبيعوا الذهب بالورق أحدهما غائب والآخر ناجز ، وإن إستنظرك حتى يلج بيننا فلا تنتظره إني أخاف عليكم الرماء »<sup>٩١</sup> أي الربالهدا إذا تعذر علي المتصارفينالتقايض في المجلس وأرادا الإفتراق ، لزمهما ديانة العقد بينهما قبل التفرق كي لا يأتما بتأخير العوضين أو حدهما ، لأن الشرع نهي عن هذا العقد إلا يدا بيد ، وحكم عليه أنه ربا إلا هاء بهاء ، فمتي لم يحصل هذا الشرط حصل المنهي عنه ، وهوربا النسيئة وهو حرام ، وفي التفاسخ قبل التفرق في العقد ، فلا تلزمهما شروطه<sup>٩٢</sup>

لكن فريق من المالكية استثنى من هذه الأصل المتفق عليه - هو إشتراط التقايض قبل التفرق لصحة الصرف ما لو تفرقا قبل التقايض عليه ، أي بما يغلبان عليه أو أحدهما ، كنسيان أو غلط أو سرقة من الصرف ونحو ذلك ، وقال الشيخ عليش : وقد تكون الغلبة بحيلولة سيل أو نار أو عدو قبل التقايض وقالوا بعض بطلان الصرف في هذه الحالة<sup>٩٣</sup> .

### أراء الفقهاء حول عقد الصرافة بالوسائل المستحدثة :

إن معظم التعامل في الصرف يتم عبر الحدود ومن ثم تبرز الحاجة إلي تحويل العملة من مكان إلي آخر ويتم التحويل أما برقيا أو بريديا أو هاتفيا أو عبر التلكس أو الفاكس أو الإنترنت ، وفي هذه الحالة نجد أن العملة قد لا تصل في الحال إلي الطرف ، بل تتأخر وفقا لسرعة الإتصال عبر هذه الوسائل التكنولوجية مما يتيح لبائع العملة أن يستفيد من توظيف ذلك المال في تلك الفترة<sup>٩٤</sup> .

وهذا الأمر أثار أختلاف الفقهاء حول إمكانية عقد الصرافة بالوسائل المستحدثة :-

### أولا : المجيزون لعقد الصرافة بالوسائل المستحدثة :

ذهب بعض الفقهاء إلي جواز إجراء عقد الصرافة من خلال الاتصال المباشر في حالة ما إذا تم التقايض بين المتصارفين في نفس مجلس عقد الصرافة ، وذلك لأن يكون لكل

٩١- صحيح البخاري ، ٢ / ٧٦١ كتاب الينبوع ، باب بيع الفضة بالفضة ، رقم الحديث : ٢٠٦٨ .

٩٢- المجموع شرح المذهب ، للإمام النووي ، ٩ / ٤٠٤ ، مرجع سابق .

٩٣- بداية المجتهد ونهاية المتقصد ، الإمام محمد بن أحمد بن رشد ، ٢ / ١٦٤ ، ط دار الفكر بيروت .

٩٤- أحكام العقود و البيوع في الفقه الإسلامي ، للسائح ، ص ١١٢-١١٣ .

واحد من المتصارفين وكيل في مجلس العقد المنعقد عن طريق الوسائل المستحدثة ، بتولي عملية استلام ما ترتب في ذمه موكله مباشرة وقبل انقطاع المجلس<sup>٩٥</sup> .

ويتم ذلك علي النحو التالي أن يقوم الناقل للصراف بتحديد سعر الصرف أولاً ، ومن ثم استلام المبلغ وإشعار وكيله في البلد الآخر عن طريق وسائل الاتصال المباشر الهاتف أو اللاسلكي أو البريد أو التلكس أو الإنترنت و في نفس مجلس العقد بتسليم المبلغ إلي صاحبه أو ما ينوب عنه ، و علي أساس سعر الصرف المتفق عليه وقت التعاقد و استلام المبلغ بحيث أن يمكن لوكيل صاحب المبلغ استلام مبلغ موكله مباشرة و بدون تأخر ، و بالتالي فإنه يمكن القول بأن التقابض بين المتصارفين في مثل هذه الحالة هو تقابض فوري وناجز ما دام أنه قد تم في مجلس العقد وذلك لأن القبض قد يكون فعلياً ( و هو القبض الحقيقي المحسوس ) و قد يكون حكماً<sup>٩٦</sup> .

المانعون لعقد الصرافة بالوسائل المستحدثة : ذهب بعض الفقهاء إلي القول بعدم جواز عقد الصرافة عن طريق وسائل الاتصال الحديثة .

مجمع الفقه : قرر مجمع الفقه المنعقد بجده في دورته السادسة إلي أنه لا يجوز إجراء عقد الصرافة بآليات الاتصال الحديثة لاشتراط القبض الفوري<sup>٩٧</sup> .

وقد أفتي البعض بعدم جواز التوكيل في القبض في الصرف فقال : لا يجوز أن تدفع العملة لأحد التجار في بلد ثم يستلم أو يستلم وكيله عملة أخرى بدل منها في بلد آخر لأن هذا صرف والصرف يشترط فيه القبض في المجلس ، ولكن من الممكن أخذ العملة البديلة في مجلس العقد ثم تحويله إلي البلد الذي تريد .

و أيضاً : لأن الفترات التي يتم فيها عقد الصرف فيها من خلال الوسائل المستحدثة للاتصال تتفاوت من وسيلة إلي أخرى ، فإذا أراد شخص تغيير عملة بعملة أخرى فقام بإرسال حوالة عن طريق البريد إلي أحد المصارف لإرسال العملة التي يريد فقام المصرف بإرسال تحويل له عن طريق البرق ( التلغراف ) ، فإن فترة التحويل البريدي أطول من التحويل بواسطة البرق ، وبالتالي فإن سعر الصرف في الحالة الأولى ( البريد ) يقع أقل من الحالة الثانية ( البرق ) مما يتيح فرصة توظيف العملة الأجنبية لفترة أطول ، و هذا هو الربا بعينه .

٩٥- حكم إجراء العقود بالآت الإتصال الحديثة ، علي القرة داعي ، بحث منشور في مجلس الفقه الإسلامي ، العدد : ٢ الجزء ٢

٩٦- بداية المجتهدو نهاية المقتصد ، ابن رشد ، ٢/١٥٠-١٥١ .

٩٧- الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة ، لعلي أحمد السالوس - طبعة دار أم القرى للطباعة والنشر ( ط ٥ - ١٩٩٨م ) .

و أيضا فإن عقد الصرافة بالوسائل المستحدثة ، لا يخلو من تلوث الربا و الوقوع في المحظور إذ تأخر القبض .

ثانيا : بيع الأموال الربوية ببعضها :

اتفق الفقهاء علي أنه يشترط في صحة - بيع الأموال الربوية بجنسها الحلول و انتقاء النسيئة ، و كذا إذا بيعت بغير جنسها ، و كانا المالان الربويان تجمعهما علة واحدة ، إلا أن يكون احد العوضين ثمنا و الآخر مئثما كبيع الموزونات بالدرهم و الدنانير.<sup>٩٨</sup> و استدلوا علي ذلك بما ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال : ( الذهب بالذهب ، و الفضة بالفضة ، و البر بالبر و الشعير بالشعير ، و التمر بالتمر ، و الملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيفما شئتم إذا كان يدا بيد ) غير أن الفقهاء مع اتفاقهم هذه علي اشتراط الحلول و انتقاء النسيئة و اختلفوا اشتراط الترابط قبل التفرق من مجلس العقد في بيع جميع الأموال و الربوية ببعضها علي قولين:-

أحدهما : للشافعية و المالكية و الحنابلة و هو أنه يشترط الترابط قبل التفرق من المجلس في الصرف و غيره ، فلو تفرقا قبل التقابض بطل العقد و ذلك لأن النهي عن النسيئة ثبت في الصرف و غيره من بيع الربويات ببعضهما ، و تحريم النسيئة و وجوب التقابض متلازمان ، إذ من المحال أن يشترط الشارع انتفاء الأجل في بيع جميع الأموال الربوية و يكون تأجيل التقابض في بعضها جائزا ، و لا يخفي أن قوله صلي الله عليه وسلم ( يدا بيد و هاء بهاء )<sup>٩٩</sup> في شأن بيع الأموال الربوية الستة بالكيفية البينة في الحديث أنها منه اشتراط التقابض فيها جميعا<sup>١٠٠</sup>

الثاني : للحنفية ، هو أنه لا يشترط التقابض قبل التفرق إلا في الصرف أما في غيره - كبيع حنطة شعير أو تمر أو حنطة - فيشترط لصحته التعيين دون التقابض لأن البدل في غير الصرف يتعين بمجرد التعيين قبل القبض ، و يتمكن مشتريه بمجرد التعيين من التصرف فيه و لذلك لا يشترط قبضه لصحة العقد ، بخلاف البدل في الصرف فإنه لا يتعين بدون القبض ، إذ القبض شرط في تعيينه ، حيث أن الأثمان لا تتعين مملوكة إلا به ، و لذلك كان لكل من العاقدين تبديلها بمثلها قبل تسليمها<sup>١٠١</sup> .

٩٨- مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، لحمد عامش ، ص٥١١/٢ ، ت : ١٢٩٩ ، دار الفكر بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٨٤ .

٩٩- المستدرک علي الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم ، كتاب البيوع ، ج٢ ، ص٢٤ ، حديث رقم ( ٩٢٥١ ) .

١٠٠- سبق تخريجه ، ص

١٠١- روضة الطالبين و عمدة المتقين ، ليخي بن شرف الدين النووي ، ٣ / ٨٧٢ ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط٢ ، ٥٨٩١ م ،

١٠٢- رد المحتار علي الدر المختار ، لابن عابدين ٢ / ٢٧١ - ٨٧١ .

أرى أن ما ذهب إليه الجمهور من اشتراط التقابض في المجلس في بيع الأموال الربوية هي الأولى بالأخذ و الاعتبار عملاً بالكيفية التي نص عليها الحديث : ( يدا بيد ) حتى لا يؤدي التأخير إلي التفاضل الذي يؤدي بدوره إلي الربا المحرم شرعاً و الذي يبدو لي و الله اعلم انه لا مانع شرعاً من عقد الأموال الربوية عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ، فأن الجمهور يشترطون التقابض في المجلس في بيع بعضها ببعض فأن هذا الشرط ممكن تحقيقه مع عقدها بالوسائل المستحدثة وذلك عن طريق التوكيل ، بأن يكون لكل واحد من المتعاقدين و وكيل يقوم بعملية القبض نيابة عن موكله ، فمثلاً « إذا قامت شركة بإرسال فاكس إلي أحدي الشركات بطلب شراء صفقة من القمح من نوع معين مقابل صفقة من نفس النوع أو من نوع آخر يجوز إذا تم القبض في نفس المجلس ، بأن يكون لكل منهما وكيل سواء أكان هذا الوكيل شخصاً « أم مندوباً » يتمثل في هيئته أو فرع لهذه الشركة في البلد الآخر .

### ثالثاً : عقد السلم :

في اللغة : السلم له معاني كثيرة منها السلف و يقال سلم و أسلف بمعنى واحد.<sup>١٠٢</sup>  
السلم في الاصطلاح : عقد يحقق لونا « من ألوان الاستثمار ، كما أنه صورة تطبيقية للتعاون في ظل الشريعة الإسلامية .

عند الحنفية : بيع أجل بعاجل.<sup>١٠٤</sup>

عند المالكية : بيع يتقدم فيه رأس المال و يتأخر الثمن لأجل.<sup>١٠٥</sup>

عند الشافعية : بيع شئ موصوف في الذمة ببدل يعطي عاجلاً.<sup>١٠٦</sup>

عند الحنابلة : هو عقد علي موصوف في الذمة مؤجل بثمن مقبوض في مجلس العقد.<sup>١٠٧</sup>

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية و الشافعية إلي أنه يشترط في صحة عقد السلم قبض المسلم إليه رأس المال قبل الافتراق ، ف ن تفرقا قبل قبضه فسد العقد.<sup>١٠٨</sup>

وذهب المالكية إلي أنه يشترط في صحة السلم قبض رأس المال قبل تفرقهما أو بعده بمدته

١٠٢- لسان العرب ، لابن منظور ، ٢٩٥/١٢ ، مادة « سلم »

١٠٤- البحر الرائق ، لابن نجيم ، ص: ١٨٦/٦ ، دار المعرفة بيروت ، بدون .

١٠٥- الشرح الكبير علي مختصر خليل ، لأحمد الديردير ، 3/195 .

١٠٦- روضة الطالبيين و عمدة المنتقن ، ليحي بن شرف الدين النووي ، ٣/٤ ، ط المكتب الإسلامي بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

١٠٧- الإنصاف في معرفة الخلاف علاء الدين للمرداوي ، ٨٤/٥ ، ت : ٨٨٥ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط ١ ، سنة ١٣٧٧ هـ

١٠٨- الفقه الإسلامي و أدلته ، لوهبية الزحيلي ، ص: 285 .

يسيره كاليومين أو الثلاثة ، سواء كان هذا التأخير بشرط أو بغير شرط عملا بالقاعدة الفقهية الكلية ( ما قارب الشئ يعطي حكمه فإن تأخر قبضة أكثر من ذلك بطل العقد )

### آراء الفقهاء حول إمكانية عقد السلم بالوسائل المستحدثة :

#### أولا المانعون لعقد السلم بالوسائل المستحدثة :

مجمع الفقه الإسلامي : أن مجلس العقد المنعقد في الفقه الإسلامي بجده في المملكة العربية في مارس ١٩٩٠ قرر : أنه لا يجوز عقد السلم بالوسائل الحديثة نظرا لاشتراط تعجيل رأس المال<sup>١٠٩</sup> وهذا مبني علي رأي الجمهور الذين يشترطون قبض رأس مال السلم في مجلس العقد قبل الافتراق خشية الوقوع في بيع الدين بالدين وهو منهي عنه .

و أرى أنه في ظل التطور الهائل لوسائل الاتصال الحديثة ، فإنه لا مانع من عقد السلم من خلال هذه الأجهزة التي يتم بها الاتصال مباشرة لأن عملية اشتراط القبض الفوري و تعجيل رأس المال أمر ممكن عن طريق هذه الوسائل فإنه من الممكن لرب السلم أن يقوم بدفع رأس المال إلى المسلم إليه الذي تعاقد معه من خلال هذه الوسائل عن طريق الدفع الالكتروني بإرسال شيك الالكتروني يستلمه المسلم إليه في اللحظة و يعتبر قبضا « لأن قبض الشيك قبض لمحتواه.

أما المالكية فيجيزون تأخير دفع رأس المال إلي ثلاثة أيام فما دونها .

وبناء عليه يجوز عقد السلم بالوسائل المستحدثة لأنه من الممكن عقد رأس المال في أقل من هذه المدة من خلال هذه الوسائل و هو ما تقتضيه طبيعة هذا العصر في المعاملات ، بما لا يخالف الشريعة في القواعد الخاصة بالعقود .

لقد أنزل الله الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و الكتاب هو الهادي إلي الحق و الميزان ، و هو الذي توزن أعمال الخلق فيعرف عدلها من عائلها ، و صحيحها من فاسدها ، و ترد الفروع إلي أصولها ، و يلحق النظر بنظيره ، و يعطي حكمه مع الجواز و المنع كما في رسالة سيدنا عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري « الفهم الفهم فيما أدليه إليك ، و رد عليك مما ليس في القرآن ولا سنة ، ثم قايس الأمور عند ذلك ، و اعرف الأمثال ، ثم أعمد فيما تري إلي أحبها إلي الله و أشبهها بالحق ، و لهذا يعتبر من الجور و عدم العدل إلحاق الحرام بالحرام ، و كذا عكسه بحجة رواجه و شيوعه بين الناس ، أو مسابرة لتطور أو حكم

١٠٩- الاقتصاد الإسلامي و القضايا الفقهية ، علي أحمد السالوس ، ص ٧٦٢ .

الأنظمة بموجبه ، و كل تعامل أو اشتراك ينافي الشرع فهو باطل ، وقد كثر في هذا الزمان التعاقد بالوسائل الحديثة علي اختلافها ، ومنها ما يجري علي أصول الشرعية ، و بعضها ظاهر الفساد في بعض العقود لمعارضته الشريعة وقواعدها ، و إن استفادة التعاقد بهذه الوسائل بين الناس لا يصيرها حجة علي إطلاقها ، و من هنا كان لا بد من النظر في العقود التي تبرم عبر هذه الوسائل ، و تطبيقها علي ما يشاكلها من نظائر ، ثم الحكم عليها بالميزان العادل علي ضوء النصوص الصحيحة و القواعد المسلمة ، المؤدية إلي تحقيق مقصد الشارع علي أن يكون سليما من الأهواء و الأغراض .

### تعريف الوسائل لغة :<sup>١١٠</sup>

هي ما يتوصل به إلى الشيء ، ويتقرب به إليه ، والجمع وسائل ، والوسيلة جمع وسيلة .توسل إلي ربه بوسيلة ، أي تقرب إليه بعمل ، وتأتي الوسيلة بمعنى المنزلة والقربة والدرجة والحاجة ، وبمعني الرغبة<sup>١١١</sup> وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي »<sup>١١٢</sup> قال الإمام القرطبي في تفسيره : في قوله تعالى ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلي ربهم الوسيلة )<sup>١١٣</sup> نزلت هذه الآية في نفر من العرب ، كانوا يعبدون نفر من الجنيون ، فأسلم الجنيون ، ولم يشعر الذين كانوا يعبدونهم من الإنس بذلك فنزلت هذه الآية .

قال ابن عباس : يبتغون أي يطلبون من الله الزلفة ، والقربة ، ويتضرعون إليه يطلبون الوسيلة ، أي الجنة .

وقال ابن كثير رحمه الله : الوسيلة هي التي يتوصل بها إلي تحصيل المقصود وأيضا علم على أعلى المنزلة في الجنة ، وهي منزلة النبي صلي الله عليه وسلم وهي أقرب أمكنة الجنة إلي العرش<sup>١١٤</sup> .

وجاء في صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة »<sup>١١٥</sup> .

١١٠- لسان العرب لابن منظور ، ، مادة وسل ٧٢٤/١١مرجع سابق.

١١١- لسان العرب ، لابن منظور ، ٧٢٤/١١ ، مادة وسل

١١٢- أخرجه مسلم في صحيحه ، ٢٨٨/١ ، حديث رقم (٢٨٤) ، كتاب الصلاة باب استحباب القول

١١٣- سورة الإسراء ، الآية ٥٧

١١٤- مقاصد الشريعة الإسلامية ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ص ١٤٨ ، تحقيق الميساوي ، ط١ دار الأنفاس ، ١٩٩٩م

١١٥- صحيح البخاري ، للأمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٢٢/١ ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء رقم الحديث ٥٨٩ .

الوسيلة<sup>١١٦</sup> في اصطلاح الأصوليين :-

قسم الأصوليين الوسائل اصطلاحاً إلى قسمين ، أحدهما : عام ، والآخر خاص .

الوسائل في الاصطلاح العام : هي الوسائل المفضية إلى المصالح والمفاسد قال الإمام القرافي وموارد الأحكام علي قسمين ، مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد ، وفي نفسها وسائل ، وهي الطرق المفضية إليها .

ويلاحظ من هذا التعريف اتفاق الاصطلاح العام بالوسائل مع المعنى اللغوي ، وإن الاصطلاح العام للوسائل يطلق في مقابل المقاصد ، كما يدخل في الوسائل في الاصطلاح العام أمران هما .

أولاً : الطرق المؤدية إلى المصالح : كالأسباب والشروط الشرعية .

ثانياً : الطرق المؤدية إلى المفاسد : كالحيلة الباطلة والذرائع المفضية إلى الحرام .

الوسائل في الاصطلاح الخاص : هي الطرق المفضية إلى تحقيق مصلحة شرعية .

ويلاحظ من هذا التعريف أن فيه تقييد للمعنى اللغوي للوسيلة ، إذ هو خاص للوسيلة المؤدية إلى المصالح فقط دون الوسائل المؤدية إلى المفاسد ، كما أن الوسائل بالمعنى الخاص تطلق علي مقابل الذرائع ، وأن الوسائل بمعنى الخاص يدخل فيها كل ما يتوقف عليه تحقيق المصالح الشرعية وتطبيق الأحكام المرضية من لوازم وشروط وأسباب وصيغ وأفاظ<sup>١١٧</sup> .

### المعنى المقصود بالوسائل في البحث :

إن المعنى المقصود بالوسائل المستحدثة هو المفهوم الذي يطلق علي أي شيء يحمل المعرفة بين مصدر هذه المعرفة والمستقبل لهذه المعرفة ، وجمع هذا المفهوم وسائل ، فالتلفزيون والأفلام وأجهزة المذياع وأجهزة التسجيل « الكاست » والفيديو كست ، والصور المطبوعة ، وأجهزة العرض الضوئية ، تعتبر كلها وسائل للتخاطب .

### الفرق بين الوسائل والوسائط :-

الوسائط جمع وساطة ، والوساطة بفتح أوله مصدر الفعل وسط ، ووسط بضم عين الفعل

١١٦- الفروق ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلاء المصري القرظي ، ج ، ١ ، ص ٥٥ ، ط دار المعرفة بيروت ،

دار إحياء الكتب العربي

١١٧- القواعد والأصول الجامعة ، لابن سعدي ، ص : ١٠-١١

وفتحها مصدر من فعل علي فعالة ، قياس مطرد ، والقياس في مصدر فعل الفعالة لا الفعل مما جاء فيه الفعالة ، كالوسامة والقيامة والملاحة والاسم : الوسيط .

قال ابن الأثير<sup>١١٨</sup> رحمه الله : والوساطة معاني منها : التوسط في الحق والعدل والحسب والنسب والشرف ، ويقال رجل وسيط أي حسيب في قومه<sup>١١٩</sup> .

**الوسيط لغة :** هو المتوسط بين المتخاصمين والمتوسط بين المتتابعين أو المتعاملين والمعتدل بين الشئيين والجمع وسطاء<sup>١٢٠</sup> .

وتطلق الوساطة علي العمل الذي يقوم به الوسيط ، يقال توسط بينهم أي عمل الوساطة ، و التوسط في كل شئ أعدله<sup>١٢١</sup> .

كما يبدو أنه لا فرق بين الوسائل و الوسائط ، فإن الوسائل الحديثة كالألات وغيرها من الوسائل الكتابية كالفاكس وما يشبهه من الوسائل التكنولوجية الحديثة ، أو اللفظية الصوتية « كالتلفزيون ، و الراديو ، و الكاست ، و غيرها تلعب دور الوسيط بين الموجب و القابل ، و كذلك الوسائط فإن الوسائط تطلق علي الذي يقوم به الوسيط بين المتعاقدين كالمنادي .

### نشأة الوسائل المستحدثة و تطورها :

كانت الشائعات أول شكل من أشكال الإعلام أو الإيصال ، و هو ما يعرف بإسم اتصال المسموع أو المرحلة السمعية في تطور أشكال الاتصال ، و كانت الأخبار تنتقل من الفم إلي الأذن ، و بانتقالها كانت تحور أو تضخم بل تغير و تشوه بحيث تضيع حقيقتها في أحيان كثيرة ، و إننا سنختار بين الواقع و الخيال أو الأسطورة ، وفي المجتمعات البشرية الأولى ، نجد أن الاتصال كان يلبي حاجات دينية عند الأنسان ، و لكن حاجاته جديدة ظهرت ، حيث بدأت تتكون الأنظمة السياسية و تمد نفوذها إلي أقاليم واسعة ، فراعنة مصر كانوا ينشرون أوامرهم إلي أقاصي الأرض التي يحكمونها ، فكانوا يكتبون مراسيمهم و يرسلونها إلي كل مكان ، كما كانوا يأمرهم بحضر هذه المراسم علي جدران المعابد ليقرأها الناس ليكونوا علي علم بها ، و قد عرفت البشرية هذه النوع من الاتصال بعد أن اكتشف الإنسان الكتابة و عرفت ، هذه المرحلة منه باسم الاتصال المخطوط أو المنسوخ . أما الخبر

١١٨- سير أعلام النبلاء لمحمد ابن أحمد ابن عثمان الذهبي - مؤسسة الرسالة - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - ج ٣ - ص ٤٨٩

١١٩- المصباح المنير ، لابي المكارم المطرزي ، ص ٦٥٩ ، مادة « وسط » ط : دار الكتاب العربي

١٢٠- المعجم الوجيز لإبراهيم مذكور ، ص ٦٦٨ ، مادة وسط « د : دار الكتاب العربي .

١٢١- ترتيب القاموس المحيط علي طريقة المصباح المنير ، لطاهر أحمد الزاوي ، ٦١/٤ ، ج ٢ ، ط ٢ ، مطبعة عيسى البالي الحلبي .

المخطوط فقد ظهر في القرن السادس عشر ، و أضحى منافسا خطيرا للخبر المخطوط ، فاستطاع الأول ينتصر علي الثاني و أن يحتفظ بمستواه في مقابلة الآخر .

وهكذا انتشرت الأوراق الخيرية ، و تطورت إلى أن أصبحت صحيفة ، و ظلت هذه الصحيفة وسيلة الاتصال الوحيدة ، إلى أن كانت الطفرة الكبرى بإكتشاف « اللاسلكي » الذي كسر حاجز المسافة والزمن ، ثم تطورت وسائل الاتصال بالطرد و الزمن و الاختراعات لتصل إلى أعلى مستوياتها من خلال الأقمار الصناعية فكانت تجوب الفضاء ليل نهار.

و باختراع السينما ثم الراديو والتلفزيون ، ثم الشبكات الإذاعية و التلفزيون الدولية و القنوات الفضائية و الأقمار الصناعية ، وشبكة الإنترنت ، أصبح الإنسان محاصر من كل هذه الوسائل مجتمعة يتأثر فيها ، و أصبح العالم كله قرية صغيرة و سوف يسمي هذا العالم الذي نعيش فيه عالم الالتزام كامل ، يكون كل إنسان فيه موضع عناية الآخرين و اهتمامهم<sup>١٢٢</sup> .

تقسم الوسائل إلي قسمين : وسائل الاتصال السلكية ، و وسائل الاتصال اللاسلكية .

وقد عرف الإتحاد الروسي : بأنها عملية إنتقال أو إرسال أو استقبال الرموز أو إشارات أو كتاب أو أصوات أو معلومات أيا كانت طبيعتها ، بواسطة آلية بصرية أو كهرباء لاسلكية أو أي أنظمة الكترومغناطيسية أخرى<sup>١٢٣</sup> .

وهذه الوسائل منها ما يسير عبر كوابل أرضية أو بحرية أو محطات لاسلكية كبيرة تعتمد علي أجهزة إرسال و استقبال أو مجموعات هوائية لكل منها أو تستخدم الأقمار الصناعية كوسيلة بسيطة لتحقيق اتصالها هذا و يمكن تقسيم الوسائل المستحدثثة ثلاثة أقسام : ١/ وسائل النقل المباشر ٢/ و الوسائل الحديثة لنقل المكتوب مباشرة ٣/ و الوسائل الحديثة لنقل الصوت و الصورة و الكتابة مباشرة.

١/ المسألة الأولى ووسائل النقل المباشرة :

وتشمل الهاتف و الراديو و التلفزيون.

تعريف الهاتف : جهاز نقل الأصوات بواسطة سلك معدني ، و كابلات كهربائية عبر الأرض أو البحر أو عن طريق الأقمار الصناعية ، و صاحب هذا الاقتراع هو الأمريكي « جراهام بل » عام ١٨٧٦ م<sup>١٢٤</sup> .

١٢٢- وسائل الاتصال و تطورها لخليل سايات ، ص: 9-11 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط9

١٢٣- الاتصالات السلكية و اللاسلكية في الوطن العربي ، ميسر حمدون سليمان ، ص٣٢٧ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢ م

١٢٤- معجم المصطلحات الإعلامية ، د. كرم شلبي ، ص: ٦٠٠ وزارة الشروق بيروت .

## إنشاء العقد عن طريق الهاتف :

ولا يخفى أن التلفون ينقل كلام المتحدث فيه بدقة ، فيسمع كل واحد منهما الآخر بوضوح ، ولا يختلف الكلام من خلاله عن الكلام بدون واسطة سوي عدم رؤية أحدهما الآخر ، وجود فاصل ، فإذا انتهى عقد ما من خلال الهاتف ، وتم فيه الإيجاب والقبول مع بقية الشروط المطلوبة ، فإنه صحيح لا غبار عليه ، غير أن عدم رؤية أحدهما الآخر ، يجعل احتمال التزوير وتقليد شخص آخر أمراً وارداً.

وعدم رؤية أحدهما الآخر ليس له علاقة بصحة العقود أو عددهما ، لأن المطلوب في باب العقود سماع الإيجاب والقبول أو التقاتهما بأي وسيلة كانت . وهناك عدة وسائل وردت في كتب الفقهاء يمكن جعلها أصلاً يقاس عليه العقد عن طريق الهاتف ، وذلك لوجود بعض أوجه التشابه بينهما ، ومن أهم تلك المسائل :

١ / مسألة التعاقد بين شخصين بعيدين لا يري أحدهما الآخر ، لكنه يسمعه ، يقول الإمام

النووي : « لو تتاديا وهما متباعدين وتبايعا صح البيع بلا خلاف »

٢ / إذا قال شخص بعت لفلان كذا ، فلما بلغه الخبر قال قبلت ينعقد العقد لأن النطق أقوي من الكتابة .

٣ / إن وجود الساتر بين العاقدين لا يؤثر حتى في خيار المجلس ، وكيف يؤثر في إنشاء العقد .

٤ / إن الأساس في العقود هو صدور ما يدل علي الرضا ، بصورة واضحة مفهومة كما يدل علي نصوص الفقهاء وذلك متحقق بالهاتف ، حيث أن التعبير يتم من خلال اللفظ الذي محل الاتفاق بين الفقهاء . ١٢٥

## مجلس العقد والتعاقد بالهاتف :

التعاقد بالهاتف نوع خاص من طرق التعاقد ، حيث يختلف عن التعاقد من الحاضرين في بعض الوجوه ، كما يختلف عن التعاقد بين الغائبين عن طريق الكتابة والمراسلة من جميع الوجوه ، ونلاحظ أن في مجلس العقد في الهاتف لكلا الطرفين الرجوع عن إيجابه عند الجمهور قبل صدور القبول منه ما دام أنه أسمع الآخر رجوعه ، وليس في ذلك إشكال.<sup>١٢٦</sup> كما أنه يثبت خيار المجلس للمتحدثين بالهاتف ، وهو يثبت هذا الحق إذا فارق أحدهما

١٢٥- شرح فتح القدير ، كمال الدين الهمام ، ٤٩/٣ ، ت : ٨٦١ م : مصطفى محمد .

١٢٦- فتاوي الهندية المسمى بفتاوي العالم كبرية ٨/٣ مطبعة الأميرية ببولاق ط : ٢ ، ١٣١٠ هـ .

المكان الذي تحدث فيه بالهاتف ، أو أن العقد لازما ، ويستقط حق الخيار للطرفين بمجرد إنتهاء المحادثة بينهما وانقطاع الخط<sup>١٢٧</sup>.

**تعريف التلفزيون :** وسيلة من وسائل الاتصال يعتمد علي الصوت و الصورة في آن واحد لكن من طرف واحد فقط ، و قد جمعت بين خواص الإذاعة المسموعة و خواص الوسائل المرئية ، و قد يكون نقله للحوادث مباشرة و قد يكون غير ذلك و ينسب اختراع التلفزيون إلي « يرد » الانجليزي الذي عرض اختراعه لأول مره عام ١٩٢٦م كملة راديو تطلق علي إرسال و استقبال الكلمات و الإشارات الصوتية علي الهواء لاسلكيا و يرتبط هذا الاكتشاف بالعالم ماركوني الذي نجح في إتمام أول إرسال لاسلكي عام ١٩٠١ م وفي ١٩٢١ معرض أول إنتاج لأجهزة الاستقبال الراديو في معرض باريس

و الراديو سلعة كوسيلة تعد من أهم وسائل الاتصال و ذلك لأنه يعتمد علي الكلمة المنطوقة و من هنا فهو يخاطب كافة الفئات من المتعلمين و غير المتعلمين<sup>١٢٨</sup>.

### إنشاء العقد عن طريق الراديو و التلفزيون :

يمكن إجراء العقود من خلال الراديو و التلفزيون ، ولا سيما في الإيجابيات الموجهة للجمهور ، فلو عرض أحد من خلال الراديو أو التلفزيون عرضا خاصا ببيع شي معين أو إيجار ، و أوضح الشروط و المواصفات المطلوبة للعقد عليه بشكل يزيل الجهالة عنه ، فإن هذا الإيجاب مقبول ، ويبقى قائما إلي أن يتقدم آخر فيقبله و حينئذ يتم العقد . وكذلك يمكن إجراء التعاقد الخاص من خلال شخصين عن طريق الراديو ، و ذلك لأن الركن الأساسي في العقد هو صدور الإيجاب و القبول ، و وصول كل منهما إلي علم الآخر بصورة معتبرة شرعا ، و إجراء العقد بصورة شرعية بحيث تكون مستوفية للشروط و الأركان و خاصة التقابض إن وجد . فإذا كان الإعلان في الراديو أو التلفاز « الإيجاب » خاصا أي لم يكن موجها إلي الجمهور فللفقهاء شروط في التعامل مع هذه المسألة .

١/ ذهب الحنفية و الحنابلة إلي تقييد جواز العقد و إبرامه بشرط دوام المجلس<sup>١٢٩</sup>.

٢/ ذهب الشافعية إلي اشتراط الفورية في قبول العقد<sup>١٣٠</sup>.

١٢٧- إجراء العقود الإتصال الحديثة ، د. وهبة الزحيلي ، بحث منشور في مجلة المجمع الفقه الإسلامي ، عد

١٢٨- المرجع السابق نفسه عدد ٦٤ ، ج ٢ .

١٢٩- رد المختار علي الدر المختار المعروف بحاشية بن عابدين ، لمحمد أمين المشهور بإبن عابدين ، ص: ٢١/٤ ، ط دار

الفكر بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٦هـ

١٣٠- المجموع في شرح المهذب ، ليحي بن شرف الدين النووي ، ١٦٩/٩ ، ت : ٦٧٦ ، دار الفكر بيروت ، بدون .

٣/ أما المالكية فاشتروا عدم الإعراض عنه و الخروج إلي غيره عرفا. <sup>١٣١</sup>

أما الخطاب الموجه إلي الجمهور فإنه لا ينتهي بل يستمر إلي أن يتصل به القبول أو يحدث عارض بقطعه .

و علي ضوء ذلك : لو قال شخص في الراديو أو التلفزيون بعث هذا لكلمن يريد أو لفلان فقبله آخر ، و بعث إليه القبول ، فقد تم العقد . و إذا حصل تزامن فالإعتبار بأولوية الوصول إلي علم الموجب ، و إذا كان بإذن الموجب صح .

و الإيجاب العام الذي يقدمه أحد عبر الراديو و التلفزيون لا يجوز الرجوع فيه عند المالكية ، و كذلك الإيجابات الموجهة للجمهور مثل الجعالة <sup>١٣٢</sup> ، و إن لم تكن لازمة من حيث هي لكنها تقضي إلي اللزوم بحيث أتى شخص بما طلبه الجاعل ، فإن الجاعل ملزم بالتنفيذ .

و إجراء العقود بواسطة التلفاز تطور بشكل لافت النظر حتي تشكيل العديد من شبكات التلفزة التجارية لها فروع في العديد من دول العالم .

### المسألة الثانية : وسائل نقل اللفظ غير المباشر

وهذه الوسائل تشتمل على شريط التسجيل الكاسيت ، و شريط الفيديو سواء أرسل لعاقده آخر أو بث عن طريق الراديو أو التلفزيون أو الفيديو . و لك بأن يعرض الموجب بنود عقده و شروطه من خلال شريط مسجل ، فيبعثه إلي الآخر فإذا قبل الآخر ، فقد تم العقد سواء أرسل قبوله عن طريق شريط آخر أو بأية وسيلة أخرى من وسائل التعبير .

و كذلك الأمر فيما لو قام الموجب بإرسال إيجابه المتعلق بعقد معين و نوعه عن طريق شريط فيديو ، صور فيه و هو يتحدث بإيجابه ، فإذا قبل الآخر في مجلس الوصول ، فقد تم العقد سواء أرسل قبوله عن طريق الفيديو أو أية وسيلة أخرى .

### الوسائل الحديثة لنقل الكتابة :

تشمل هذه الوسائل : البرقية و التلكس و الفاكس حيث تطورت هذه الوسائل بشكل عجيب ، حتى أصبح في مقدور الإنسان أن ينقل ما كتبه خلال ثوان ، أو دقائق معدودة إلي المكان الذي يريده ما دام لديها جهاز الفاكس ، أو التلكس ، حيث ينقل حرفيا ، بل الفاكس ينقل صورة منه طبق الأصل فيواصله إلي الجهاز الآخر مهما كان بعيدا .

١٣١- الفروق لأحمد إدريس شهاب الدين القرآني ، ص: ١٧٢/٣ ، ت: ٦٤٨ ط١ ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة . سنة ١٣٤٦ هـ

١٣٢- الجعالة : هي التزام جعل أو اجر معين لمن يقوم بعمل معين بدون تحديد أمد معين ، و هي عقد جائز غير لازم

كتقديم لمن يرد متاعا ضائما أو غير ذلك - معجم مقاييس اللغة - مرجع سابق - ج١ - ص ٣٦

و أما حكم العقود من خلال جهاز الفاكس فهو كحكم التعاقد بالكتابة سواء بسواء ، إذ أنه ينقل صورة حقيقة من الخطاب و التوقيع دون أي تغيير ، أو تبديل فكما شرحنا سابقا ، فإن جهاز الفاكس حينما تضع عليه الورقة المطلوب نقلها إلي آخر و تضغط علي الزر الخاص ، فإنه يصوره لك صورة و يرسلها إلي الجهاز الثاني لتظهر الصورة بوضوح علي الورقة في الجهاز الثاني.<sup>١٣٢</sup>

و علي أية حال فإن التعاقد بهذه الأجهزة يشابه التعاقد عبر الكتابة ، وقد سبق ذكر آراء الفقهاء في هذه المسألة ، لتوضح حكم إجراء العقود بهذه الوسائل الحديثة لا بد من بيان مجلس العقد فيها ، ووقت تمام العقد .

### مجلس العقد في التعاقد بالبرق ، و التلکس ، و الفاكس :

عالج الفقه الإسلامي هذه المسألة عند بحثه عن مجلس العقد بين الغائبين سواء كان عن طريق الكتابة ، أو الرسول ، ولا بد من ذكر بعض النصوص للفقهاء ، ثم التعقب عليها بالتعليق .

فقد صرح الحنفية بأن الأصل هو إتحد المجلس ، بأن يقع الإيجاب و القبول في مجلس واحد ، و لكن مجلس التعاقد بين الغائبين هو مجلس وصول الخطاب أو الرسول ، قال الكاساني<sup>١٣٤</sup> : « و أما الكتابة فهي أن يكتب الرجل إلي رجل : أما بعد فقد بعث عبدي فلانا منك بكذا حضر بنفسه ، و خاطب بالإيجاب و قبل الآخر في المجلس. »<sup>١٣٥</sup> كما جاء في الفتاوى الهندية<sup>١٣٦</sup> : « و الكتاب و الخطاب حتى اعتبر مجلس بلوغ الكتاب ، الرسالة . »

و يقول النووي<sup>١٣٧</sup> من الشافعية « و إن قلنا : يصح - أي البيع بالمكاتبة - فشرطه أن يقبل المكتوب إليه بمجرد إطلاعه علي الكتاب .... و إذا صححنا بالمكاتبة جاز القبول بالكتابة و باللفظ ، ذكر إمام الحرمين و غيره .... قال الغزالي في الفتاوى : « إذا صححنا بالمكاتبة ، فكتب إليه فقبل المكتوب إليه ثبت له خيار المجلس ما دام في مجلس العقد<sup>١٣٨</sup> »

١٣٢- حكم إجراء العقود الاتصالي الحديثة د. علي القراة داغي ، ص ٤٥ ، بحث منشور في مجلة الفقه الإسلامي ، العدد ٦ ج ٢ .  
١٣٤- هو أبو بكر ابن مسعود ابن أحمد الكاساني الحنفي - كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - للإمام علاء الدين أبي بكر ابن مسعود الكاساني - ج ١ - ص ٥ - ط ٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان  
١٣٥- بدائع الصنائع للکسائي ، ١٣٧/٥ .

١٣٦- الفتاوى الهندية ، للشيخ نظام ، ٩/٣ ، ط دار إحياء التراث العربي بيوت ، ط ٤ ، دار صادر

١٣٧- النووي : هو أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن محمد الحزامي الشافعي - ولد في قرية نوي - عام ٦٢١ هـ - كتاب العلم و بناء الأمم للدكتور - راغب السرجاني - مؤسسة إقرأ القاهرة - 2007 م - طبقات الشافعية - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٧ .

١٣٨- المجموع في شرح المهذب ليحيى بن شرف الدين النووي ص ١٦٧/٩ مرجع سابق

ويظهر من هذه النصوص ، وغيرها أن مجلس العقد بالنسبة للتعاقد بالبرقية ، أو التلكس أو الفاكس ، فإذا وصل وقرأه وقال : قبلت ، أو كتب الموافقة ، فقد انعقد العقد وحينئذ ليس لإحداهما الحق في الفسخ بعد انتهاء المجلس .

يقول الكاساني : « وأما الكتابة فهي أن يكتب الرجل إلي رجل : فقد بعث - كذا منك ، فبلغه الكتاب ، فقال : في مجلسه : أشريت أي انعقد العقد - لأن خطاب الغائب كتابة ، وكأنه حضر بنفسه ، وخاطب بالإيجاب وقبل الآخر في المجلس ، وقال ابن عابدين<sup>١٣٩</sup> : « فإن قبل الغائب صح العقد<sup>١٤٠</sup> »

### القبض بالوسائل الحديثة :-

إن إجراءات العقود بوسائل الاتصال الحديثة إنما تصح فيما لا يشترط فيه القبض الفوري ، أما إذا بيع بمثله ، فلا يصح العقد بالتلفون ، إلا إذا تم القبض كأن يكون لكل واحد منهما وكيل للتسليم عند الآخر أو عن طريق بنك لدى كل واحد منهما فيه رصيد لكليهما .

كما دل على اشتراط القبض الفوري ، الأحاديث الصحيحة الثابتة ، وإجماع العلماء من حيث المبدأ ، منها الحديث الصحيح المتفق عليه . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لا تباع الذهب بالذهب ولا تباع الورق بالورق إلا مثل بمثل<sup>١٤١</sup> » . وفي حديث آخر « نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء وإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كما شئتم إذا كان يداً بيد<sup>١٤٢</sup> .

### الوسائل الحديثة لنقل الصوت والصورة والكتابة مباشرة :-

تشتمل هذه الوسائل علي الهاتف النقال « الموبايل » والكمبيوتر إذا ارتبط بشبكة الانترنت ، ويمكن القول بأن هذه الوسيلة هي الشبكة العالمية العنكبوتية الانترنت ، لقد أمكن إزاحة هذا المكان بأكثر من مائة دولة ، واختلفت المسافة التي تفصل بينها ، واستطاعت العقول أن تدخل هذه الدول دون جوازات سفر ، كما أمكن إصابة حاجزا الزمان والتنقل بين الدول في عدة ثوان والتحدث دون متاعب ، واختلاف اللغات ، وأصبح العالم المترامي الأطراف قرية صغيرة نتيجة ثورة الكمبيوتر اسمها الانترنت .

١٣٩- هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم « المعروف بابن عابدين » سير أعلام النبلاء - ج١ - ص ٦٢

١٤٠- رد المحتار علي الدر المختار لابن عابدين ، ١٥/٤

١٤١- صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب الرباء رقم الحديث : ١٤٨٤

١٤٢- صحيح مسلم ، لإمام مسلم ، كتاب المساقاة ، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً ، رقم الحديث : ١٥٨٧

تعريف الإنترنت : عرفه البعض بأنه شبكة معلومات عالمية عبارة عن مجموعة شبكات الحاسب ، موصولة مع بعضها البعض<sup>١٤٣</sup>

وقال البعض بأنه : وسيلة التواصل عبر الكمبيوترات ليس إلا<sup>١٤٤</sup>.

أطلق عليها البعض صفات تدل علي مكانتها التي ارتقت إليها في هذا العصر فوصفها البعض بأنها مكتبة العالم في العصر الرقمي<sup>١٤٥</sup>

لا شك أن الوسائل المستحدثة بالتعاقد قد لعبت دورا هاما ، لا سيما في مجال التجارة الإلكترونية ، فعن طريقها يتم توفير المعلومات عن الفرص التجارية و إجراء معاملات التسويق و الترويج ، و خدمات ما قبل البيع و ما بعده ، و الصيانة و الشحن و التفريق ، و باستخدام البريد الإلكتروني يتم التعاقد علي الصفقات بين البائعين و المشتريين أو المصدرين و المستوردين ، و يتم تسوية المرفوعات المتعلقة بالصيغة الإلكترونية.<sup>١٤٦</sup>

فعلي سبيل المثال نجد أن العقود التي تتم عبر شبكة الإنترنت أنها في تزايد مستمر و انتشار سريع ، و هذا النمو و الانتشار الضخم لم يتحقق عالميا إلا لفوائده و مميزاته .

### فوائد التعاقد للوسائل المستحدثة :

- ١/ تخفيض تكاليف الصفقات مع تخطي العقبات و الحواجز الجغرافية التقليدية
- ٢/ سهولة إبرام الصفقات من خلال الدخول في علاقات تعاقدية بين المشتري و البائع دون وساطة أفراد أو شركات .
- ٣/ شفافية و تدفق المعلومات و سرعتها من خلال شبكة الإنترنت مما يوفر معرفة مختلفة الأسعار التنافسية العالمية .
- ٤/ سهولة عملية التعامل مع البيانات المتوفرة علي الشبكة و بنقر واحد علي الجهاز ممكن تتم عملية البيع و الشراء<sup>١٤٧</sup> .

١٤٣- خدمات الإنترنت ، أحمد ريان ، ص : ١٩ ، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي ، ط١ ، سنة ١٩٩٧

١٤٤- ألف باء الإنترنت ، كرستيان كروملي ، ص : ٩ ، دار العربية للعلوم بيروت ، ط:١

١٤٥- مجلة العلوم ، :٣ص : ٢٨ مارس ١٩٩٨

١٤٦- الأحكام الفقهية للتعامل بالإنترنت ، للشيخ نظام يعقوب ، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٦ .

١٤٧- المرجع السابق نفسه العدد ٦

## عيوب التعاقد بالوسائل المستحدثة :-

- ١/ عدم قدرة المستورد علي رؤية السلعة قبل طلب شرائها .
- ٢/ احتمال حدوث تعاقبات صورية باستخدام شبكة الانترنت .
- ٣/ إمكانية استخدام البطاقات الائتمانية المزيفة للشراء بواسطة شبكة الانترنت عن سرقة أرقام تلك البطاقات ، خلال تداولها عبر الشبكة ، ومن ثم يتحمل أصحاب تلك البطاقات أعباء عملية شراء بضائع أو الحصول علي خدمات لم يقوموا بطلبها أو تنفيذها<sup>١٤٨</sup> إلا أنه أمكن التغلب علي هذه العيوب الأخيرة من خلال إنشاء وحدة استخراج هويات الكترونية لكل من العميل والتاجر والبنك تعمل علي استخراج هذه الهويات .
- هذا بالنسبة للمعاملات التجارية ولكن لم يقتصر الأمر علي هذا النوع من العقود بل تعداه إلي عقود الأحوال الشخصية حيث أن الزواج والطلاق عن طريق الوسائل الحديثة أخذ في الانتشار فالزواج عن طريق الحاسب الآلي يتم عن طريق إعطاء الكمبيوتر معلومات عن الشخص الذي يريد الزواج رجلاً كان أو امرأة وعن طريق توافر المعلومات لدي الكمبيوتر عن مواصفات الراغبين في الزواج يمكن للحاسب الآلي اختيار وتحديد اسم الزوج أو الزوجة المناسبة ، أما بالنسبة لشبكة المعلومات الدولية الانترنت فإن الأمر يختلف عن باقي وسائل الاتصال فهي تتيح الإرسال والاستقبال وبذلك يمكنها عقد لقاءات الكترونية بين الأفراد والجماعات .
- أشكر الله العلي القدير وأحمده أن وفقني لكتابة هذا البحث وقبل أن أطوي هذا البحث أعرض خلاصة تشير إلي أبرز وأهم النتائج والتوصيات :
- ١/ أن الفقه الإسلامي بمرونته ظل وسيظل مهما تغيرت الوقائع شكلاً ، ومضموناً صالحاً لإسباغ قواعده وضوابطه علي كل ما يستجد من وقائع .
- ٢/ ليس في الشرع ما يمنع من تقبل مستحدثات العقود مع مراعاة عدم مخالفه مقصود الشارع .
- ٣/ لا مانع شرعاً من استخدام الوسائل الحديثة خاصة الإنترنت فأن شأنها شأن سائر القنوات الفضائية لأنها وسيلة من وسائل لا يقال فيها حلال ولا حرام ، وإنما حرمتها بالنسبة لما تستخدم له

- ٤/ يلزم الحيطة و الحذر وبذل الجهد قبل أن يحكم علي عقد بأنه حلال أو حرام .
- ٥/ يشترط في التعاقد بالوسائل الحديثة ما يشترط في التعاقد التقليدي بالنسبة للمتعاقدين و المحل و الصيغة ماعدا اختلاف شكلي في الوسائل .
- ٦/ لا مانع شرعا « من التعاقد بالوسائل الحديثة كالمراسلة و الهاتف و الوسائل المرئية ، ولا يشترط في مجلس العقد أن يكون كلا المتعاقدين في مكان واحد ، بل هو زمن تبليغ القابل للموجب
- ٧/ أن عدم رؤية أحد المتعاقدين للآخر أثناء التعاقد لا يؤثر على صحة العقد قياسا» على التعاقد بين غائبين الذين يفصل بينهما سائر .
- ١/ يجب أن تتضافر الجهود لمزيد من البحث و المعالجة لمثل هذه الأمور الحديثة ، ابتغاء مرضاه الله تعالى ، تحقيقا لتلاؤم مع متطلبات العصر ، و مقتضيات التطور .
- ٢/ من الأفضل عدم استخدام الوسائل الحديثة في الأمور الشخصية لأنها وسيلة فورية لا تدع لصاحبها مجالاً لمواجهة ما بينه و بين أهله .
- ٣/ إن أعداء الإسلام قد نجحوا في استخدام الوسائل الحديثة و بخاصة الانترنت و توظيفها لخدمة دعواتهم الباطلة في تشويه صور الإسلام ، لذلك فإن علي الأمة الإسلامية اليوم أن تسعى للاستفادة من هذه التقنية الحديثة من أجل نشر تعاليم الإسلام و أحكامه و تعاليمه كما نحبه دينا « عالميا » صالحا « لجميع البشر في كل زمانو مكان .

## فهرس المصادر والمراجع :

### أولا : القرآن الكريم

### ثانيا : كتب التفسير

- ١/ أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي ، تحقيق محمد الصادق قماوي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ
- ٢/ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، ط دار الشعب القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ .
- ٣/ تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ .
- ٤/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل اللوسي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

### ثالثا : كتب الحديث و شروحه

- ١/ المستدرک علي الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠ .
- ٢/ سنن البيهقي الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، طبعة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
- ٣/ سنن أبي داؤود ، لأبي داؤود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر ، بيروت .
- ٤/ سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر و آخرون ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٥/ سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق محمد عبد العزيز الخولي ، ط دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة بيروت ١٣٧٩هـ .
- ٦/ صحيح البخاري ، للإمام إسماعيل البخاري ، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ، ط دار بن كثير اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
- ٧/ صحيح ابن حبان ، للإمام حاتم بن محمد بن حبان بن أحمد التميمي ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣ م .
- ٨/ صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري ، وتحقيق فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

#### رابعاً : كتب اللغة العربية و المعاجم :

- ١/ المصباح المنير لأبي مكارم المطرزي ، طبعة دار الكتاب العربي .
- ٢/ النهاية في شرح الحديث ، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير ، المكتبة الإسلامية بيروت .
- ٣/ ترتيب القاموس ، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، ط مكتبة لبنان ناشرون ، طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .
- ٤/ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفرقي المصري ، ط دار صادر بيروت الطبعة الأولى .
- ٥/ معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط عيسى الحلبي ، مصر .
- ٦/ مقاصد الشريعة الإسلامية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تحقيق المساوي ، الطبعة الأولى دار الأنفاس ١٩٩٩ م .

#### خامساً : كتب الفقه :

- ١/ الأم ، محمد بن إدريس الشافعي ، المطبعة الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ .
- ٢/ الإنصاف في معرفة الخلاف ، علاء الدين المرادوي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٣٧٧ م .
- ٣/ البحر الرائق لابن نجيم دار المعرفة بيروت .
- ٤/ العناية بهامش شرح القدير ، للإمام أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ، ط دار الفكر بيروت .
- ٥/ الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحميد بن تميم ، تحقيق حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة بيروت .
- ٦/ الفتاوى الهندية ، للشيخ نظام و جماعة من علماء الهند ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة ، دار صادر بيروت .
- ٧/ الفروع أحمد بن إدريس شهاب الدين القرافي ، دار إحياء المتب العربية الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤٦هـ .
- ٨/ الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي الطبعة الرابعة دار الفكر سوريا دمشق .
- ٩/ القبض و أحكامه د. مسعود سعد ، طبعة المكتبة ، الطبعة الأولى دار بن حزم ١٩٩٥ م .
- ١٠/ المجموع شرح المهذب ، تحقيق محمود مطرحي ، ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
- ١١/ المحرر في فقه بن حنبل ، مجد الدين أبو بركات ، دار الكتاب العربي بيروت ، ( ب. ت ، ب ط )

- ١٢ / المغني علي مختصر الحرقى لأبي محمد بن عبد الله بم قدومه المقدسي طبعة دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
- ١٣ / الشرح الصغير علي أقرب المسالك إلي مذهب مالك ، لأحمد بن محمد الدريري ، تحقيق مصطفى كمال ، دار المعارف القاهرة ١٣٩٢هـ
- ١٤ / الشرح الكبير ، لأبي البركات سيدي أحمد الدرير ، تحقيق محمد عيش ، ط دار الفكر - بيروت .
- ١٥ / المنثور في القواعد للزركشي ، لأبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق د. تيسير فائق أحمد محمود ، ط وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
- ١٦ / بدائع الصانع ، لأبي بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني ، ط دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- ١٧ / حاشية الدسوقي للإمام بن عرفة الدسوقي تحقيق محمد عيش ، ط دار الفكر بيروت .
- ١٨ / حواشي الشرواني للشيخ عبد الحميد الشيرواني ط دار الفكر بيروت
- ١٩ / رد المحتار علي الدر المختار ( ( المعروف بحاشية بن عابدين ) ) ط دار الفكر بيروت الطبعة الثانية .
- ٢٠ / كشاف القناع عن متن الإقناع ، للشيخ منصور بن يونس البهوتي تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ .
- ٢١ / مختصر خليل ، للعلامة خليل بن إسحاق بن موسى المالكي ، تحقيق أحمد بركات ، ط دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ .
- ٢٢ / منح الجليل شرح مختصر خليل ، لمحمد عيش ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
- ٢٣ / مغني المحتاج ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الشرييني الخطيب ، دار الفكر بيروت .
- ٢٤ / منهاج الطالبين ، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي ، ط دار المعرفة بيروت .
- ٢٥ / نهاية المحتاج : في شرح المنهاج للشيخ محمد بن أحمد الرملي ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٨م .
- سادسا : كتب فقهية و أصولية حديثة :**
- ١ / العقد في الفقه الإسلامي أ. عبد الغفار إبراهيم صالح ، طبعة ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م
- ٢ / المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي أ. د. مصطفى شلبي ط دار التأليف ١٣٨٣هـ ، دار

النهضة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

٣/ المدخل لدراسة بعض النظريات في الفقه الإسلامي د. عبد الودود السريتي ، ط دار

المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٧ م .

٤/ الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر

العربي ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦ م .

٥/ مبدأ الرضا في العقود ، علي محي الدين الغرة داعي ، ط دار البشائر ، بيروت الطبعة

الأولى ١٩٨٥ م .

### سابعاً : الاقتصاد الإسلامي

١/ الحيابة في العقود د. نزيه حماد ط دار البيان دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

٢/ الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة د. علي أحمد السالوس ، ط دار أم

القرى للطباعة ، نشر دار التقوي بليبس ، الطبعة الخامسة ١٩٩٨ م .

٣/ الأحكام الفقهية للتعامل بالانترنت ، مجلة الاقتصاد الإسلامي ، الشيخ نظام يعقوب ،

مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٦ .

٤/ مجلة الأحكام العدلية ، جمعية المجلة ، تحقيق نجيب هوانيني ، ط كار خانه تجارت

مكتبة الآداب بيروت ١٨٧٧ م

٥/ مجلة الفقه الإسلامي ، مجمع الفقه الإسلامي العدد السادس والسابع .

٦/ الموسوعة الفقهية وزارة الشؤون والأوقاف الاسلامية ، الجزء ٣٠ ، ط دار الصفة ١٩٩٤ م

٧/ الموسوعة الفقهية الكويتية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٨/ قضايا فقهية في المال والاقتصاد د. نزيه حماد ، ط دار القلم دمشق .

### كتب في تكنولوجيا الاتصال :-

١/ الاتصالات السلكية واللاسلكية في الوطن العربي أ. ميسر حمدون طبعة مركز دراسات

الوحدة العربية ١٩٨٢ م

٢/ معجم المصطلحات الإعلامية د. أكرم شلبي - وزارة الشروق - بيروت



## الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً

د.كمال عبد الله أحمد المهلاوي<sup>(١)</sup>

مستخلص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لاختلاف أحكام المحاكم العليا في أثر الإقرار المرجوع عنه على جريمة الزنا جاء هذا البحث بعنوان (الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً)، وتكمن أهمية الموضوع في الآتي: الإقرار عمدة الاثبات، الرجوع عن الإقرار له أثر في اسقاط العقوبة إذا كانت ثابتة بالإقرار وحده، لتحقيق الأهداف الآتية: معرفة الإقرار وشروط المقر، ومعرفة أثر الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا، معرفة طريقة عمل المحاكم السودانية عند الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا، من أجل الإجابة على الأسئلة الآتية: ما هو الإقرار؟ وما هي شروطه؟ ما هو أثر الرجوع عن الإقرار على الزنا؟ ما هي المبادئ التي أرسنها المحاكم السودانية بخصوص الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا؟. اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن وذلك لطبيعة البحث، وخرج البحث بالنتائج الآتية: الأصل في الحدود أن تدرأ بالشبهات، الرجوع عن الإقرار في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية شبهة تدرأ الحد، من تفسيرات الرجوع عن الإقرار ادعاء الإكراه، عقوبة الزاني المحصن الرجم في صالح الجاني إذا كان الجريمة ثابتة بإقراره فقط تتيح له فرصة الرجوع عن إقراره حتى أثناء التنفيذ، كما أوصى الباحث بالآتي: على المشرع السوداني النص صراحة على أن الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا شبهة تدرأ الحد في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية، إلغاء عقوبة الشنق حتى الموت للزاني المحصن والرجوع للنص السابق الإعدام رجماً، لأنه يتناسب مع مسقطات عقوبة الزنا.

١ - أستاذ الفقه المقارن المشارك كلية الشريعة - مدني

## مقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين المستغفرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين وآله وأصحابه أجمعين أما بعد:

إن الإقرار عند أهل القانون والفقهاء هو سيد الأدلة ولذلك يأخذ المرتبة الأولى في الإثبات، وعند وجود الإقرار وانعدام الأدلة الأخرى يكون الإقرار قد تسيد الموقف إذا صدقه الواقع فتكمن المشكلة في الرجوع عنه ومدى أثر هذا الرجوع على الدعوى الجنائية خاصة جرائم الحدود، وهنا نتكلم عن حد الزنا ولذلك جاء هذا البحث بعنوان (الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا فقهاً وقانوناً).

## أسباب اختيار الموضوع:

- ١/ اختلاف أحكام المحاكم العليا في أثر الإقرار المرجوع عنه.
- ٢/ تزويد مكاتب المحاكم ببحث لعله يعين القائمين على تنفيذ الحدود الاستفادة منه.

## أهمية الموضوع:

- تكمن أهمية الموضوع في:
- ١/ الإقرار عمدة الإثبات .
  - ٢/ الرجوع عن الإقرار له أثر في إسقاط العقوبة إذا كانت ثابتة بالإقرار وحده.

## أهداف الموضوع:

- يهدف الموضوع إلى:
- ١/ معرفة الإقرار وشروط المقر.
  - ٢/ معرفة أثر الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا.
  - ٣/ معرفة طريقة حكم المحاكم السودانية عند الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا.

## مشكلة البحث:

تكمن في معرفة الإقرار وشروط المقر والمبادئ التي أرستها المحاكم السودانية، والتي تتلخص في التساؤلات التالية:

- ١/ ما هو الإقرار؟ وما هي شروط المقر؟

٢/ ما هو أثر الرجوع عن الإقرار على الزنا؟

٣/ ما هي المبادئ التي أرستها المحاكم السودانية بخصوص الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا؟

### منهج البحث:

أتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن وذلك لطبيعة البحث، حيث يتم استقراء النصوص القانونية والسوابق القضائية والفقهاء الإسلامي وتحليل ذلك مع المقارنة.

### هيكل البحث:

لغرض الدراسة تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث ( المبحث الأول: في الإقرار والمبحث الثاني: في جريمة حد الزنا والمبحث الثالث: في أثر الرجوع عن الإقرار) وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

## الأول : الإقرار المطلب الأول: مفهوم الإقرار

### أولاً: تعريف الإقرار لغة:

هو الثبوت، أقررت الشيء في مقره ليقر فلان قار ساكن وما يتقار في مكانه وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُمْسَقَةٌ وَمَتَاعًا لِحِينٍ﴾<sup>٢</sup> أي قرار وثبوت القرار في المكان تقول منه قررت بالمكان بالكسر أقر قراراً أيضاً بالفتح أقر قراراً أو قروراً وقر بالمكان يقر ويقر الأولى أعلى<sup>٣</sup>.

### ثانياً: تعريف الإقرار اصطلاحاً فقهياً:

فهو إخبار شخص عن ثبوت حق للغير عليه<sup>٤</sup>. كذلك هو إخبار شخص عن ثبوت الحق فيما مضى على نفسه. إخبار عن حق ثابت على المخبر لغيره. ويسمى الإقرار اعترافاً<sup>٥</sup>. إخبار شخص بحق سابق لغيره<sup>٦</sup>. الاعتراف بالحق، ويكون لفظاً وكتابة وإشارة مفهومة<sup>٧</sup>.

من هذه التعاريف نقول أن الإقرار: ( إخبار عن ثبوت حق للغير على نفسه فيما مضى لا إنشاء الحق ابتداءً، ويكون لفظاً وكتابة وإشارة مفهومة، ويسمى الإقرار اعترافاً )

### ثالثاً: تعريف الإقرار اصطلاحاً قانوناً:

عرفته المادة (١٥) من قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤ الفقرة (١) الإقرار هو اعتراف شخص بواقعة تثبت مسئولية مدعى بها عليه<sup>٨</sup>.

هو إخبار شخص بواقعة مجرمة من شأنها أن تنتج آثاراً قانونية ضده مع قصده<sup>٩</sup>. كذلك هو اعتراف الشخص بعبارات واضحة بوقائع منسوبة إليه كلها أو بعضها<sup>١٠</sup>. هو إخبار المكلف المختار صراحة بحق عليه لغيره على وجه اليقين<sup>١١</sup>.

٢- سورة البقرة الآية (٣٦).

٣- لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي- دار إحياء التراث العربي ط٢ بيروت لبنان، ١٤١٢-١٩٩٣م - ١١/١١.

٤- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، ١٩/٢٤٢ (المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع).

٥- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، الدكتور مصطفى الخن و الدكتور مصطفى البغا وعلي الشريجي، ٢٠٢/٨.

٦- حاشية إمانة الطالبين، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمايطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ)، [ هو حاشية على حل الفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين / لزين الدين بن عبد العزيز المعبري الملباري (المتوفى: ٩٨٧هـ) ]، ٤٠/١٤.

٧- شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، ١٦/٣، (المكتبة الشاملة غير مطابق للمطبوع).

٨- قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م.

٩- طرق الإثبات في القانون، مرجعي دليّة - الجزائر ١٩٩١م - ٢٠٠٠م ص ٩٢، أحكام الإثبات، دكتور رضا المزغني طبعة ١٩٨٥م، ص ١٥٢.

١٠- حجية الإقرار كدليل إدانة، قدرتي عبدالفتاح الشهاوي ط١ - ٢٠٠٥م ص ٢

١١- شرح قانون الإثبات، عثمان حيدر أبوزيد ط١ ٢٠٠٧م منشورات جامعة السودان المفتوحة ص ١١١، شرح قانون

الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م، د. حاج آدم حسن الطاهر، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

وعرفت المحكمة العليا الإقرار في سابقة حكومة السودان ضد توبي علي أحمد (م/ع/م ك/١١٦/١٩٧٢) أنه الأقوال الصادرة عن المتهم في جريمة بوقائع تدل صراحة ارتكابه لتلك الجريمة<sup>١٢</sup>.

وخلاصة القول يمكن تعريف الإقرار: (اعتراف الشخص، بعبارات واضحة، بواقعة من شأنها أن تنتج آثاراً قانونية ضده مع قصده، وأن تعتبر هذه الواقعة ثابتة في حقه بحقيقة الوقائع المنسوب إليه كلها أو بعضها).

### المطلب الثاني: حجية الإقرار:

#### أولاً: حجية الإقرار في الفقه الإسلامي:

متى كان الإقرار مستوفياً لشروطه يكون حجة فيما أقر به<sup>١٣</sup>. الإقرار سيد الأدلة؛ ليس هناك شخص عاقل تتوافر فيه شروط الإقرار لقبول إقراره ويشهد على نفسه بالضرر إلا إذا كان صادقاً، ومن هنا فهو أقوى الحجج، وقد أخذ الله الإقرار على أنبيائه وعباده وخلقه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ لِي إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ الأعراف: ١٧٢<sup>١٤</sup> ويدل ذلك على عظم حجية الإقرار<sup>١٥</sup>. فهو خبر يحمل ظاهره الصدق والكذب، ولظهور رجحان جانب الصدق فيه كان حجة، إذ أنه غير متهم فيما يقر به على نفسه<sup>١٦</sup>. والإقرار حجة علي المقر يؤخذ به ويحكم عليه بمقتضاه وهو أقوى الأدلة إذ العاقل لا يقر عادة ولا يرتب حقاً للغير على نفسه إلا إذا كان صادقاً في إقراره<sup>١٧</sup>. إذن متى صدر الإقرار من هو أهلاً له بشروطه التي وضعت له وبدون أن تعتريه شبهة يكون حجة قاطعة.

### ثانياً: حجية الإقرار في القانون:

نصت المادة (٢١) الفقرة (٣) على: (لا يشكل الإقرار في المسائل الجنائية بينة قاطعة

١٢- مجلة الأحكام القضائية ١٩٧٢، ص ٢٠٦.

١٣- ددر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، مكان النشر: لبنان / بيروت، ٢٩٠/٤.

١٤- سورة الأعراف الآية (١٧٢).

١٥- شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، ٤/٤١٦.

١٦- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، تنبيه: تراجم الفقهاء في الأصل الورقي ملحقه بأخر كل مجلد، فُجِّمَتْ هنا - في هذا الكتاب الإلكتروني - في آخر الموسوعة تيسيراً للوصول إليها، مع الحفاظ على ترقيم الصفحات، ٤٨/٦، الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، سعود بن عبد العالي البارودي العتيبي، عضو هيئة التحقيق والادعاء العام، فرع منطقة الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٧، ١٣٣/١.

١٧- موسوعة الفقه الإسلامي، إعداد: وزارة الأوقاف المصرية، ٤٨/١.

إذا كان غير قضائي أو اعترته شبهة<sup>١٨</sup>. وهذا يدل على أن الإقرار القضائي وإذا كان سالم من شبهة الإكراه ونحوها حجة قاطعة.

الإقرار حجة كاملة في إثبات الحق أو التهمة في حق المقر ولا يحتاج إلي من يؤيده ويعرف الإقرار بأنه سيد الأدلة وهذا أمر لا شك فيه بترجيح صدقه متى ما صدر ممن له الولاية الكاملة على نفسه وماله<sup>١٩</sup>.

الإقرار في القضايا الجنائية بينة قاطعة في مواجهة المقر إلا إذا كان غير قضائي، أو كان قضائياً واعترته شبهة، فالإقرار القضائي هو الذي يكون أمام القاضي في مجلس القضاء. وأما الإقرار غير القضائي، هو أي إقرار يدلي به المتهم أمام أي شخص بصفته العادية، أو الرسمية خارج المحكمة. جاء في سابقة حكومة السودان ضد محمد فضل الله وآخر (م/ع/م ك/ ١٠٨/١٩٨٨)، أن الإقرار غير القضائي هو كل إقرار لم يحدث في مجلس القضاء الذي يقضي في المسألة المعنية بالإقرار، ولا يكون حجة إلا إذا عضد ببيانات أخرى<sup>٢٠</sup>.

فالإقرار متى استوف شروطه وصدر من هو أهلاً له ولم يعتبره إكراه أو خطأ في الوقائع، ولم يرجع عنه صاحبه يكون حجة قاطعة.

### المطلب الثالث: شروط المقر:

اكتفى الباحث في هذا المطلب بشروط المقر وذلك لطبيعة البحث، أما فيما يتعلق بشروط الإقرار الأخرى فهي مرتبطة بالمسائل المدنية لم يتطرق لها الباحث منعاً للإطالة.

أولاً: شروط المقر في الفقه الإسلامي:

أورد الفقه الإسلامي شروطاً للمقر التي تتمثل في<sup>٢١</sup>:

١ - أن يكون المقر عاقلاً ، فلا يصح إقرار زائل العقل كالمجنون أو المعتوه أو المغمي عليه

١٨- قانون الاثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م المادة(٢١)/٣.

١٩ - حال المتهم في مجلس القضاء، صالح اللحيدان ط٣-١٤٠٥-١٩٨٥م مطابع الطوبجي -القاهرة-ص٩٥، أحكام الاثبات، مرجع سابق ص١٦١.

٢٠ - مجلة الأحكام القضائية ١٩٨٩م، ص١٦٧.

٢١ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، ١٤/١٧٤، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع )، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين محمد بن أحمد الشريبي الخطيب القاهري الشافعي، ٧٦/٦، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، الدكتور مصطفى الخن و الدكتور مصطفى البغا وعلي الشرجبي، ٢٠٥/٨، نُحْفَةُ الْحَبِيبِ عَلَى شَرْحِ الْخَطِيبِ ( حاشية البجيرمي على الخطيب )، سليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، ( حاشية على كتاب الخطيب الشريبي المسمى الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع )، ٢٧٩/٨، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع )، الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، ٤٨٣/١٥.

أو النائم لفقدان أهلية الالتزام بالنسبة لهم لأن هؤلاء وأمثالهم لا يملكون القدرة على فهم الخطاب ولا القدرة على الأداء بالتالي يسقط عنهم التكليف.

٢ - أن يكون المقر مختاراً ، فإن كان مكرهاً لم يؤخذ بإقراره ويعتبر الإنسان مكرهاً إذا تعرض لضرر كبير يلحقه بأي وجه من الوجوه ويصعب عليه تحمله سواء كان الإكراه بالضرب أو أخذ المال أو النيل من القريب أو بالوعيد.

٣ - أن يكون المقر غير محجور عليه ، يشترط أن يكون المقر غير محجور عليه بما يمنع من نفاذ التصرفات التي أقر بها فإن أقر السفية أو المدين المحجور عليه عليهما بمال لشخص فإن الإقرار يتوقف حتى يفك الحجر وذلك لقيام أهلية المقر المصححة لعبارة وقت الإقرار غير أنه وجد مانع الحجر فإذا زال المانع ظهر أثر الإقرار.

٤ - أن يكون المقر بالغاً ، أي ظهرت عليه علامات البلوغ الطبيعية لمن بلغ سن الخامسة عشر من عمره.

٥- وأضاف الحنفية الحرية<sup>٢٢</sup>.

## ثانياً : شروط المقر في القانون :

جاء في المادة (١٩-). الفقرة (١) من قانون الاثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م ، ( يشترط في المقر أن يكون عاقلاً ومختاراً وغير محجور عليه وبالغاً سن المسؤولية التي ينص عليها القانون) .

وجاء تعريف البالغ في المادة (٣) من القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م ( « بالغ » يعنى الشخص الذي ثبت بلوغه الحلم بالأمارات الطبيعية القاطعة وكان قد أكمل الخامسة عشرة من عمره ، ويعتبر بالغاً كل من أكمل الثامنة عشرة من عمره ولو لم تظهر عليه أمارات البلوغ).

لم يكن هناك فرق في شروط المقر بين الفقه الإسلامي والقانون سوى زاد الفقهاء شرط الحرية، وهذا الشرط لم يشترطه القانون لعدم وجود الرق في السودان ونخلص من ذلك أن شروط المقر هي شروط التكليف إضافة إلى عدم الحجر عليه.

٢٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم ، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى :

٩٧٠هـ) ، ٤٥٧/١٩ ، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع ) .

## المبحث الثاني جريمة حد الزنا

### المطلب الأول : مفهوم الحد :

**أولاً: تعريف الحد لغة:** الحاجز بين شيئين لئلا يختلط إحداهما بالآخر وفلان محدود إذا كان ممنوعاً كأنه منع الرزق فيقال للبواب حداد لمنع الناس من الدخول<sup>٢٣</sup>.

### ثانياً : تعريف الحد اصطلاحاً فقهيّاً :

وسميت العقوبات المقدرة حدوداً لأنها تمنع الشخص من الوقوع في الجريمة ، وحدود الله محارمه لأنها ممنوع عنها ، فخرج التعزير لعدم التقدير وخرج القصاص رغم أنه مقدراً لأنه حق العبد فلا يسمى حداً<sup>٢٤</sup>.

الحد هو العقوبة التي قدرها الشرع وجبت لحق الله تعالى وهذا رأي جمهور الفقهاء وعليه رتبوا أبواب العقوبات في كتبهم<sup>٢٥</sup>.

فالحد هو ما ثبت بدليل قطعي وله عقوبة مقدرة، ما عدا القصاص، على الراجح أنه ليس من الحدود فتستطيع أن نعرفه بـ ( هو ما ثبت بدليل قطعي وله عقوبة مقدرة ولا يجوز فيه العفو العام أو الخاص ما عدا حد القذف )

### ثالثاً: تعريف الحد قانوناً:

لم يذكر القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م تعريفاً للحد وإنما اكتفى بذكر الحدود في مادة التفسيرات المادة (٣) بقوله « جرائم الحدود » تعنى جرائم شرب الخمر والردة والزنا والقذف والحراية والسرقعة الحدية . في هذه الحالة يصار إلى التعريف الفقهي.

### المطلب الثاني : مفهوم الزنا :

**١/ تعريف الزنا لغة :** زني الزنا والنون والحرف المعتل لا تتضايق ولا قياس فيها لواحدة على أخرى فالأول الزنا معروف، ويقال أنه يمد ويقصر ويقال في النسبة إلى زنا زنوبي وهو لزنيه وزنية، والفتح أفصح، ويقال زنأت في الجبل أزنأ وزناً، والزناء وهو القصير من كل شيء<sup>٢٦</sup>.

٢٣ - معجم مقاييس اللغة ، أبي حسين ابن الرازي - مرجع سابق - ص ٢٦٣.

٢٤ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم ، المعروف بابن نجيم المصري ( المتوفى : ٩٧٠هـ ) ، ١/١٣ ، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع ) .

٢٥ - النظام الجنائي في الإسلام والعقوبة، خير الله طلفاح - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٢م. ص ١٤٥ .

٢٦ - معجم مقاييس اللغة، أبي حسين أحمد بن الرازي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٠م، ٢/ ٣٤

٢ / **تعريف الزنا في الاصطلاح الفقهي:** هو وطء مكلف (عاقل بالغ) برضى (غير مكره) مشتهاً (غير صغير) حالاً أو ماضياً في القبل بلا شبهة ملك في دار الإسلام<sup>٢٧</sup>. وهو أيضاً وطء مكلف مسلم فرج آدمي لا ملك له فيه باتفاق تعمداً وإن لواطاً<sup>٢٨</sup>. هو إيلاج قدر الحشفة من الذكر في فرج محرم مشتهي طبعاً لا شبهة فيه<sup>٢٩</sup>. وأيضاً هو فعل الفاحشة في قبل أو دبر<sup>٣٠</sup>.

هذه التعريفات الاصطلاحية بعضها أدخل اللواط والراجع أن اللواط من جرائم التعازير، فنستطيع القول أن نعرف الزنا بأنه: (هو وطء مكلف مسلم بالايلاج فرج آدمي ولو قدر حشفة طائع مشتهاً حالاً أو ماضياً في القبل بلا شبهة ملك، تمكنه من ذلك أو تمكنها، عمداً).

٣ / **تعريف الزنا في الاصطلاح القانوني:** عرفه القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م<sup>٣١</sup>: (يعد مرتكباً جريمة الزنا: كل رجل وطئ امرأة دون رباط شرعي، وكل امرأة مكنت رجلاً من وطئها دون رباط شرعي، يتم الوطء بدخول الحشفة كلها أو ما يعادلها في القبل، لا يعتبر النكاح المجمع على بطلانه رباطاً شرعياً).

عرف القانون الزنا بذكر الرجل تارة وذكر المرأة تارة أخرى بوصف الفعل والاختيار ودون الرباط الشرعي كما عرف في عرف كلمة (رجل) وكلمة (امرأة) في المادة (٣) جنائي بقوله (رجل يعنى الذكر البالغ و « امرأة » تعنى الأنثى البالغة)، كما عرف كلمة (البالغ) في نفس المادة (يعنى الشخص الذي ثبت بلوغه الحلم بالأمارات الطبيعية القاطعة وكان قد أكمل الخامسة عشرة من عمره، ويعتبر بالغاً كل من أكمل الثامنة عشرة، من عمره ولو لم تظهر عليه أمارات البلوغ).

### المطلب الثالث : عناصر جريمة حد الزنا :

#### أولاً : في الفقه الإسلامي :

تتمثل عناصر جريمة الزنا في:

١ / الوطء المحرم، حيث أن الوطء المحرم الذي يعتبر زنا هو الذي يحدث بغير ملك، وقس على ذلك أي وطء من هذا القبيل فإنه يعد زنا وعقوبته الحد ما لم يكن هناك مانع شرعي من العقوبة.

٢٧- حاشية رد المختار، ابن عابدين، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٦٦م، ٣٦/٤

٢٨- السمر الداني في تقريب المعاني، أبو زيد القيرواني، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، دت، ٢/ ٥٦٨

٢٩- حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب، أبي يحيى زكريا الأنصاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت، ٢/ ٤٢٧

٣٠- منصور بن يونس، كشف القناع على متن الاقتناع، ج٤، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ٢٧٧

٣١- القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م، المادة ١٤٥، راجع: شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م القسم الخاص، دكتور ياسين

عمر يوسف، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص٢٢٨، شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، عبد الله الفاضل عيسى، ص٢٧٠.

- ٢/ أن يقع ذلك في قبل آدمي حي، فخرج من ذلك اللواط، فهو ليس زنا عند الشافعية<sup>٣٢</sup> والحنفية<sup>٣٣</sup> ويرى المالكية<sup>٣٤</sup> والحنابلة<sup>٣٥</sup> أن ما يجب في اللواط يجب في الزنا.
- ٣/ توافر القصد الجنائي؛ وذلك بوقوع الزنا ممن تتوافر فيه الأهلية من عقل وبلوغ واختيار وعلم بالتحريم، وذلك لانعدام القصد من الصبي والمكره

### ثانياً : في القانون :

وجاءت عناصر جريمة الزنا في القانون في النص المادة ( ١٤٥ ) ( ١ ) يعد مرتكباً جريمة الزنا: (أ) كل رجل وطئ امرأة دون رباط شرعي ، (ب) كل امرأة مكنت رجلاً من وطئها دون رباط شرعي ، (٢) يتم الوطاء بدخول الحشفة كلها أو ما يعادلها في القبل .(٣) لا يعتبر النكاح المجمع على بطلانه رباطاً شرعياً .

كذلك القانون لم يدخل اللواط في جريمة الزنا لأنه ذكر الإدخال في القبل وهذا ما جاء عند الحنفية والشافعية<sup>٣٦</sup> . وقوع فعل الوطاء، وهو الذي عبر عنه الفقهاء بتغيير الحشفة، فخرج من ذلك عدم الإدخال كالملامسة والتقبيل فلا تعتبر زناً<sup>٣٧</sup> . مع القصد وعدم الإكراه.

فمناصر جريمة حد الزنا في الفقه والقانون ليس بينهما خلاف فهي أوصاف لفعل الزنا مع القصد والرضا.

### المطلب الرابع : عقوبة حد الزنا :

#### أولاً : عقوبة حد الزنا في الفقه الإسلامي :

تختلف عقوبة الزاني في الشريعة الإسلامية إذا كان محصن أو غير محصن:

١- الزاني غير المحصن حرا يعاقب بمائة جلدة، قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>٣٨</sup>.

- ٢٢- كتاب الحاوي الكبير . الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر : دار الفكر- بيروت، ٢٢٢/١٣.
- ٢٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى : ٥٨٧هـ)، ٢٣/١٥، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع )
- ٢٤- إرشاد السالك إلى أشرف المسالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر شهاب الدين البغدادي المالكي، ١/ ٢٧٣.
- ٢٥- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر : دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ١٠/١٤٧.
- ٢٦- شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م القسم الخاص مرجع سابق ص٢٢٩، شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م مرجع سابق ص٢٧١.
- ٢٧- القانون الجنائي ( القسم الخاص)، محمد الفاتح إسماعيل، دار جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٧م، ص ٤٣
- ٢٨- سورة النور : الآية (٢).

ويغرب الرجل لبكر الزاني إلى مسافة القصر فأما المرأة فإن خرج معها محرماً غربت إلى مسافة القصر وإن لم يخرج معها محرماً فقد نقل عن أحمد أنها تغرب إلى مسافة القصر كالرجل<sup>٣٩</sup> وهذا مذهب الشافعي<sup>٤٠</sup>، أما الحنفية لم يجعلوا التغريب جزء من العقوبة الحدية وإنما يجعلوه سلطة تقديرية للإمام من باب التعزير إن رأى فيه مصلحة<sup>٤١</sup>، أما المالكية جعلوا التغريب للرجل<sup>٤٢</sup>.

٢- الزاني المحصن رجل كان أم امرأة، يعاقب بالرجم، والمراد بذلك هو قتل من ثبت عليه الزنا رمياً بالحجارة<sup>٤٣</sup>. قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم الرسول صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلون بترك فريضة أنزلها الله، وأن الرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحسن من الرجال والنساء، وإذا قامت البينة أو ظهر الحبل أو الاعتراف)<sup>٤٤</sup>.

وكذلك حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)<sup>٤٥</sup>. وذكر الفقهاء شروطاً للإحصان منها (الحرية والعقل والبلوغ في زواج صحيح مدخول فيه وزاد الحنفية والشافعية الإسلام)<sup>٤٦</sup>.

٣٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ١٠/١٣٢.

٤٠- كتاب الحاوي الكبير. الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر: دار الفكر. بيروت، ١٣/١٨٨.

٤١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى: ٥٨٧هـ)، ١٥/٥٢، (المكتبة الشاملة آياً غير موافق للمطبوع).

٤٢- إرشاد السائل إلى أشرف المسالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر شهاب الدين البغدادي المالكي، ١/٢٧٣.

٤٣- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مرجع سابق، ١٠/١٣٢، كتاب الحاوي الكبير. الماوردي، مرجع سابق، ١٣/١٨٨، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مرجع سابق، ١٥/٥٢، إرشاد السائل إلى أشرف المسالك، مرجع سابق، ١/٢٧٣، الحدود في الفقه الجنائي الإسلامي المقارن، خالد الرشيد الجميلي، ط١، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢م، ص ٣٨.

٤٤- صحيح مسلم، مرجع سابق، ٥/١١٦.

٤٥- صحيح مسلم، مرجع سابق، ٥/١١٥.

٤٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الكاساني ١٥/٤٧، الاختيار لتعليل المختار- ابن مودود الموصلية ٤/٩٣، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ٧/١٦٥-١٦٦، التاج والاكلیل لمختصر خليل ١٢/١١٨، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ١٨/٤٩، أسنى المطالب في شرح حروض الطالب، شيخ الإسلام / زكريا الأنصاري ١٩٠/٤٧٣-٤٧٤، دارالكتبة العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد محمد تامر، مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ١٦/٢٧١-٢٧٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي، ١١/١١٥-١١٦-١١٧.

## ثانياً: عقوبة حد الزنا في القانون:

جاء في المادة (١٤٦). (١) من يرتكب جريمة الزنا يعاقب: (أ) بالإعدام رجماً إذا كان محصناً تم تعديل هذه الفقرة إلى الإعدام شقناً حتى الموت<sup>٧</sup> وهذا التعديل فيه مخالفة لنص شرعي لأن الرجم ثابت بالأحاديث القولية والعملية، وفيه تقوية مصلحة للجاني إذا ثبتت الجريمة بإقراره وهذا ما سيتم الحديث عنه عند التنويه عن أثر الرجوع عن الإقرار في حد الزنا.

(ب) بالجلد مائة جلدة إذا كان غير محصن. (٢) يجوز أن يعاقب غير المحصن الذكر، بالإضافة إلى الجلد بالتغريب لمدة سنة.

فجعل القانون عقوبة التغريب للزاني غير المحصن عقوبة جوازية للمحكمة وهذا ما ذهب إليه الحنفية.

(٣) يقصد بالإحصان قيام الزوجية الصحيحة وقت ارتكاب الزنا على أن يكون قد تم فيها الدخول. قصر القانون شروط الإحصان على (قيام الزوجية الصحيحة والدخول)<sup>٨</sup> وأغفل بقية الشروط التي ذكرها الفقهاء<sup>٩</sup> مما جعل مساحة واسعة للقضاء للاجتهاد، واشترط القانون قيام الزوجية جعل المطلقة غير محصنة وهذا رأي عند الشيعة الإمامية وبعض اجتهادات المتأخرين كرشيد رضا<sup>١٠</sup>.

الفقه الإسلامي والقانون كلاهما فرق بين عقوبة زنا المحصن وزنا غير المحصن فجعل في الأولى الرجم لخطورتها ومخافة اختلاط الأنساب، وفي الثانية الجلد مائة جلدة مع جواز التغريب.

## المطلب الخامس: مسقطات عقوبة حد الزنا:

### أولاً: مسقطات عقوبة حد الزنا في الفقه الإسلامي:

تسقط عقوبة حد الزنا في الفقه الإسلامي بالآتي:

١/ وجود شبهة الحرام المحض، فلا يقام الحد على من وطئ غير زوجته ظاناً منه أنها زوجته، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات فلا يقام عليه الحد.

٤٧- وذلك في مشروع قانون التعديلات المتنوعة رقم (٢) لسنة ٢٠١٦م التي صادق عليها مجلس الوزراء بتاريخ الخميس ٢٢- سبتمبر ٢٠١٦م.

٤٨- شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م القسم الخاص مرجع سابق ص٢٣٦، شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م مرجع سابق ص٢٧٤.

٤٩- انظر البحث المطلب الرابع عقوبة حد الزنا في الفقه الإسلامي.

٥٠- مجلة الأحكام القضائية السودانية لسنة ٢٠٠٧م ص٢٠٧.

٢/ إذا كان مكرهاً.

٣/ إذا كان غير مكلف، فلا حد على الصبي أو السكران أو المجنون.

٤/ إذا رجع المقر عن إقراره، إذا كان الحد ثابت بالإقرار وحدة<sup>٥١</sup>.

## ثانياً : مسقطات عقوبة حد الزنا في القانون :

تسقط عقوبة الزنا بأي من السببين الآتيين:

١/ إذا رجع الجاني عن إقراره قبل تنفيذ العقوبة وكانت الجريمة ثابتة بالإقرار وحده.

٢/ إذا رجع الشهود عن شهاداتهم بما ينقص نصاب الشهادة قبل تنفيذ العقوبة<sup>٥٢</sup>.

وكذلك تشمل المسقطات الدفع المتمثلة في الإكراه وسن المسؤولية الجنائية وما يعترها<sup>٥٣</sup>.

## المبحث الثالث: أثر الرجوع عن الإقرار:

### أولاً: أثر الرجوع عن الإقرار في الفقه الإسلامي:

إذا ثبت الحد بالإقرار فلا خلاف بين جمهور الفقهاء في أنه لا يسقط إلا بالرجوع عن الإقرار، والحد يدرأ بالشبهة، وذلك لما لقن النبي صلى الله عليه وسلم ماعزاً الرجوع فلو لم يكن محتملاً للسقوط بالرجوع ما كان للتلقين فائدة، ولأن الرجوع يورث الشبهة، والرجوع قد يكون صريحاً وقد يكون دلالة بأن يأخذ الناس برجمه فيهرب أو أثناء الجلد فيهرب، فلا يلحق به إن هرب، وهذا يدل على الرجوع. ما عدا حد القذف فلا يسقط بالرجوع لأنه حق للعبد<sup>٥٤</sup>.

حالة الرجوع عن الإقرار في عقوبة حد الزنا إما أن تكون قبل الحكم أو اثنا تنفيذ الحكم:  
أ/ الرجوع عن الإقرار قبل الحكم، وهي أن يأتي الزاني ليقر بالزنا مرة واحدة، والمطلوب

٥١ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، (المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع)، ٦/١٣، إرشاد السالك إلى أشرف المسالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر شهاب الدين البغدادي المالكي، ١/٢٧٣، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين محمد بن أحمد الشرييني الخطيب القاهري الشافعي، ٣/٤٥٤، الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، ٢٤٢/١٤، الحدود في الفقه الجنائي الإسلامي المقارن، مرجع سابق، ص ٦٢.

٥٢ - القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، المادة ١٤٧

٥٣ - المواد المتعلقة ب (٩. فعل الصغير ١٣. الإكراه ١٥. الضرورة ١٨. الخطأ في الوقائع) من القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م، راجع: شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م القسم الخاص مرجع سابق ص ٣٢٦، شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م مرجع سابق ص ٢٧٥.

٥٤ - الحدود في الفقه الجنائي الإسلامي المقارن، مرجع سابق، ص ٣٠٩

أن يكرر اعترافه أربع مرات حتى يحكم عليه بعقوبة الزنا، فإذا اعترف مرة واحدة ثم تراجع فلا يحكم عليه بعقوبة الزنا، واستدلوا بحديث ماعز والغامدية، عن سليمان بن بريده عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله طهرني، فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني، فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول الله فيما أطهرك فقال من الزنا، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون؟ فاخبر أنه ليس مجنون، فقال أشرب خمر؟ فقام رجل فاستنكه فلم يجد منه ريح خمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت قال نعم، فأمر به فرجم)°.°. جاءت امرأة من غامد من الأزدي فقالت: يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتوب إلي، فقالت أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، قال وما ذاك، قالت إني حبلي من الزنا فقال: أنت قالت نعم، فقال لها حتى تضعي ما في بطنك، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال فأتني النبي صلى الله عليه وسلم، فقال قد وضعت الغامدية، فقال إذن لا نرجمها وندها ولدها صغيراً ليس له من يرضعه، فقام رجل من الأنصار فقال: إلي بالرضاعة يا نبي الله، قال فرجمها)°.°.

ب/ الرجوع عن الإقرار بعد الحكم وأثناء التنفيذ، يسقط الحد ولا تقام العقوبة إذا تراجع المقر بعد الحكم وأثناء التنفيذ، والرجوع يكون بالكلام صراحة كأن يكذب نفسه، وينفي أنه زنى، وقد يكون دلالة كالهروب أثناء إقامة الحد أو بأي صورة تدل على الرجوع<sup>٥٧</sup>، وجاء في حديث عروة عن عائشة بلفظ: (ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله؛ فإن الإمام أن يخطئ في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة)<sup>٥٨</sup>.

ذهب المالكية إلى ما ذهب إليه الحنفية في الرجوع عن الإقرار في عقوبة الزنا، إذا رجع عن الإقرار بالزنا قبل الحكم فإن أقر الزاني بالزنا مرة واحدة لا يجد حتى يراجع ليقر أربع مرات، حتى يحكم عليه بالعقوبة، وإذا اعترف مرة واحدة ثم تراجع فلا يحكم عليه،

٥٥- صحيح مسلم مرجع سابق ١١٩/٥.

٥٦- المرجع نفسه، ١١٩/٥.

٥٧- الاختيار لتعليل المختار (كتاب الحدود)، عبد الله بن محمود الموصلي الحنفي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك،

١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ١/ ٩٨.

٥٨- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر

العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م، ٤/ ١٦٠.

تعقيباً على حديث ماعز والغامدية، إذا رجع عن الإقرار بالزنا بعد الحكم وأثناء التنفيذ يسقط الحد ولا تقام العقوبة إذا تراجع المقر عن إقراره<sup>٥٩</sup>.

إذا أقر الزاني على نفسه بالزنا ثم رجع سقط الحد، والرجوع عن الإقرار بان يقول: كذبت أو أكرهت أو تراجع عما أقررت به<sup>٦٠</sup>.

واشترطوا العدد في الإقرار بالزنا، فلا يثبت إلا بإقراره أربع مرات على نفسه مرة بعد مرة مع وجود شروط التكليف ولأنهم اعتبروا الإقرار مثل الشهادة، وكما أن الشارع اشترط في الشهادة على الزنا أربعاً على خلاف الشهادة في جميع الحدود، واستدلوا بحديث ماعز والغامدية، وإذا رجع المقر عن الزنا سقط الحد لأن رجوعه شبهة تدرأ الحد<sup>٦١</sup>.

فإذا رجع عن إقراره، وقع به بعض الحد أو لم يقع، يسقط عنه الحد أو ما بقي منهقال الماوردي: (إذا رجع المقر بالزنا عن إقراره، قبل رجوعه وسقط الحد عنه، وبه قال أبو حنيفة وأكثر الفقهاء، سواء وقع به بعض الحد أو لم يقع)<sup>٦٢</sup>.

من هنا تظهر بعض الحكمة من تنفيذ عقوبة الزاني المحصن بالرجم وهي لتترك فرصة للجاني إذا ثبتت الجريمة بإقراره بأن يرجع عن إقراره في أي مرحلة حتى ولو كان عند تنفيذ العقوبة فإذا مسته الحجارة وطلب توقيف تنفيذ العقوبة وكذب نفسه يقبل منه ذلك وتسقط بقية العقوبة سواء كان جلدأ أم رجماً فإذا كان تنفيذ العقوبة شتقاً فماذا ينتظر عندما تسحب الخشبة التي تحت أقدامه ويلقي بجسده إلى الهاوية.

## ثانياً: أثر الرجوع عن الإقرار في القانون وعمل المحاكم السودانية

القوانين الوضعية لا تقبل مبدأ الرجوع عن الإقرار إلا إذا ثبت أنه صدر عن غلط في الوقائع<sup>٦٣</sup>، ولكن قانون الاثبات السوداني ١٩٨٣م الملغي وقانون الاثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م مصدرهما التشريعي من الشريعة الإسلامية، فجعل الرجوع عن الإقرار شبهة تدرأ

٥٩- مدونة الفقه المالكي وأدلته، الصادق عبد الرحمن القرياني، ط١، -، مؤسسة الريان لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣-٢٠٠٢م/٤/٤٢٠، كتاب الحاوي الكبير. الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر: دار الفكر. بيروت، ٢١١/١٣.

٦٠- العزيز شرح الوجيز، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني، تحقيق: علي محمد معوض، ط١، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت. ١١/١٥٢.

٦١- الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن علي الفاس، تحقيق: فاروق حمادة، ط١، ، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٨٣٧/٤، ٢٠٠٢م، ١٨٣٧/٤.

٦٢- كتاب الحاوي الكبير. الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر: دار الفكر. بيروت، ٢١١/١٣.

٦٣- أحكام الاثبات، مرجع سابق ص١٦٤.

الحد. جاء في المادة (٢١) الفقرة (٣) اثبات: (لا يشكل الإقرار في المسائل الجنائية بينة قاطعة إذا كان غير قضائي أو اعترته شبهة)<sup>٦٤</sup>. ونص في المادة (٢٢) الفقرة (٢) اثبات على: (يعتبر الرجوع عن الإقرار في جرائم الحدود شبهة تجعل الإقرار بينة غير قاطعة)<sup>٦٥</sup>. أما في جرائم الحدود فإن الرجوع عن الإقرار يعتبر شبهة يدرأ الحد بها عن تراجع عن إقراره لأن الرجوع صار شبهة والحدود تدرأ بالشبهات<sup>٦٦</sup>.

من الملاحظ أن المعنى في المادتين واحد يجعل الإقرار في جرائم الحدود وهي بالطبع مسألة جنائية كما في المادة (٢١)، لا يعتد به إذا كان غير قضائي أي ليس في أمام قاضي أو من يخوله القانون بأخذ الإقرار وكذلك إذا اعترته شبهة، مثل الإكراه أو الخطأ في الوقائع التي قادت إلى الإقرار.

عند اطلاع الباحث على السوابق القضائية وجدها كلها على فهم موحد ما عدا سابقة واحدة شذت وخالفت ما جاء به الفقه الإسلامي ويستطرد الباحث ذكر هذه السوابق بشيء من الإيجاز المفيد.

**أولاً: السوابق التي تعتبر الرجوع عن الإقرار في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية شبهة تدرأ الحد:**

١/ حكومة السودان // ضد // كلثوم خليفة عجيبنا، النمرة : مع / غ / أ / ٤٨ / ١٩٩٢م<sup>٦٧</sup>  
إقرار المتهم بارتكاب جريمة الزنا في مرحلتي التحري والمحاكمة لدى محكمة الموضوع ثم رجع عن إقراره لدى المحاكم الاستئنافية بادعائه الاستكراه على ارتكاب جريمة الزنا فإن هذا الادعاء يعتبر شبهة تدرأ حد الزنا. والقاعدة العامة التي تحكم قبول الإقرار أو الاعتراف كبينه شرعية هي أخذه ككل دون تجزئته لأنه لا يجوز عدالة وإنصافاً أخذ ما هو ضد المعترف أو المقر وترك وطرح ما هو في صالحه. ولكن جرى العمل في المحاكم السودانية على وضع استثناءات معينة لهذه القاعدة العامة هي أن ترفض المحكمة إجراء الإقرار أو الاعتراف الذي يتجافى ويتعارض مع العقل والمنطق السليم والمجرى العادي للأمر الطبيعي ولا يتفق وطبائع الأشياء والظروف وقرائن الأحوال والملاسات التي تحيط بوقائع القضية وأن ترفض المحكمة أيضاً تلك الأجزاء

٦٤- قانون الاثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م المادة (٢١).

٦٥- قانون الاثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م المادة (٢٢).

٦٦- شرح قانون الاثبات السوداني، البروفيسور/ حاج آدم الطاهر، ص٦٧، تأصيل قانون الاثبات لسنة ١٩٩٣م،

السلطة القضائية، لجنة تأصيل القوانين، ص٨٦.

٦٧- مجلة الأحكام القضائية ١٩٩٢م ص١٢٩.

من الإقرار أو الاعتراف التي تناهضها وتدحضها بيانات أخرى والتي لا تطابق الحقيقة والواقع لأن المقر أو المعترف حشرها حشراً لتبرير أفعاله الإجرامية كادعاءات وأكاذيب باطلة واختلافات وافتراءات لا أساس لها من الصحة والواقع مما لا يركن إليه وجدان المحكمة ولا يصدق الضمير ولا يطمئن لصحة الرواية ولا تستطيع المحكمة أن تكون عقيدتها تجاهه عن قناعة تامة. ومعلوم إن للإقرار أو الاعتراف ضوابط وشرائط لا بد من توافرها لتجعله جديراً بإثبات الجريمة الحدية فوق كل الشبهات ودون مرحلة الشك المعقول . فإذا ارتكب المتهم الجريمة الحدية وأقر بذلك في مرحلة تحريات البلاغ لدى الشرطة وفي مرحلة المحاكمة أمام محكمة الموضوع ولكنه دفع في إقراره بأنه ارتكب الجريمة الحدية نتيجة إكراه وأثبت ذلك أمام محكمة الموضوع بالدليل القاطع فإن شبهة الإكراه في هذه الحالة قوية تمحو وصف الجريمة الحدية ويترتب عليها براءة المتهم نهائياً ويخلي سبيله من غير أية مساءلة جنائية والسند والحجة على ذلك ما ورد في محكم التنزيل قوله عز وجل: ﴿الْأَمْنُ أَوْعَىٰ وَفَلْبَهُ مُّطْمَئِنِّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>٦٨</sup> سورة النحل ﴿وَمَنْ يُّكْرِهْنُ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٦٩</sup>.

والدليل على ذلك ما ورد في السنة المطهرة في قوله صلي الله عليه وسلم : ( إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)<sup>٧٠</sup> وكذلك ما جاء في قضية حكومة السودان ضد الحاجة الحسين سليمان<sup>٧١</sup> والتي استطاعت المتهممة أن تثبت بأنها استكرهت على ارتكاب جريمة الزنا من خلال إقرارها المؤيد بالظروف وقرائن الأحوال والملابسات التي أحاطت بالوقائع المتعلقة بالحادث- قضت المحكمة العليا بأن الوطاء بإكراه سواء نتج عنه الحمل أو لم ينتج عنه ليس بجريمة مطلقاً حدية أو غير حدية في حق من أكرهت لانعدام الرضا والموافقة أي التعمد أو القصد الجنائي ومن ثم تمت براءة المتهممة. ولكن لا يحكم بالبراءة ما لم يثبت الدفاع بان المتهممة قد استكرهت على ارتكاب الجريمة الحدية التي أقرت بارتكابها وإثبات ذلك قد يتم بالبيانات المباشرة وغير المباشرة والظروف وقرائن الأحوال والملابسات التي تحيط بوقائع الجريمة الحدية.

٦٨- سورة النحل الآية (١٠٦).

٦٩- سورة النور الآية (٣٣) .

٧٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، (المتوفى : ٣٥٤هـ)، المحقق : شعيب

الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، ٢٠٢/١٦ ، فتح الباري شرح صحيح

البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ ، تحقيق :

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٣٩٠/٩ .

٧١- مجلة الأحكام القضائية سنة ١٩٨٨م ص ١٨٦

و إذا أقر المتهم بارتكاب الجريمة الحدية أثناء التحري إلا أنه دفع فيما بعد في مرحلة إجراءات المحاكمة لدى محكمة الموضوع بأن إقراره صدر بناء على إكراه وتعذيب وسواء استطاع الدفاع أن يثبت ذلك أم لم يستطع أمام محكمة الموضوع فإن شبهة الإكراه يترتب عليها درأ الحد وتنزل الجريمة الحدية إلى جريمة عادية غير حدية وهذا بمثابة عدول ضمنيعن الإقرار وتوقيع العقوبة التعزيرية المناسبة فقد قضت المحكمة العليا في قضية<sup>٧٢</sup> حكومة السودان ضد محمد عبد الله جاه الرسول بأن الاعتراف المسحوب هو الذي يذكر المتهم إنه أدلى به أو يقر بإدلائه وينكر إن ذلك كان عن طواعية.

ويتعين على المحكمة ألا تدين المتهم بالجريمة الحدية عملاً بقاعدة ضرورة التثبيت والتريث والتشدد في إثبات جرائم الحدود- في حالة أن يكون الإقرار هو الدليل الوحيد- ما لم يكن الإقرار غير مسحوب صراحة أو ضمناً ففي قضية<sup>٧٣</sup> حكومة السودان ضد العوض مركز معالي قد قضى بأنه يجب على المحكمة التثبت من إن إقرار المتهم كان عن طواعية واختيار طبقاً للمادة ٢٤ (٢) من قانون الإثبات لسنة ١٩٨٣ م.

فإن الإقرار الذي أنتزع من المتهم انتزاعاً بالإكراه أو الإقرار الذي يشتهب في أنه انتزع من المتهم بالإكراه غير جدير بإثبات الجريمة الحدية.

و إذا أقر المتهم بارتكاب الجريمة الحدية أثناء التحري وأثناء المحاكمة لدى محكمة الموضوع إلا أنه رجع عنه أمام محكمة الاستئناف أو المحكمة العليا حتى ولو ورد ذلك في شكل ادعاء في مذكرة الاستئناف أو الفحص بأن إقراره في مراحل إجراءات القضية في التحريات والمحاكمة كان نتيجة لإكراه أو أنه ارتكب الجريمة الحدية بالإكراه فإن شبهة الإكراه هنا في هذه الحالة يترتب عليها درء الحد وتتحول الجريمة الحدية إلى جريمة غير حدية أو يدرأ الحد ويستبدل بعقوبة تعزيرية ولا حاجة بمحكمة الاستئناف أو المحكمة العليا لإعادة الأوراق لمحكمة الموضوع من أجل التحقيق في ثبوت ذلك الادعاء بل يجوز لمحكمة الاستئناف أو المحكمة العليا نفسها أن تقوم بذلك الإجراء دون إثبات ذلك الادعاء الذي يشكل أدنى شبهة تدرأ الحد.

## ٢ / حكومة السودان ضد مريم محمد سليمان، م ع / م ك / ٧٦ / ١٤٠٥ هـ<sup>٧٤</sup>

الحمل ليس دليلاً قاطعاً في إثبات جريمة الزنا - المادة ٣/٧٧ من قانون الإثبات لسنة

٧٢- مجلة الأحكام القضائية سنة ١٩٧٣ م ص ٢٦٣- ٢٨٨.

٧٣- مجلة الأحكام القضائية سنة ١٩٨٣ م ص ٩٥- ١٥٠.

٧٤- مجلة الأحكام القضائية ١٤٠٥ هـ المجلة الإلكترونية.

١٩٨٣م، ( وكذلك نص عليه قانون الاثبات لسنة ١٩٩٤م المادة (٦٢) الفقرة (ج) ( الحمل لغير الزوجة إذا خلا من شبهة) )، الحمل ليس قرينة قاطعة على الزنا ، بل قرينة تصل الدليل المناهض ، إذا كان مجرد احتمال أن الحمل نتج عن وطء بإكراه أو خطأ أو دون إيلاج لبقاء البكارة لزم درء الحد..الحمل ليس دليل إثبات على الزنا إذا اعترته شبهة. ويجب درء الحد عن الحامل كلما قامت شبهة في ارتكاب الزنا. وقد ذهب الجمهور أن مجرد الحمل لا يثبت به الحد ، بل لا بد من الاعتراف أو البيينة ، واستدلوا على هذا بالأحاديث الواردة في درء الحدود بالشبهات ، وروى عن علي بن أبي طالب «رضى الله عنه» أنه قال لامرأة حبلى «استكرهت؟ قالت لا» قال «لعل رجلاً أتاك في نومك» وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل قول امرأة ادعت أنها ثقيلة النوم وأن رجلاً طرقها ولم تدر من هو بعد.

**ثانياً: السوابق التي لا تعتبر الرجوع عن الإقرار إذا عضده الحمل شبهة يدرأ الحد حكومة السودان /ضد/ مريم محمد عبد الله، (م/ع/ك/١٢/١٥٠٤١هـ)، (مكرر م/ع/حدي/٣/٥٠٤١هـ) ٧٥**

هذه سابقة مخالفة لما جاء عند الفقهاء وعمل المحاكم السودانية لعدم أخذها الدفع بالإكراه وضلها في ذلك الحمل كقرينة لاحتمال الزنا والرضا به ولم تأخذ بمبدأ الشبهة المقررة شرعاً فألقت بدفع المتهمة بالإكراه عرض الحائط.

في الجرائم الحديثة يجب على محكمة الموضوع أن تناقش المسقطات أو الشبهات التي تدرأ الحد واحداً تلو الآخر قياساً على ما جرى عليه العمل في قضايا القتل العمد حيث تناقش المحكمة استثناءات المادة ٢٤٩ من قانون العقوبات<sup>٧٦</sup> الخاصة بالاستثناءات التي تغير من وصف الجريمة من قتل عمدي إلى قتل شبه عمدي .

قد استند الاتهام في هذه القضية على الإقرار والحمل الذي بلغ سبعة أشهر ،وناقشة المحكمة هذين الدليلين وفقاً للشروط التي يتطلبها القانون .

لقد أقرت المتهمة وفي كل مراحل القضية بأن المتهم الذي أطلق سراحه لعدم وجود بيينة ضده قد اتصل بها جنسياً ولم تتراجع عن إقرارها بل حتى في طلب الاسترحام الذي تقدمت به لم تزل على أمرها .جاءت المادة ١٩(١) من قانون الإثبات معرفة الإقرار بأنه هو إخبار شخص بواقعة تثبت مسئولية مدعى بها عليه وجاء في المادة ٢٠(٢) من ذات القانون

٧٥- مجلة الأحكام القضائية ١٤٠٥هـ المجلة الإلكترونية.

٧٦- يقصد قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م.

أنه ينحصر الإقرار القضائي في المسائل الجنائية في الإقرار بواقعة في مجلس القضاء أثناء إجراءات الدعوى المتعلقة بها - ونصت المادة ٢٢ أنه يكون الإقرار صراحة أو دلالة ويكون باللفظ والإشارة ... الخ واشترطت المادة ٢٣ (١) في المقر أن يكون عاقلاً بالغاً سن المسؤولية التي ينص عليها القانون ومختاراً وغير محجور عليه . واعتبر الإقرار غير صحيح إذا كذبه ظاهر الحال ( المادة ٢٤ ) وأنه لا يكون صحيحاً إذا كان نتيجة إغراء أو إكراه على أن يعتبر الرجوع عن الإقرار في المسائل الجنائية شبه جعل الإقرار بينة غير قاطعة . لقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من أقر بحد ثم رجع عنه فإن الحد يسقط عنه إذا لم يكن هنالك دليل آخر لإثباته . ولقد أخذ المشرع السوداني برأي الجمهور فنصت المادة ٢٦ (٢) من قانون الإثبات : يعتبر الرجوع عن الإقرار في المسائل الجنائية شبهة تجعل الإقرار بينة غير قاطعة ونصت المادة ٨٠ (٢) أنه يعتبر من الشبهات الرجوع عن الإقرار والصلة في اعتبار الرجوع عن الإقرار شبهة هو أن رجوع المقر عن إقراره يورث خلافاً حكماً في إقراره السابق وإن كان قد صدر مستوفياً شروطه والشبهة هي إما أن يكون صادقاً في الرجوع وهو الإنكار ويحتمل أن يكون كاذباً فيه ، فإن كان صادقاً في الإنكار يكون كاذباً في الإقرار وإن كان كاذباً في الإنكار صادقاً في الإقرار فيورث شبهة في الحد وهو لا يستوفي مع الشبهة .

### هل استكرهت المتهمه على ارتكاب الجريمة؟

لم تقتنع المحكمة بادعاء المتهمه للإكراه لارتكاب الجريمة ووصفته بأنه قول يعوزه الدليل . وأكدت بأن ما جاء في أقوال المدانة في التحري وأثناء المحاكمة وما ذكرته في طلب الاسترحام يجعل المحكمة تسيقين أنه لم يكن هناك إكراه قد وقع على المدانة فلقد ذكرت في التحري أنه قد تم الاتصال بها جنسياً مرتين وأنها قد خافت وسمحت له بالاتصال وذكرت في المحكمة أنه اتصل بها وهي نائمة وفي استجوابها ذكرت أنها كانت خائفة وذكرت في طلب الاسترحام الذي تعرضت به أنه قد استعمل معها القوة لارتكاب الجريمة وهي ترعى معه بهائمها في الخلاء و أنه من الصعوبة بمكان أن يتم الاتصال الجنسي بالمرأة عن طريق القوة بل الثابت أن المتهمه قد مكنت الزاني من إتيان الفاحشة معها وكانت مختارة في ذلك وطوال هذه الفترة لم تبلغ السلطات بالحادث والإكراه الذي وقع عليها ، فلا قول بإكراه المتهمه على إتيانها أضف إلى ذلك أن تضارب أقوال المتهمه وتناقضها في مراحل القضية المختلفة يجعل المحكمة تسيقين يقيناً لا يزاوله شك بأن المتهمه لم تكن صادقة في أقوالها وأنها لجأت إلى الكذب الصريح بل أن المحكمة يمكنها القول بأن الاتصال الجنسي مع المتهمه قد تم أكثر من مرة حسب ما ذكرت هي في يومية

التحري والتي تليت عليها في المحكمة وأقرت بها .

ثم قالت المحكمة وبما أن الجريمة في هذه القضية ثابتة ببينة أخرى منفصلة وهي الحمل وبما أن القانون قد نص على أن الحمل يعتبر بينة لإثبات جريمة الزنا إذا لم يكن للمرأة زوج إلا أنه في هذه القضية اتضح أن المرأة متزوجة من الشاكي ولكننا يمكننا أن نعتبر أن الحمل أيضاً بينة في هذه الحالة حيث ثبت بالبينة أن المتهمه قد غاب عنها زوجها أكثر من سنة ولم يحصل وطء بينهما بالرغم من ذلك رأت دم الحيض أكثر من مرة مما يقطع الشك بأن الحمل لم يكن من زوجها بل كان من شخص آخر وبما أن المتهمه قد ادعت أنها كانت مكروهة فإننا نرى أنها يجب عليها أن تقيم دليلاً أو قرينة على صحة دفاعها قياساً. والمتهمه لم تستغيث ولم تبلغ عن اتصال المتهم بها رغم أن الاتصال قد تم مرتين مع الأخذ في الاعتبار أن إتيان المرأة دون رضاها أمر جد عسير وأنا نرى أن الأخذ بهذا الرأي يقفل الباب أمام انتشار الفساد والرذيلة مع الأخذ في الاعتبار أن الحمل هو قمة الضرر الذي يمكن أن ينتج من الزنا وأن المشرع قد رأى الأخذ بالحمل بينة منفصلة دون أن يربطه بالإقرار أو ببينة الشهود . جاء في المذكرة التفسيرية لقانون العقوبات<sup>٧٧</sup>، ( وكان لا بد من تحديد البينة على الزنا لشدة العقوبة ولأن البينة جاءت مرتبطة مع الجريمة في كتاب الله فوجب تحديدها كما تم أيضاً تحديدها في قانون الإثبات ) . وعليه أرى أن المتهمه قد ارتكبت جريمة الزنا المعروفة في المادة ٣٠٦ والمعاقب عليها في المادة ٣١٨ (١) والتي تطابق أيضاً المادة ٤٣٠ (٢) من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ وعليه أرى تأييد الحكم الصادر ضد المتهمه وتوقيع العقوبة الشرعية عليها وهي الإعدام رجماً .

كما تقدم من تحليل نجد أن قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م جعل الرجوع عن الإقرار في جرائم الحدود شبهة تدرأ الحد وكذلك القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م جعل الرجوع عن الإقرار من مسقطات عقوبة حد الزنا متمشياً مع ما جاء في الفقه الإسلامي ودرجت المحاكم السودانية العليا على أن الرجوع عن الإقرار في أي مرحلة من مراحل الدعوة شبهة تدرأ الحد ومن تفسير الرجوع عن الإقرار ادعاء الإكراه.

### الترجيح:

عليه نرجح أن الرجوع عن الإقرار في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية شبهة تدرأ الحد حتى ولو كانت المرأة حاملاً للآتي:

١ / إذا ثبت الحد لا مجال للعفو عنه ولكن تسقطه الشبهة.

٧٧- المذكرة التفسيرية لقانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م، ص ١٠.

٢/ الحمل قرينة قوية لغير المتزوجة أو الغائب عنها زوجها مدة طويلة ولكن تزول بادعاء الاكراه.  
٣/ المرأة في الغالب إذا اغتصبت لا تكلم أهلها مخافة الفضيحة وخاصة إذا كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها أو غائب عنها زوجها، لأنه لا يفضحها إلا الحمل فتتظر، فإن لم يظهر الحمل تكون قد سترت نفسها وأهلها، أما البكر مظنة أن تخبر أهلها واردة، لأنها تخاف من كشف أمرها عند الزواج.

٤/ في جرائم الحدود دور القاضي سلبي، متى ما وجد مخرجاً خلى سبيل المتهم.  
٥/ فمن أقر بارتكابه حد الزنا لا تأخذ المحكمة بإقراره مباشرة وإنما تناقشه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ماعز، (أبك جنون لعلك قبلت...) وهكذا حتى تطمئن على صحة إقراره.

### خاتمة:

في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات:

#### أولاً: النتائج:

- ١/ الأصل في الحدود أن تدرأ بالشبهات.
- ٢/ الرجوع عن الإقرار في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية شبهة تدرأ الحد.
- ٣/ من تفسيرات الرجوع عن الإقرار ادعاء الإكراه.
- ٤/ عقوبة الزاني المحصن الرجم في صالح الجاني إذا كان الجريمة ثابتة بإقراره فقط تتيح له فرصة الرجوع عن إقراره حتى اثناء التنفيذ.

#### ثانياً: التوصيات:

- ١/ على المشرع السوداني النص صراحة على أن الرجوع عن الإقرار في جريمة الزنا شبهة تدرأ الحد في أي مرحلة من مراحل الدعوى الجنائية.
- ٢/ إلغاء عقوبة الشنق حتى الموت للزاني المحصن والرجوع للنص السابق الإعدام رجماً، لأنه يتناسب مع مسقطات عقوبة الزنا.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ١- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النضراوي (المتوفى: ١١٢٦هـ).
- ٢- درر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، مكان النشر: لبنان / بيروت.
- ٣- موسوعة الفقه الإسلامي، إعداد: وزارة الأوقاف المصرية.
- ٤- إثبات جرائم الحدود في الشريعة والقانون، بدرية عبد المنعم حسونة - ط٢ - ٢٠٠٢م مطبعة جي تاون الخرطوم .
- ٥- أحكام الاثبات، دكتور رضا المزغني طبعة ١٩٨٥م
- ٦- إرشاد السالك إلى أشرف المسالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر شهاب الدين البغدادي المالكي.
- ٧- أسنى المطالب في شرح حروض الطالب، شيخ الإسلام / زكريا الأنصاري، دارالكتبة العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد محمد تامر.
- ٨- الاختيار لتعليل المختار (كتاب الحدود)، عبد الله بن محمود الموصلني الحنفي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٩- الإقتاع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب القاهري الشافعي.
- ١٠- الإقتاع في مسائل الإجماع، أبو الحسن علي الفاس، تحقيق: فاروق حمادة، ط١، ، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١١- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم ، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، (المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع).
- ١٢- التاج والإكليل لمختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالموافق (المتوفى: ٨٩٧هـ).
- ١٣- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم

- القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.
- 14- الحدود في الفقه الجنائي الإسلامي المقارن، خالد الرشيد الجميلي، ط ١، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢م.
- ١٥- السمر الداني في تقريب المعاني، أبو زيد القيرواني، ط ١، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- ١٦- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.
- ١٧- العزيز شرح الوجيز، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني، تحقيق: علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٨- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، الدكتور مصطفى الخن و الدكتور مصطفى البغا وعلي الشرجي.
- ١٩- القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م.
- ٢٠- القانون الجنائي (القسم الخاص)، محمد الفاتح إسماعيل، دار جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٧م.
- ٢١- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
- ٢٢- الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، سعود بن عبد العالي البارودي العتيبي، عضو هيئة التحقيق والادعاء العام - فرع منطقة الرياض، الطبعة: الثانية.
- ٢٣- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، تنبيه: تراجم الفقهاء في الأصل الورقي ملحقة بآخر كل مجلد، فجمعت هنا - في هذا الكتاب الإلكتروني - في آخر الموسوعة تيسيرا للوصول إليها، مع الحفاظ على ترقيم الصفحات.
- ٢٤- النظام الجنائي في الإسلام والعقوبة، خير الله طلفاج - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٢م.
- ٢٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى: ٥٨٧هـ)، (المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع).

- ٢٦- تأصيل قانون الاثبات لسنة ١٩٩٣م، السلطة القضائية، لجنة تأصيل القوانين.
- ٢٧- تُحْفَةُ الْحَبِيبِ عَلَى شَرْحِ الْخَطِيبِ ( حاشية البجيرمي على الخطيب )، سليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (المتوفى : ١٢٢١هـ)، (حاشية على كتاب الخطيب الشرييني المسمى الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع )، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع ).
- ٢٨- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، الناشر : دار الكتب العلمية، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٩- حاشية إعانة الطالبين، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى : بعد ١٣٠٢هـ)، [ هو حاشية على حل الفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين / لزين الدين بن عبد العزيز المعبري بالمليباري (المتوفى : ٩٨٧هـ) .
- ٣٠- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي (المتوفى : ١٢٣٠هـ)، ( المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع ).
- ٣١- حاشية الشرفاوي على تحفة الطلاب، أبي يحيى زكريا الأنصاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٣٢- حاشية رد المختار، ابن عابدين، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٦٦م.
- ٣٣- حال المتهم في مجلس القضاء، صالح اللحيدان ط٣ - ١٤٠٥ - ١٩٨٥م مطابع الطوبجي - القاهرة.
- ٣٤- حجية الإعراف كدليل إدانة، قدرى عبدالفتاح الشهاوي ط١ - ٢٠٠٥م .
- ٣٥- شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م القسم الخاص، دكتور ياسين عمر يوسف، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٣٦- شرح القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، عبد الله الفاضل عيسى.
- ٣٧- شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، (المكتبة الشاملة غير مطابق للمطبوع).
- ٣٨- شرح قانون الإثبات، عثمان حيدر أبوزيد ط١ ٢٠٠٧م منشورات جامعة السودان المفتوحة.

٣٩- شرح قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م، د. حاج آدم حسن الطاهر، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م

٤٠- شرح قانون الإثبات السوداني، البروفيسور/ حاج آدم الطاهر.

٤١- شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي.

٤٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، (المتوفى : ٣٥٤هـ)، المحقق : شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة : الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٤٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.

٤٤- طرق الإثبات في القانون، مرجي دليلة - الجزائر ١٩٩١م - ٢٠٠٠م .

٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

٤٦- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى : ٨٦١هـ)، (المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع).

٤٧- قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م

٤٨- قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م.

٤٩- كتاب الحاوي الكبير- الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر : دار الفكر - بيروت.

٥٠- كشاف القناع على متن الاقناع، منصور بن يونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٥١- لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي ط٣ بيروت لبنان، ١٤١٣ - ١٩٩٣م

٥٢- مجلة الأحكام القضائية ١٤٠٥هـ المجلة الإلكترونية.

٥٣- مجلة الأحكام القضائية ١٩٧٢م.

٥٤- مجلة الأحكام القضائية ١٩٨٣م

- ٥٥- مجلة الأحكام القضائية ١٩٨٩م.
- ٥٦- مجلة الأحكام القضائية ١٩٩٢م المجلة الإلكترونية.
- ٥٧- مجلة الأحكام القضائية السودانية لسنة ٢٠٠٧م.
- ٥٨- مجلة الأحكام القضائية سنة ١٩٨٥م.
- ٥٩- مجلة الأحكام القضائية سنة ١٩٨٨م.
- ٦٠- مدونة الفقه المالكي وأدلتها، الصادق عبد الرحمن القريري، ط١، - ، مؤسسة الريان لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.
- ٦١- معجم مقاييس اللغة، أبي حسين أحمد بن الرازي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م.
- ٦٢- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج.
- ٦٣- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل.



## الفعل وأبنيته الصَّرْفِيَّةُ في (أربع دمعات على رجال سادات) لعبد الله الطيب المجذوب

إعداد دكتور: أبو حنيفة عمر الشريف علي عمر (١)

### المستخلص

تَهْدَفُ هذه الدراسة إلى الوقوف على أبنية الفعل في قصائد أربع نظمها الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب المجذوب الأديب السوداني المعروف، عليه رَحْمَةُ اللَّهِ سَمَّاهَا: (أربع دمعات على رجال سادات)، والتعرف على الدلالة التي تؤديها هذه الأبنية، وقد انتهجت الدراسة المنهج الوصفي أخذةً من أدوات التحليل، ومن نتائجها التي خرجت بها: أن أبنية الأفعال في الدمعات تنوعت على جميع أبواب الفعل من مجرد إلى مزيد إلى صحيح إلى معتل... إلخ، وأن من أبنية الفعل الثلاثي ما جاء على معانٍ لم يذكرها النحويون، من ذلك: بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ» دَلَّتْ على السُّقُوطِ في لَفْظِ «هُوَ يَهْوِي».

### مقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ والسلامُ على نبيِّ الله الأمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجه إلى يوم البعث والدين، وبعد: فالنَّاظِرُ إلى اللُّغة العربية وفروعها يجدُ فيها جمالاً خلاقاً؛ كيف لا؟! وهي اللُّغة الشريفة التي نزل بها أشرف كتاب وهو القرآن الكريم، ومن فروع اللُّغة علم الصَّرْفِ، وهو علم جليل القدر، رفيع المنزلة، يهتم بزينة ألفاظ العربية المُعْرَبَةِ في بنى أسمائها، والمتصرفية في بنى أفعالها، وهو علم يُعرَفُ به أصول الكلمات، وبميزانه يُعرَفُ صحيحها من معتلها، وتامها من محذوفها؛ لهذا جاءت هذه الدراسة: لتَبْحَثَ باباً من أبوابه، وتُحاولُ الكشف عن خَوَافِيهِ، وهي أبنية الفعل ودلالاتها، وقد جعلت مادة بحثها نصاً شعرياً رثائياً هو: (أربع دمعات على رجال سادات لعبد الله الطيب)؛ لأصالته، وسلامته لغته، طبعة الدار السودانية للكتب، وقد اكتفيت بعرض بنى الأفعال وبعض معانيها وفق ما جاء في القصائد، سابقاً ذلك بما قاله الصَّرْفِيُّونَ فيها، وقد تطرقت للوزن الشعري الذي جاء عليه البيت في القصيدة والأثر الذي أداه في تأدية المعنى...

### مشكلة البحث:

يُعَالِجُ هذا البحث قضية الفعل وأبنيته الصَّرْفِيَّةُ في اللُّغة العربية، ودراسته مجموعة قصائد عنوانها: (أربع دمعات على رجال سادات لعبد الله الطيب المجذوب).

١ - أستاذ مساعد، كلية اللغات - قسم اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

### أهداف البحث:

- التعريف بالفعل ومفهومه.
- توضيح بنى الفعل الواردة في أربع دمعات على رجال سادات، وذكر معانيها كما ذكرها الصرفيون.
- معرفة العلاقة بين بنية الفعل وزن بيته الشعري الوارد فيه وأثره في تأدية المعنى.

### أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يتناول موضوعاً من موضوعات علم الصرف العربي، وهو الفعل، إضافة إلى مصدر التطبيق، وهو مجموعة قصائد من الشعر السوداني تحت اسم: (أربع دمعات على رجال سادات) للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب المجذوب رحمه الله تعالى.

### أسباب اختيار البحث:

موضوع هذا البحث، هو: « الفعل وأبنية الصرفية في أربع دمعات على رجال سادات لعبد الله الطيب المجذوب، ومما دعا الدارس لتناوله بالبحث: رغبته في الدراسة فيه، ومكانة الشاعر الرفيعة بين شعراء الوطن العربي، وأن هذا الشاعر لم تتعرض دراسة - على بحثي - لدراسة لغوية لقصائده الأربع التي طبعت بالدار السودانية للكتب؛ لذلك فإن هذا البحث خاض ميدان هذه البنية، أملاً أن يوفق إلى ما فيه الفائدة.

### منهج البحث:

سيتبع الباحث في موضوعه هذا: المنهج الوصفي آخذاً من أدواته التحليل.

### خطة البحث:

يتناول البحث أبنية الفعل في أربع دمعات على رجال سادات، وقد اقتضت طبيعته أن يأتي على: توطئة فيها تعريف بالقصائد الأربع، والتعريف بكتابها، إضافة إلى لمحة عن مناسبة البحور العروضية لغرض الشاعر. تلا التمهيد التعريف بالفعل لغةً واصطلاحاً، ثم حديث عن بنى الفعل مجرداً ومزيداً ودلالات كل، والوقوف على البنية الصرفية للفعل من حيث التعدي واللزوم، ومن حيث البناء للمعلوم والبناء للمجهول، ثم تلت ذلك خاتمة ورد فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بمصادر البحث ومراجعته.

### توطئة:

#### مع القصائد الأربع:

القصائد مصدر الدراسة، هي: (أربع دمعات على رجال سادات) من تأليف الأديب السوداني الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب المجذوب عليه رحمة الله، وموضوعها: الرثاء

لأربع رجالٍ كان لهم المعزَّة الكبيرة في نفس الشاعر، فالأولى كانت في رثاء الشيخ محمد مجذوب بن محمد بن أحمد بن جلال الدين بن عبد الله النُّقَر ابن أحمد المجذوب، وكان -كما وُصف في القصيدة- من كبار العلماء، فقد برز في علم الحديث وعلم المذاهب، وقد أجادَ حواشيتها، ومختصراتها، وكذلك علم النحو والحساب، وغيرها، وكان مرجعاً للطلاب، ولا يبخل بما آتاه الله من علم.<sup>٢</sup>

القصيدة المرثية بها الشيخ هي من البحر البسيط، يقول في مطلعها:<sup>٣</sup>

نَعُواْ إِلَيْكَ جَلالاً شَيْخاً القمرا لَمثله جالَ دَمْعُ العَيْنِ فأنحدرا

وقد جاءت القصيدة في واحدٍ وثلاثين بيتاً.

أمَّا القصيدةُ الثانية، فكانت رثاءً للواءٍ عُمَر الحاج موسى، الذي امتاز بالحياء واحترام النَّاسِ صغيرهم قبل كبيرهم،<sup>٤</sup> وقد ضُبِطت القصيدة على البحر الوافر، مطلع القصيدة:

سَلامُ اللهِ يا عَمْرُ بن موسى على الخرطوم ثم على ثراكا

وقد جاءت القصيدة في عشرة أبيات.

وثالثة المرثيات كانت في رثاء المرحوم البروفيسور مندور المهدي الذي امتاز بقوة الشخصية وإبداء الرأي وكان لا يخشى في الحق لومة لائم، وقد جاءت القصيدة على بحر الطويل، وكانت في عشرين بيتاً، يقول في مطلعها:<sup>٥</sup>

نَعُوا لِي مندوراً فأطرقتُ ساعةً حزيناً وكان الموتُ حتماً مؤجلاً

أمَّا رابعة هذه المرثيات، فهي أساسها ذلك بأنَّها جاءت في سبعة وستين بيتاً، من البحر الطويل، وذكر فيها الشاعر تاريخ وفاة المرثي، وهو الشاعر السوداني محمد المهدي مجذوب توفِّي في ٢/٣/١٩٨٢ م<sup>٦</sup>، وقد أفاض -المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب-

٢- عبد الله الطيب المجذوب، أربع دمعات على رجال سادات، الدار السودانية للكتب، د. ت، ص ٢.

٣- أربع دمعات، ص ٢.

٤- رُسمت- في القصيدة- بغير ألف التفريق التي تكتب بعد واو الجماعة المتصلة بالفاعل

٥- اللواء رتبة عسكرية في الجيش السوداني والشرطة.

٦- أربع دمعات، ص ٢.

٧- أربع دمعات، ص ٥. أطرقت ساعة: أطرق رأسه، أي أحناه وخفص عينيهِ يَنْظُرُ إلى الأرض ساكناً.

٨- أربع دمعات، ص ٦.

من الصفات والمواقف مع المرثي، كيف لا؟ وهو رفيقه، يقول فيها:<sup>٩</sup>  
وكان رفيقُ العَمْرِ من زمن الصِّبا إلى أن أتى عصر المشيب يحينُ

هذه توطئة موجزة عن هذه الدمعات، وقد رأيتُ أن أبحثَ فيها عن قضية لغوية، وبعد قراءتي لها وجدتُ للفعل وتعددُ أبنيته حضوراً كبيراً، فكانَ السبب في دراسته، سائلاً الله التوفيقَ والسداد.

### من هو عبد الله الطيب؟

هو عبد الله الطيب المجذوب، ولد بقرية التميرا بغرب الدامر في ٢٥ رمضان ١٣٣٩ هـ - الموافق ٢ يونيو عام ١٩٢١ م، وتوفي - رحمة الله عليه- في ١٩ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٠٣ م، والدته عائشة جلال الدين وهو ابن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب.<sup>١٠</sup>

تعلَّم بمَدارس كسلا والدامر وبربر وكلية غردون التذكارية بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندنبكليه التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية. نال الدكتوراه من جامعة لندن (SOAS) سنة ١٩٥٠ م. عمل بالتدريس بأمران الأهلية وكلية غردون وبخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية وجامعة الخرطوم وغيرها. تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (١٩٦١ - ١٩٧٤) كان مديراً لجامعة الخرطوم (١٩٧٥ - ١٩٧٤، وهو) أول مدير لجامعة جوبا (١٩٧٥ - ١٩٧٦). أسس كلية بايرو بكانو «نيجيريا»، وهي الآن جامعة مكتملة. حصل البروفيسر "عبد الله الطيب" على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ٢٠٠٠ م.<sup>١١</sup>  
فَسَّرَ القرآن الكريم مع تلاوة المقرئ الشيخ صديق أحمد حمدون، وهو مُسجِّل بالإذاعة السودانية (مع الشيخ صديق - من ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٦٩ م).

من دواوينه: أصداء النيل ١٩٥٧ م، واللواء الظافر ١٩٦٨ م، وسقط الزند ١٩٧٦ م، وأغاني الأصيل ١٩٧٦ م، وأربع دمعات على رجال سادات ١٩٧٨ م، وبنات رامة. من مسرحياته الشعرية: زواج السمر ١٩٥٨، وقيام الساعة ١٩٥٩ م.  
ومن مؤلفاته: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها في خمس مجلدات، والأحاجي السودانية، ومن نافذة القطار، ومن حقبية الذكريات، وغيرها.<sup>١٢</sup>

٩- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١٠- ندوة محنة المثقفين العرب، الدوحة، قطر، نادي الجسرة الرياضي، ١٩٩١ م، بتصرف.

١١ - يُنظر، مقدمة ديوان أصداء النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ٥. ١٩٩٢ م، وويكيبيديا الموسوعة الحرة.

١٢ - يُنظر، عبد الله الطيب المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، دار جامعة الخرطوم للنشر، ج ٣/١٨٢، وويكيبيديا الموسوعة الحرة، وعبد الرحيم حسن حمزة، ما بعد الرحيل الأخضر عبد الله الطيب، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم، الخرطوم، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٧.

### مناسبة البحور العروضية لغرض الشاعر:

نَظَمَ الشَّاعِرُ الدَّمَعَاتِ الأَرْبَعِ - كَمَا تَقَدَّمَ - عَلَى ثَلَاثَةِ أبحر، هِيَ الطَّوِيلُ، وَالبَسِيطُ، وَالوَافِرُ، فَالطَّوِيلُ وَالبَسِيطُ مِنْ دَائِرَةِ وَاحِدَةٍ هِيَ «المَخْتَلَفُ»، وَتَأْتِي مَخْتَلِفَةُ التَّفَاعِيلِ، وَمِفْتَاحُهَا الَّذِي تُدْرَسُ بِهِ هُوَ الطَّوِيلُ الَّذِي تَأْتِي تَفْعِيلَاتُهُ عَلَى: «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ»، وَسُمِّيَتْ بِالمَخْتَلِفَةِ لِأَنَّهَا تَأْتِي مَخْتَلِفَةُ التَّفَاعِيلِ بَيْنَ الخَمَاسِيَّةِ، مِثْلَ «فَعُولُنْ»، وَالسَّبْعِيَّةِ، مِثْلَ «مَفَاعِيلُنْ»<sup>١٢</sup>، وَالطَّوِيلُ وَالبَسِيطُ أَطْوَلَا بِحُورِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ وَأَعْظَمَهُمَا أَبْهَةٌ وَجَلَالَةٌ، وَإِلَيْهِمَا يَعْتَمِدُ أَصْحَابُ الرِّصَانَةِ<sup>١٣</sup>، أَمَّا الوَافِرُ فَيَأْتِي مَعَ بَحْرِ آخِرٍ يُسَمَّى «البَحْرِ الكَامِلِ» فِي دَائِرَةِ أُخْرَى هِيَ دَائِرَةُ المَوْثَلَفِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاتِّتِلَافِ أَجْزَائِهَا وَتَمَاتِلِهَا لِأَنَّ بَحْرِيهَا مَرَكِبَانِ مِنْ أَجْزَاءِ سَبْعِيَّةٍ<sup>١٤</sup>، وَتَفَاعِيلُ هَذَا البَحْرِ الَّتِي يَأْتِي عَلَيْهَا، هِيَ: مَفَاعِلْتُنْ مَفَاعِلْتُنْ مَفَاعِلْتُنْ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الشَّعْرِ لَمْ يَأْتِ إِلَّا مَقْطُوفًا، وَهِيَ عِلَّةٌ بِالتَّقْصِ يُعْنَى بِهَا: إِسْقَاطُ آخِرِ سَبَبِ خَفِيفٍ، وَإِسْكَانُ مَا قَبْلَهُ، فَتَكُونُ: «مَفَاعِلْتُنْ // ٠ // ٠ // ٠ // ٠»، إِلَى فَعُولُنْ // ٠ // ٠ // ٠»، وَالسَّبَبُ الخَفِيفُ، هُوَ مَا تَكُونُ مِنْ حَرَكَةِ وَسْكَونِ «٠»<sup>١٥</sup>، وَهَذَا البَحْرِ أَكْثَرَ مَا تَجِدُهُ فِي نَظْمِ الشُّعْرَاءِ تَجِدُهُ ذَا أَسَالِيبٍ تَغْلِبُ عَلَيْهَا الخُطَابَةُ، وَأَحْسَنُ مَا يَصْلُحُ فِي الاسْتِعْطَافِ وَالبِكَايَاتِ<sup>١٦</sup>.

### الفعل لغةً واصطلاحاً:

الفِعْلُ فِي اللُّغَةِ كِنَايَةٌ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ مُتَعَدٍّ أَوْ غَيْرِ مُتَعَدٍّ، فَعَلَّ يَفْعُلُ، فَعَلًّا، وَفَعَلًّا فَالاسْمُ بِالكَسْرِ وَالمَصْدَرُ مَفْتُوحٌ «الفِعْلُ»، وَفِي القُرْآنِ: «وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ»، قُرِئَتْ بِفَتْحِ الفَاءِ وَسْكَونِ العَيْنِ، «فَعَلَّ»، وَالجَمْعُ الفَعَالُ، مِثْلُ: قَدَحٌ قَدَاحٌ، وَقِيلَ فَعَلَهُ يَفْعَلُهُ فَعَلًّا: مَصْدَرٌ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ إِلَّا سَحَرَهُ سَحْرًا، وَالفَعَالُ: الكَرَمُ، وَهُوَ مَصْدَرٌ - أَيْضًا - مِثْلُ: ذَهَبَ ذَهَابًا، وَالفِعْلُ العَمَلُ<sup>١٧</sup>.

١٢ - يُنْظَرُ، أَبُو الفَتْحِ عِثْمَانُ بْنُ جَنِي، كِتَابُ العُرُوضِ، تَحْقِيقٌ وَتَقْدِيمٌ د. أَحْمَدُ فَوْزِي الهَيْبِ، دَارُ القَلَمِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الكُوَيْتِ، د. ت. ص ٣٥.

١٤ - المَرشِدُ إِلَى فَهْمِ أشْعَارِ العَرَبِ وَصِنَاعَتِهَا، ٤٤٣/١.

١٥ - نُورُ الدِّينِ السَّالِمِي العِمَانِي، المَنْهَلُ الصَّافِي عَلَى فَاتِحِ العُرُوضِ وَالقَوَافِي، وَزَارَةُ التَّرَاثِ القَوْمِي وَالثَّقَافَةِ، سُلْطَنَةِ عِمَانِ، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ٩٦.

١٦ - يُنْظَرُ، المَرشِدُ إِلَى فَهْمِ أشْعَارِ العَرَبِ، ٤٠٤/١.

١٧ - المَرجِعُ السَّابِقُ، ٤٠٧/١. وَ يُنْظَرُ، عَمْرُ إِدْرِيسِ عَبْدِ المَلْبُوبِ، حَازِمُ القُرطَاجِنِيِّ حَيَاتِهِ وَمَنْهَجُهُ البَلَاغِي، دَارُ الجِنَارِيَّةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ، ٢٠٠٩م، ص ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

١٨ - سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ الآيَةُ «٧٣».

١٩ - الرَّازِي، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ القَادِرِ الرَّازِيِّ، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ، مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ خَاطِرٍ، بِيْرُوتَ، طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ ١٩٩٥م ١٥٤١٥، ص ٢١٢، مَادَةُ «فَعَلٌ» «ابن منظور، لسان العرب/٦/٦٠٤، مَادَةُ «فَعَلٌ»، وَالمَعْجَمُ الوَسِيطُ، مَادَةُ «فَعَلٌ».

## الفعل اصطلاحاً :

عَرَّفَ سيبويه الفعل بقوله: «وأما الفعلُ فأمثلةٌ أُخِذَتْ من لفظ أحداث الأسماء، وَبُنِيَتْ لِمَا مَضَى، وَلِمَا يَكُون، وَلَمْ يَقَعْ، وما هو كائنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ، فأما بناءٌ ما مضى، فَذَهَبَ وَسَمِعَ وَمَكَتَ وَحُمِدَ، وأما بناء ما لم يَقَعْ، فقولك أمرًا: اذْهَبْ واقتلِ واضربِ، ومُخْبِرًا: يَقْتُلْ وَيَذْهَبْ وَيَضْرِبُ وَيَقْتُلُ، وكذلك بناء ما لم يَنْقَطِعْ وهو كائنٌ»<sup>٢٠</sup>، ويظهر من تعريف سيبويه للفعل أنه محصور في دلالاته على الماضي والمضارعة والأمر «الطلب» وهذا المعنى هو تقسيم الفعل من حيث الزمن، وهذا التقسيم هو الوظيفة الصرفية التي يَخْتَصُّ بها الفعل، إذ الفعل كما عرفه الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات: هو ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وقيل: الفعل كَوْنُ الشيء مؤثراً في غيره كالقاطع ما دام قاطعاً»<sup>٢١</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن دلالة الفعل تكمن في الزمن والحدث معاً، ومعظم النحويين الذين جاؤوا بعد سيبويه يربطون تعريفاتهم للفعل بالدلالة على الزمان والحدث، «فالحدث هو المعنى الظاهر في الفعل، أو بمعنى آخر هو جزء مهم في الفعل»<sup>٢٢</sup>.

والفعل ما «دلَّ على حَدَثٍ وزمن»<sup>٢٣</sup>، وهو ثلاثة أنواع، «ماضٍ ومضارع وأمر»، وهو بالنسبة لفاعله مبني للمعلوم، ومبني للمجهول، وبالنسبة لعمله: «لازم ومتعد»، ومن حيث أبنيته: «مجرد ومزيد»، وهو أصل المشتقات عند الكوفيين، ومشتق من المصدر عند البصريين<sup>٢٤</sup>.

والبنيةُ الصَّرفِيَّةُ للفعل -هنا- سندرُسُها من حيث هي:

٢٠ - سيبويه، الكتاب، ١/١٢.

٢١ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيحة،

القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٤١.

٢٢ - أحمد عفيفي، الحدث النحوي في الجملة العربية، دراسة في المعنى، مكتبة الأنجلو المصرية بلا تاريخ ص ١٧.

٢٣ - أبنية الصَّرفِ في كتاب سيبويه، ص ٣٧٧.

٢٤ - اختلف العلماء في الفعل والمصدر أيهما الأصل وأيها الفرع؟ فذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل، وهو فرعٌ عليه، ... وقال البصريون: إن الفعل مشتق من المصدر، وذلك لدلالة المصدر على زمنٍ مطلق، بينما يدلُّ الفعل على زمانٍ مُعَيَّن، والذي قال بِحُجَّةِ البصريين، هو: ابن يعيش في شرحه «مفصل الزمخشري، يقول: «وإنما سُمِّيَ مصدرًا لأنَّ الأفعال صدرت منه: أي أُخِذَتْ منه، كـمصدر الإبل للمكان الذي تردُّه. يُنظر في هذا الخلاف: الأنباري (أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعيد الأنباري، «الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق ودراسة: جودة مبروك محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢٠٠٢، مسألة رقم ٢٨»، ١/١٩٠، ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين بن يعيش الموصل، شرح المفصل، تقديم، إميل بدیع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ٤٣/٦، والزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت ٢٤٠هـ»، الإيضاح في علل النَّحو، تحقيق مازن مبارك، دار النَّفائس، بيروت-لبنان، ط ٢٠٠٢، ١٩٧٣م، ص ٦٢-٦٥.

- مجردة ومزيدة.

- لازمة ومتعدية.

- مبنية للمجهول ومبنية للمعلوم.

## أولاً- الفعل المجرد والمزيد:

### ١- بنية الفعل المجرد:

**الفعل المجرد،** هو: «ما كانت حروفه كلها أصلية لا تسقط في أحد التصاريف إلا لعلّة تصريفية»<sup>٢٥</sup> والفعل المجرد يأتي ثلاثياً ورباعياً، ولم يوجد فعل خماسي مجرد، كما لم يقل بناؤه عن ثلاثة أحرف؛ لأن الأصل في كل كلمة مكتملة أن تكون على ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف يُوقف عليه، وحرف يكون واسطة بينهما، وإنما احتاجوا للحرف الأوسط؛ لأن المبدوء به يجب أن يكون متحركاً، والموقوف عليه يكون ساكناً، فاحتاجوا للراحة بين الحرفين المتضادين، ولم يزد الفعل المجرد على أربعة؛ لأن الضمائر تتصل به فيصير معها كالكلمة الواحدة.<sup>٢٦</sup> والمعنى أن أقل كلمة تكون في التصريف تأتي على ثلاثة أحرف، يقول ابن مالك:<sup>٢٧</sup>

حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِيٌّ وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفِ حَرِيٍّ

وَلَيْسَ أَدْنَى مِنْ ثَلَاثِيٍّ يَرَى قَابِلَ تَصْرِيفِ سِوَى مَا غَيْرَا

والعرب تكره الابتداء بالساكن كما تكره الوقوف على المتحرك، ومن هنا وجب الإتيان بالحرف الثاني الذي يقع وسطاً بينهما، فإن كان متحركاً توالت حركة المبتدأ به وحركة المحشو به، فوجب أن يليهما حرف ثالث ساكن - عند الوقف-؛ لأن توالي الحركات عند العرب يؤلّد الملل»<sup>٢٨</sup>.

والأصل في الفعل من حيث الزمن أن يكون ماضياً، وإذا أعنا النظر في بنية الفعل الثلاثي وجدنا لها ثلاث أبنية، ذلك بأن الفاء تكون متحركة بالفتح دائماً، وأن لامها تتحرك بالفتح دائماً، وتبقى العين، التي تتحرك بالفتح والكسر والضم، نحو: ضرب، وكرم، وعلم، وفرح، وبيان ذلك فيما يلي:<sup>٢٩</sup>

١- «فَعَلَ - يَفْعُلُ»، نحو: «نَصَرَ يَنْصُرُ».

٢٥ - محمد محيي الدين عبد الحميد، دروس في التصريف، ص ٥٥.

٢٦ - السيوطي، همع الهوامع، ٢٢٦٠.

٢٧ - ابن مالك، متن الألفية، مكتبة صيدا، بيروت، ص ٦٧.

٢٨ - دروس في التصريف، ص ٥٥.

٢٩ - يُنظر، الرضي الاسترابادي، شرح الشافية، ٦٧/١، و، ١١٤، و، ١١٨.

- ٢- «فَعَلَ - يَفْعَلُ»، نَحْوُ: «ضَرَبَ يَضْرِبُ».
- ٣- «فَعَلَ - يَفْعَلُ»، نَحْوُ: «فَتَحَ يَفْتَحُ».
- ٤- «فَعَلَ - يَفْعَلُ»، نَحْوُ: «عَلِمَ يَعْلَمُ».
- ٥- «فَعَلَ - يَفْعَلُ»، نَحْوُ: «حَسَبَ يَحْسَبُ».
- ٦- «فَعَلَ - يَفْعَلُ»، نَحْوُ: «كَرَّمَ يَكْرُمُ».

والباب الأخير - من هذه الأبواب الستة - يكون لازماً دائماً، أما الخمسة المتبقية، فيشترك فيها اللزوم والمتعدي وسيأتي الحديث عن ذلك «إن شاء الله».

وإذا عُرِفَ أنَّ الماضي «فَعَلَ»، ولم يُعَرَفَ المستقبل «المضارع»، فالوجه أن يكون بالكسر؛ لأنه أكثر.<sup>٢٠</sup>، والأبنية السابقة الذكر أربع عند (سيبويه)، هي: «فَعَلَ يَفْعَلُ»، وَفَعَلَ يَفْعُلُ، وَفَعَلَ يَفْعُلُ»<sup>٢١</sup>. أما غيرُه من النحاة، فعدّها ستة كما تقدّم، وهو المُستعمل عند العرب. هذا، والفعل المجرد، يُسَمُّ إلى: «جامد، ومُتَصَرِّفٌ». أمّا الجامد، فلا يدخله التصريف، وأمّا المُتَصَرِّفُ، فعلى نوعين:

#### ١- ناقص التصريف؛ وهو كالجامد في عدم التصريف فيه»، وهو: «على نوعين<sup>٢٢</sup>:

أ- ما يأتي منه الماضي والمضارع، ولا يأتي منه الأمر، نحوما زال، وما برح، وما فتى، يقول الشاعر من البسيط:<sup>٢٣</sup>

لَمَّا رَأَى الرَّبْعَ قَدْ كَادَتْ مَعَارِفُهُ تَعْفُو جِلاها ومنها جَدُّ الأثرَا

ب- ما يأتي منه المضارع والأمر، نحو: يَذُرُّ، وَيَدْعُ»، ولم يُسْتَعْمَلِ الماضي منهما.<sup>٢٤</sup> وقالوا: «استغني عن الماضي منهما بالفعل «ترك»، فلا يُقال: «ودعه، وإنما تركه»<sup>٢٥</sup>، وقد جاء هذا الفعل على ماضيه «ودع» في الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):<sup>٢٦</sup> «يا عائشة إن شرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يوم القيامة: من ودَّعه النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»، ولم يرد هذا الفعل في الدمعات، وما جاء به من ناقص التصريف كان من الماضي فقط.

٢٠ - شرح المفصل، ١/١٥٢، وشرح الشافية، ١/١١٨، والمستقصى في علم التصريف، ص ٢٧٦.

٢١ - الكتاب، ٢/٢١٠ «هارون».

٢٢ - يُنظر: المستقصى في علم التصريف، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥.

٢٣ - الدمعات، ص ٣، الربع: اسم مكان معارف: أعلام. تعفو: تحو: جلاها: جمع جلهة، وهي الصخرة العظيمة، يُنظر، مختار الصحاح، والمعجم الوسيط.

٢٤ - الكتاب، ٢/٢٥٦ «بولاق» / والخصائص، ١/٩٩.

٢٥ - السيوطي، المزهرة، ٢/٤٥.

٢٦ - الإمام مسلم، صحيح مسلم، ٤/٢٠٠٢.

٢- **تام التَّصْرُفُ:** «وهو الفعل الذي يَجِيءُ منه المَاضِي والمضارع والأمر، وهو كثير»<sup>٣٧</sup>.

والفعل تام التَّصْرُفُ يأتي منه الفعل الصَّحِيح، ويأتي منه الفعل المَعْتَل، وبيان ذلك، فيما يلي:

### الفعل الصَّحِيح:

«هو ما خَلَّتْ أصوله من أحرفِ العِلَّةِ، وهو على ثلاثة أنواع»<sup>٣٨</sup>:

أ- **السَّالِم:** وهو ما سَلِمَتْ أصوله من أحرفِ العِلَّةِ، والهمزِ، والتَّضْعِيفِ، نحو: «نَصَرَ، وَضَرَ، وَكَرَّمَ».

ب- **المَهْمُوز:** وهو ما كانَ أحدُ أصوله همزة، إما في فائه، نحو: «أَخَذَ، أو في عينه، نحو: «سَأَلَ، أو في لامه، نحو: «قَرَأَ»، وقد يكون المَهْمُوزُ مَعْتَلًا، نحو: «أتى ورأى»، ولكنه في هذه الحالة يُصَنَّفُ مع المَعْتَلِ.

### ج- المَضْعَف:

**ومعنى التَّضْعِيفِ:** «أن يَجْتَمِعَ في الكَلِمَةِ مثلاً من الأصول مُتَجَاوِرَانِ، ولا يَخْلُو تَجَاوُرُهُمَا من أن يكون بين الفاء والعين، أو بين العين واللام، وَيُسَمَّوْنَهُ المَضْعَفُ التَّلَاثِيَّ الأَصْم لشدته»<sup>٣٩</sup>، ولم يأتِ المَضْعَفُ من الأفعال بين الفاء والعين في كلام العرب، وجاء قليلاً في الأسماء، نحو: «دَدَنٌ، وَكَوَكَبٌ من: «كَكَبَ، وأوَّلٌ من: «وَوَّلَ، أمَّا بين العين واللام، فهو كثير، نحو: «عَدَّ، وَشَدَّ، وَرَدَّ»<sup>٤٠</sup>، وهناك مُضْعَفُ الرِّبَاعِيِّ: وهو: «ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس، نحو: «زَلَزَلَ، وَعَسَّعَسَ وَصَرَصَرَ»<sup>٤١</sup>، ومن هذا قوله تعالى: «<sup>٤٢</sup> (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ)»، وما جاء من هذا الفعل، قوله من البسيط: «<sup>٤٣</sup>

أم لا نَكْفُفُ عن طول البكاء له لمثله سال دمع العين وانهمرا

٣٧ - محمد عبد الخالق عزيمة، المغني في تصريف الأفعال، ص ١٨٨.

٣٨ - يُنظر، شرح الشافية، ٢٢/١، والمستقصى في علم التصريف، ص ١١١.

٣٩ - يُنظر: شرح الشافية، ٢٤/١، وشرح التصريف الملوكي، ص ٤٥، وشرح ابن عقيل، مج ٢/ ٢١٧/٢، والمستقصى في علم التصريف، ص ١١٢.

٤٠ - الدَّدَنُ اللَّهُو واللَّعِبُ.

٤١ - يُنظر: شرح الشافية، ٣٤/١، والمستقصى في علم التصريف، ص ١١٢.

٤٢ - يُنظر، شرح الشافية، ٢٤/١، وشذا العرف في فن الصرف، ص ١٧. صرصر: إذا صاح صياحاً شديداً، وعسس الليل: إذا أقبل ظلامه أو أدير المعجم الوسيط، صرصر، وعسس.

٤٣ - سورة التكوير، الآية ١٧.

٤٤ - الدمعات، ص 3. كفف دمعته: مسحه مرة بعد مرة، المعجم الوسيط (كفف)

## الفعل المعتل:

تعريفه: «هو ما كان فيه حرف علةٌ وحروف العلة ثلاثة: «الألف والواو، والياء»<sup>٤٥</sup>، وُسِّمَتْ أحرف العلة بهذا الاسم؛ لأنها لا تَسْلَمُ، ولا تَصِحُّ، أي لا تَبْقَى على حالها في كثيرٍ من المواضع، بل تتغيَّر بالقلبِ والإسكانِ والحذفِ»<sup>٤٦</sup>.

## أقسام المعتل:

ينقسم المعتل إلى مثال، وأجوف، وناقص، ولفيف.

١- **المثال:** هو ما اعتلت فاؤه، نحو: «وَعَدَ وَيَسَّرَ»، وُسِّمِيَ بذلك؛ لأنه يُمَاثل الصحيح في عدم إعلال ماضيه.

٢- **والأجوف:** هو ما اعتلت عينه، نحو: «قال وباع». وُسِّمِيَ بذلك؛ لخلو جوفه؛ أي وسطه من الحرف الصحيح، وَيُسَمَّى أيضاً: ذا الثلاثة؛ لأنه عند إسناده لتاء الفاعل، يصير معها على ثلاثة أحرف، نحو: «قُلْتُ وَبِعْتُ»، في: «قال وباع».

٣- **الناقص:** هو ما اعتلت لامه، نحو: «غَزَا، وَرَمَى». وُسِّمِيَ بذلك لتقصانه، بحذف آخره في بعض التصاريف، نحو: «غَزَتْ وَرَمَت». وَيُسَمَّى أيضاً: ذا الأربعة؛ لأنه عند إسناده لتاء الفاعل يصير معها على أربعة أحرف، نحو: «غَزَرْتُ وَرَمَيْتُ».

## ٤- اللفيف، وهو قسمان:

أ- **مفروق:** وهو: ما اعتلت فاؤه ولامه، نحو: «وفى ووقى». وُسِّمِيَ بذلك لكون الحرف الصحيح فارقاً بين حرفي العلة.

ب- **مقرون:** وهو: ما اعتلت عينه ولامه، نحو: «طَوَى وَرَوَى». وُسِّمِيَ بذلك لاقتران حرفي العلة ببعضهما ببعض.

وبعد هذا الشرح المختصر لبنية الفعل المجرد أذكرُ في النقاط التالية بنى الأفعال الثلاثية المجردة والمزيدة، والمعاني التي تأتي عليها هذه البنى، وأحاول تطبيق ذلك على القوائد الأربع.

## أولاً- الفعل المجرد الثلاثي:

١- **بنية «فعل»:** بفتح الفاء والعين:

هذه البنية من أكثر البنى وروداً في كلام العرب، وليس شيء أكثر من كلامهم من «فعل»<sup>٤٨</sup>،

٤٥ - التصريف الملوكي، ص ٤٨.

٤٦ - شرح الشافية، ١/٣٣.

٤٧ - يُنظَرُ لهذه الأقسام في: شرح الشافية، ١/٣٤، والتصريف الملوكي، ص ٤٨، والسيوطي، المُرْهَر ١٢/٣٩، وشذا

العرف في فنِّ الصِّرف، ص ١٦، ١٧، والمستقصى في علم التصريف، ص ١١٤، ١١٧.

٤٨ - الكتاب، ٤/٣٧ «هارون».

وَأَسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يُصْعَبُ حَصْرُهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي: «الْجَمْعُ، وَالغَلْبَةُ: أَي غَلْبَةُ الْمَقَابِلِ، نَحْوُ كَارَمَنِي فَكَرَمَتِهِ. أَوْ الْغَلْبَةُ مَطْلَقًا نَحْوُ: قَهَرَ، قَسَرَ، وَالنِّيَابَةُ عَنِ فَعَلٍ فِي الْمَضَاعِفِ، نَحْوُ: جَلَّتْ فَأَنْتَ جَلِيلٌ، وَفِي الْيَائِي الْعَيْنِ نَحْوُ: طَابَ فَهُوَ طَيِّبٌ. وَالْأَصْلُ كَوْنُهُ عَلَى فَعُلٍ، وَالْجَمْعُ، نَحْوُ: «حَشَرَ، وَحَشَدٌ، وَمِنْهُ مَا دَلَّ عَلَى وَصْلِ: مَرَجٌ، مَرَجٌ، وَالْإِعْطَاءُ، نَحْوُ: «مَنْحٌ، وَالِاسْتِقْرَارُ، نَحْوُ: سَكَنَ، وَقَطَنَ، وَالتَّفْرِيقُ، نَحْوُ: فَصَلَ، وَقَسَمَ. وَمِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى قَطْعٍ: قَسَمَ، كَسَرَ، قَصَفَ، أَوْ خَرَقَ: نَقَبَ، وَالتَّحْوِيلُ، نَحْوُ: رَحَلَ.»<sup>٤٩</sup>

وهذه البنية يأتي منها - كما تقدم - المضارع على زينة «يَفْعَلُ، وَيَفْعَلُ، وَيَفْعَلُ».

**أ- ما جاء على «فعل يفعل»:** يفتح العين في الماضي والمضارع

وهذا البناء خاص بما كان لامه أو عينه أحد حروف الحلق الستة، وهي: «الهاء، والهمزة، والعين، والغين، والحاء، والخاء»<sup>٥٠</sup>، ومما جاء من هذه البنية على المعاني التي قال بها الصرفيون، ما يلي:

دلَّ بها على الجمع، في قول الشاعر من الطويل:<sup>٥١</sup>

كما كانت الأرحامُ تجمعُ بيننا وإرثَ مروءاتٍ سلفنَ ثمينُ

ودلَّ بها على التحوُّل من مكان إلى آخر في قوله من الطويل:<sup>٥٢</sup>

وتضعفُ أسبابُ البقاءِ وتذهبُ الغضارةُ منَّا والبهاءُ بيبينُ

ودلَّ بها على الإعطاء في قوله من البسيط:<sup>٥٣</sup>

عهدي به مشرف الإقبال **يشرح** آيات الثريا ودراً مثله نثراً

ودلَّ بها على الإخبار، وهو معنى لم يقل به الصرفيون، وذلك في قوله من الطويل:<sup>٥٤</sup>

**نحو!** إليّ مندوراً فأطرقت ساعةً حزيناً وكان الموتُ حتماً مؤجلاً

وقال صاحبُ شرح الشافية: «وجاء في هذا الباب أفعالٌ لم يتحقق فيها الشرط المذكور، ومن ذلك: «أبى يَأبى»<sup>٥٥</sup>، ولم ترد هذه البنية في القصائد، وقد جاءت القرآن الكريم في قوله

٤٩ - يُنظر، السيوطي، همع الهوامع، ٢٠/٦، ٢١.

٥٠ - المصدر السابق، ١٠١/٤.

٥١ - الدمعات، ص ٧.

٥٢ - الدمعات، ص ٦.

٥٣ - الديوان، ص ٢٠٢.

٥٤ - الدمعات، ص ٥.

٥٥ - شرح الشافية، ١٢٣/١.

تعالى<sup>٥٦</sup>: (وَأَذِّقْنَا لِمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

ب- ما جاء على «فَعَلَ يَفْعُلُ»: بفتح عين الماضي، وضمها في المضارع. وتأتي هذه البنية على الصَّحِيحِ السَّالِمِ، والصَّحِيحِ الْمُضَعَّفِ، والأجوف، والناقص الواوي<sup>٥٧</sup>، ومن معانيها التي جاءت عليها:

معنى الاعتداء، في قوله من الطويل<sup>٥٨</sup>:

قَدَّ جَاءَ هَذَا الْمَوْتُ فَبِكَ يَرُوعُنَا بِكَارِثَةِ مَنَّا الْجِبَالِ عَهُونُ  
من الفعل «رَاعِيْرُوعُ» الأجوف.

ومعنى المحافظة والأمانة، في قوله من الطويل<sup>٥٩</sup>:

أَخُ كَانَ يِرْعَانِي وَكَانَ يُعِينُ وَيَحْفَظُ حَقِّي عِنْدَهُ وَيَصُونُ  
من الفعل «صَانِيصُونُ» الأجوف.

ومعنى اليُسْر في قوله من الطويل<sup>٦٠</sup>:

بِكَيْتِكَ يَا مَهْدِيٌّ فَقَدْتُكَ فَاجِعٌ وَرُزُّوكَ لَا يُلْفِي عَلَيَّ يَهُونُ  
من «هَانَ يَهُونًا لأجوف».

ومعنى القول والتصويت: وَنَقَصْدُ بِهِ كُلِّ فَعْلٍ دَلَّ عَلَى صَوْتٍ، نَحْوُ: «صَرَخَ، وَهَتَفَ، أَوْ مَا دَلَّ عَلَى قَوْلٍ، نَحْوُ: «نَطَقَ، وَوَعَّظَ، وَقَالَ»، وَمِمَّا جَاءَ بِهِ بِمَعْنَى الْقَوْلِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مِنَ الطُّوِيلِ أَيْضًا: <sup>٦١</sup>

يَقُولُ مَشَتْ بِالْأَمْسِ مِنْ خَلْفِ نَعْشِهِ أَلْ جَمُوعٌ وَعَادُوا مِنْهُ وَهُوَ دَفِينٌ  
من «قال يَقُولُ» الأجوف، وَأَصْلُ عَيْنِ «قال» الواو، أَصْلُهُ: «قَوْلٌ» تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ وَفُتِحَ مَا قَبْلَهَا فَقَلْبَتْ أَلْفًا<sup>٦٢</sup>، مَا جَاءَ عَلَى «فَعَلَ يَفْعُلُ»: بفتح عين الماضي، وكسرها في المضارع.

من الصَّرْفِيِّينَ مِنْ جَعَلَ هَذَا الْبِنَاءُ هُوَ الْأَصْلُ فِي الثَّلَاثِي، وَمَرَجِعُهُمْ فِي ذَلِكَ «مُقَابَرَةُ الْفَتْحَةِ الْكَسْرَةَ وَاجْتِمَاعَهُمَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ»<sup>٦٣</sup>.

٥٦ - سورة البقرة، الآية ٣٤.

٥٧ - يُنْظَرُ، ابْنَعَصْفُورِ الْإِشْبِيلِيِّ، الْمُتَمَعِّعُ فِي التَّصْرِيفِ، ١/١٧٤، وَأَبْنِيَةُ الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَبِيوِيهِ، ص ٢٨١.

٥٨ - الدِّمَعَاتُ، ص ٨. عَهُونٌ: جَمْعُ عَهْنٍ، وَهُوَ الصُّوْفُ الْمَصْبُوغُ، فَكَأَنَّ الْجِبَالَ الْعَالِيَةَ مِنْ هَذَا الْخَبْرِ الْمَفْجَعِ كَالصُّوْفِ.

وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة القارعة الآية ٥، «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»

٥٩ - الدِّمَعَاتُ ص ٦.

٦٠ - الدِّمَعَاتُ، ص ٧.

٦١ - الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٦٢ - يُنْظَرُ، الْمُتَمَعِّعُ فِي التَّصْرِيفِ، ٢/١٢٠.

٦٣ - ابْنُ جَنِّي، الْمَنْصَفُ، ص ١٨٠.

ومن المعاني التي جاء بها الشاعر - عليه رحمة الله - من هذا الباب:

معنى الهدوء والثبات والحسن، نَجِدُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مِنَ الطَّوِيلِ:<sup>٦٤</sup>

نَعَتَ شَاعِرَ الْعُرْبِ الصَّحَافَةَ وَالَّذِي مَجَالَسَ أَهْلَ الْفَضْلِ كَانَ **يَزِينُ**

ومعنى السُّقُوط ونحوه، في قوله من الطَّوِيلِ:<sup>٦٥</sup>

نَعَتَهُ الصَّحِيفَاتِ اللَّوَاتِي سَوَّادَهَا غَرَابٌ **هُوَ** فَوْقَ السُّطُورِ لِعَيْنِ

من «هُوَ يَهْوِي» اللفيف المَقْرُون. وهذا المعنى لَمْ يَقُلْ بِهِ الصَّرْفِيُّونَ.

وَدَلَّ بِهِ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَالذِّكَاءِ، فِي قَوْلِهِ مِنَ الطَّوِيلِ:<sup>٦٦</sup>

جَنَيْنَا جَنَاةَ الْعِلْمِ عِنْدَ مَشَايخِ **شَفْتِنَا** شَرُوحٌ مِنْهُمْ وَمَتُونٌ

مِنْ شَقَى يَشْفِي الناقص.

**٢- بنية «فعل»**: بِفَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ:

من المعاني التي تَدُلُّ عَلَيْهَا هَذِهِ الْبِنِيَّةُ **فَعْلٌ**

### ١- الدلالة على الألوان:

«أما الألوان، فإنها تُصَاغُ عَلَى «أفعل»، ويكون الفعل على «فعل يفعل». نحو: أَدِمَ يَأْدِمُ، وَشَهَبَ

يَشْهَبُ، وَهَبَيْتَهُبُ، وَكَهَبَ يَكْهَبُ، وَصَدَيْ يَصْدَأُ»<sup>٦٧</sup>.

**٢- الأدوية**: ذكر (سيبويه) في الكتاب «هذا باب ما جاء من الأدوية على مثال وجع يوجع

وجعاً، وهو وَجِيعٌ لِقَارِبِ الْمَعَانِي»، نحو: «مَرَضٌ يَمْرُضُ، سَقِمَ يَسْقَمُ وَقَالُوا: حَزِنَ حَزْنًا،

وهو حَزِينٌ، جَعَلُوهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَرَضِ؛ لِأَنَّهُ دَاءٌ»<sup>٦٨</sup>، ويدخل في ذلك أفعال الذُّعْرِ، «ما كان من

الذُّعْرِ والخوف على هذا المثال؛ لِأَنَّهُ دَاءٌ قَدْ وَصَلَ إِلَى فَوَادِهِ كَمَا وَصَلَ مَا ذَكَرْنَا إِلَى بَدَنِهِ،

وَذَلِكَ قَوْلُكَ: فَرَعْتُ فَرَعًا، وَهُوَ فَرَعٌ، وَفَرَقَ يَفْرُقُ فَرَقًا وَهُوَ فَرِيقٌ، وَوَجَلَّ يُوْجَلُّ وَجَلًّا، وَهُوَ

وَجِلٌّ، وَوَجِرَ وَجْرًا وَهُوَ وَجِرٌ»<sup>٦٩</sup>، وهناك أفعال منها تَدُلُّ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَضِدَهُمَا،

٦٤ - الدمعات، ص ٦.

٦٥ - الدمعات، ص ٦.

٦٦ - الدمعات، ص ٧.

٦٧ - الكتاب، ٢٥/٤ «هارون»، وأبو أوس إبراهيم الشَّمسَان، ويُنتظر، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها، «نسخة إلكترونية،

ص ٦، وما بعدها. شَهَبَ شَهَبًا، وَشُهْبَةً: خَالِطٌ بِيَاضِ شَعْرِهِ سَوَادٌ. وَكَهَبَ لُونُهُ: اسْوَدَّ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ: شَهَبٌ، وَكَهَبٌ»

٦٨ - المصدر السابق، ١٧/٤. «هارون»

٦٩ - السابق، ١٨/٤. «هارون»

نحو: «ظَمِيٌّ، وَعَطِشٌ، وَضَدَهَا: شَبِعَ، وَرَوَى، وَسَكَرَ، وَمَلِيَ»<sup>٧٠</sup>.  
وما جاء من مُضَارِعٍ لِهَذِهِ الْبَنِيَّةِ، هُوَ: «يَفْعَلُ، وَيَفْعَلُ».

**أ- ما جاء على:** «فَعَلَ يَفْعَلُ»، «يَكْسِرُ الْعَيْنَ فِي الْمَاضِي وَفَتْحَهَا فِي الْمَضَارِعِ»  
يأتي هذا الباب في الصَّحِيحِ وَالْمُعْتَلِ وَالْمُضَعَّفِ<sup>٧١</sup>، ومما جاء من معاني هذا الباب في  
الديوان، ما يلي:

معنى الخوف والذعر، في قوله من الطويل:<sup>٧٢</sup>

لقد **خَفِتَ** رَوَّيَايَ الَّتِي قَدْ رَأَيْتَهَا وَبَعْضَ الرُّؤْيَى تَأْوِيلُهُنَّ يَقِينٌ

وجاء به على معنى لم يذكرهُ الصَّرْفِيُّونَ، وهو المواجهة وشبهها، في قوله من الوافر:<sup>٧٣</sup>

وعندك حين **نَلَقَاكَ** ارتياح إيلينا إن تجهمنا سواكا

**ب- ما جاء على:** «فَعَلَ يَفْعَلُ»: «يَكْسِرُ الْعَيْنَ فِي الْمَاضِي وَالْمَضَارِعِ»

هذا الباب قليل في الصَّحِيحِ، وَالْمُعْتَلِ، وقد ذكر (سيبويه) أفعالاً مُحَدَّدةً، يَدُلُّ كُلُّ مِنْهَا  
على معنى مُنفردٍ، فَمِنَ الصَّحِيحِ: «حَسِبَ يَحْسِبُ، وَنَعِمَ يَنْعَمُ، وَمِنَ الْوَاوِيِّ: «وَمَقَّ يَمِقُّ»، وَوَرَمَ  
يَرُمُ، وَيَيْسُ يَيْبِسُ، وَيَيْسُ يَيْبَسُ»<sup>٧٤</sup>، «، وقد ذكر بعض الصَّرْفِيِّينَ أفعالاً أُخْرَى غير هذه  
الأفعال، منها: «وَلَغَّ يَلِغُ، وَوَهَلَ يَهْلُ، وَوَلَهَ يَلَهُ، وَقَدَرَ يَقْدِرُ»<sup>٧٥</sup>.

ولم يأت على هذه البنية شيء في الدمعات.

ولقطة الأفعال في هذا الباب نصل إلى أن باب «فَعَلَ يَفْعَلُ» هو الأصل، وأن هذا الباب فرع عليه.

**٣- بنية «فَعَلَ»: «بَفَتْحِ الْفَاءِ، وَضَمِّ الْعَيْنِ»**

ذكر (سيبويه) المعاني التي تدل عليها هذه البنية، في قوله: «أما ما كان حسناً أو قبيحاً، فإنه مما  
يبني فعله على «فَعَلَ يَفْعَلُ»، وذلك قولك: «قَبِحَ يَقْبِحُ، وَوَسَمَ يُوَسِّمُ، جَمَلٌ يَجْمَلُ، وَمَا كَانَ مِنَ الشَّدَّةِ  
وَالجَرَاءِ وَالضَّعْفِ وَالجَيْنِ، فإنه نحو من هذا نحو: ضَعُفٌ، وَشَجَعٌ، وَغَلَطٌ، وَسَهَّلٌ، وَضَعِبٌ»<sup>٧٦</sup>، أما ما  
جاء من مُضَارِعٍ لِهَذِهِ الْبَنِيَّةِ، فهو واحد فقط، وهو: «يَفْعَلُ»: بفتح الياء، وسكون الفاء، وضَمِّ الْعَيْنِ».

٧٠ - السابق، ٢١/٤، «هارون».

٧١ - أبنية الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَيْبَوِيهِ، ص ٢٨٤.

٧٢ - الدمعات، ص ٦.

٧٣ - الدمعات، ص ٤. تجهمنا سواك، أي لقينا بوجه عبوس وكريه، المعجم الوسيط: «تجهم».

٧٤ - الكتاب، ٢١٨/٢، ٢٥٢، ٢١٩، «بولاق»، ٤/٥٣، ٥٥، «هارون».

٧٥ - ابن القطاع الصقلي، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق ودراسة، أحمد محمد عبد الدائم، دار الكتب

المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٢٨، ٢٣٠، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٢٨٧.

٧٦ - الكتاب، ٢٨/٤، ٢١.

وما جاء من هذه البنية، جاء على معنى الصَّلاح والرجوع إلى الصَّواب، وذلك في قوله من الطويل:<sup>٧٧</sup>

وكانت تُجيدُ الخَطَّ و الرَّسَمَ كُفَّهُ وكم صَلَّحتُ دنيا بذاك ودين

ومعنى الشرف والرَّفعةُ وذلك في قوله من البسيط:<sup>٧٨</sup>

ترى الكبار لديها خاشعين له وما تكبَّرَ لكن قدره كُبرا

ومَّا جاء في العَرَضِ السَّابِقِ لبنية الفعل الثَّلَاثِي المُجَرَّدِ، يَتَّضِحُ لنا أَنَّ الشَّيخَ عبدَ اللَّهِ بنَ الطَّيِّبِ جاءَ ببنية «فَعَلَ» مفتوحة الفاء والعين كثيرًا في دمعاته، وهذا شاهد لما قاله الصَّرْفِيُّونَ من أطرادها في كلام العرب، أضف إلى ذلك أنَّ غالبية الأفعال التي جاءت على: «فَعَلَ، وَفَعَلَ، وَقَعَلَ» كانت من المَضارِعِ الدَّالِّ على الحال أو الاستقبال، وفي هذا إشارة لعلاقة الغرض الشعري بالبنية الصَّرْفِيَّةِ للفعل، وتواتره في هذه البنية المذكورة.

### ثانياً- الفعل المُجَرَّدُ الرَّبَاعِي:

يُقَصَّدُ بِالْمُجَرَّدِ الرَّبَاعِي مِنَ الْأَفْعَالِ: «كُلُّ مَا كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ أُصُولٍ، وَلَهُ بِنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ: «فَعَّلَ»، وَمُضَارِعُهَا: «يَفْعَلُ»<sup>٧٩</sup>.

ويأتي الرباعي على وَجْهَيْنِ:

أ- مُضَعَّفٌ: وهو ما كانت فاؤه لأمه الأولى من جنس، وعينه ولأمه الثانية من جنسٍ آخر، نحو: «زَلَّزَلَ، وَعَسَّعَسَ، وَوَسَّوَسَ»<sup>٨٠</sup>.

ب- غير مُضَعَّفٌ: وهو ما لم يكن فيه تكرار في فائه ولا في عينه، نحو: «دَحْرَجَ يَدْحَرِجُ، وَبَعَثَرَ يَبْعَثِرُ، وَسَرَهَفَ يَسْرَهِفُ»<sup>٨١</sup>. وقد نحتت العرب على هذا البناء من أكثر من كلمة، نحو: «حَمَدَلَّ مِنْ:» الحَمْدُ لِلَّهِ، وَبَسَمَلَّ مِنْ:» بِسْمِ اللَّهِ، وَحَوَقَلَّ، مِنْ:» لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>٨٢</sup>.

ومثال بنية المُجَرَّدِ الرَّبَاعِي فِي الدَّمَعَاتِ، جَاءَتْ فِي قَوْلِهِ مِنَ الْبَسِيطِ:<sup>٨٤</sup>

أَمْ لَا نَكْفِكْفِ عَنْ طَوْلِ الْبِكَاءِ لَهُ لِمَثَلِهِ سَالَ دَمْعَ الْعَيْنِ وَأَنهَمِرَا

«كَفَّكَفَ»، عَلَى وَزْنِ فَعَّلَلَّ مِثْلَ «زَلَّزَلَ، وَعَسَّعَسَ».

٧٧ الدمعات، ص ٧.

٧٨ - الدمعات، ص ٢.

٧٩ - شرح الملوكي في التصريف، ص ٣٢، والمزهر، ٤٢/٢، وأبنية الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَبِيئِيهِ، ص ٣٨٨.

٨٠ - أبنية الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَبِيئِيهِ، ص ٣٨٩، و شعبان صلاح، تصريف الأفعال، ص ٣٠.

٨١ - سمهر الزرع: لم يتوالد، كَأَنَّ كُلَّ حَبَّةٍ بِرَأْسِهَا. المعجم الوسيط، ص ٨١.

٨٢ - يُنظَرُ الْكِتَابُ، ١٧٧/١، و ٢٤٦/٢، بولاق.

٨٣ - محمد محيي الدين عبد الحميد، دروس في التصريف، ص ٦٩.

٨٤ - الدمعات، ص 3.

## ٢- بنية الفعل المزيد:

### أ- بنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف:

الفعل الثلاثي المزيد فيه ثلاثة أقسام، ما زيد فيه حرف واحد، وما زيد فيه حرفان، وما زيد فيه ثلاثة أحرف، فغاية ما يبلغ الفعل بالزيادة، ستة<sup>٨٥</sup> وتكون الزيادة بحرف لإفادة المعنى، وتكون قبل الفاء، وبعدها فقط، فإن كانت الزيادة قبل الفاء، فإن الحرف المزيد يكون الهمزة، وإن كانت بعدها، فالزيادة إما التضعيف أو الألف، وتوضيح ذلك في التالي:

#### ١- بنية «أفعل»:

وَمَنْ مَعَانِيهِ التي يُفِيدُهَا: تعدية الفعل اللازم، وهو الغالب فيه، نحو: «أخرج، وأدخل، وأفسد، والسلب والإزالة، نحو: «أعجمت الكتاب، أي أزلت عجمته»<sup>٨٦</sup>، والصيرورة الصحبة: (صار صاحب كذا)<sup>٨٧</sup> جاء في الكتاب «وتقول أجرب الرجل، أي صار صاحب جرب، ومثل ذلك قول الرجل: الأم الرجل أي صار صاحب لائمة»<sup>٨٨</sup>، ومن هذا النوع -أي صيرورته ذا كذا- دخول الفاعل في الوقت المشتق منه أفعل، نحو: «أصبح وأمسى وأفجر وأشهر»: أي دخل في الصباح والمساء والفجر والشهر، وكذا منه دخول الفاعل في وقت ما اشتق منه أفعل، نحو: «أشملنا وأجبننا وأصيننا وأدبرنا: أي دخلنا في أوقات هذه الرياح»<sup>٨٩</sup>، أما (سيبويه) فعدّها صيرورة في الحين، قال: وتقول: أصبحنا وأمسينا وأسحرنا وأفجرنا، وذلك إذا صرّت في حين صبح ومساء وسحر»<sup>٩٠</sup>، وعدّ (سيبويه) من ذلك أدنفت. قال: «ومثل أدنفت أصبحنا وأمسينا وأسحرنا وأفجرنا، شبهوه بهذه التي تكون في الأحيان»<sup>٩١</sup>، «ومنه الدخول في المكان الذي هو أصله والوصول إليه، نحو: أنجد وأجبل أي وصل إلى نجد وإلى الجبل. وهذه البنية، جاءت لازمة، ومتعدية، نحو: «أكب زيد وكبيته أنا»<sup>٩٢</sup>.

ومما استخدمه الشاعر من هذه البنية جاء على المعاني التالية:

جاء بها لتعدية الفعل اللازم، في قوله من الطويل:<sup>٩٣</sup>

٨٥ - شذا العرف في فن الصرف، ص ٢٥.

٨٦ - الكتاب، ٢/ ٢٢٠، ٢٢٧ «بولاق»، وابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص ١٢٢.

٨٧ - الزمخشري، المفصل ٢٨٠، وشذا العرف في فن الصرف، ص ٢٧، ٢٨، وأبنية الفعل دلالاتها، وعلاقتها، ص ٧-١٠.

٨٨ - سيبويه، الكتاب ٤/ ٦٠.

٨٩ - الرضي، شرح الشافية ١/ ٩٠.

٩٠ - سيبويه، الكتاب ٤: ٦٢-٦٣.

٩١ - سيبويه، الكتاب ٤/ ٦١. «هارون».

٩٢ - ليس في كلام العرب، ص ١٣٢.

٩٣ - الدمات، ص ٧.

وكان إذا ألقى الكلامَ **أفاده** بروز المعاني واللسان مبيِّن

واستخدمها لدلالة دخول الفاعل في الزَّمن، في قوله من البسيط:<sup>٩٤</sup>

أحيا رجال بني المجذوب كلهم طرا وكلهم **أمسى** به أفتخرا

فأمسى: نقيض أصبح، والهمزة فيه تدلُّ على الدُّخول في الزَّمن من المُشتق منه، وهو المساء<sup>٩٥</sup>

## ٢- بنية «فَعَلَ» :

معناها الغالب، هو التَّعدية، نحو: «قَوَى، وَفَرَّحَ، ومضارعهما يُقَوِّي وَيُفَرِّحُ»<sup>٩٦</sup>، وتكثير الفعل والمبالغة، نحو: كَسَرَ الحَجْرَ، يُكْسِرُ، وَغَلَقَتِ الأبوابَ، وتسميته بالفعل أو نسبه إليه، نحو: «خَطَّاتُهُ أَخَطَّتُهُ، وَحَيَّيْتُهُ أَحْيَيْتُهُ»، ومنها الإزالة، نحو: «جلدته أجلده»<sup>٩٧</sup>.

ومما جاء في القصائد من هذه البنية كان على المعاني التالية:

معنى تعدية الفعل القاصر، قوله من البسيط:<sup>٩٨</sup>

منه **تعلَّمتُ** علماً نافعاً وبه نلَّت الرواية عن آبائه الفقرا

ومعنى التَّلف وإظهار الأدب، في قوله من الطويل:<sup>٩٩</sup>

ففسأل ربَّ الناس ستر عيوبنا وصبراً على البلوى وأن **نتجملاً**

- بنية «فَاعَلَ» : ومضارعها يُفَعِلُ، ومن معانيها التي ذكرها الصَّرْفِيُّونَ:

المشاركة بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ فيُنسَب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية. فإذا كان أصل الفعل لازماً صار بهذه الصيغة متعدياً، نحو ماشيته والأصل: مَشَيْتُ ومشى، وتكون بمعنى «فَعَلَ»، نحو: «أول، وعاقب، وسافر».

وفي هذه الصيغة معنى المغالبة، ويُدلُّ على غلبة أحدهما، بصيغة فَعَلَ من باب نَصَرَ، ما لم يكن واوياً الفاء، أو يائي العين أو اللام، فإنه يُدلُّ على الغلبة من باب ضَرَبَ كما تقدم، ومتى كان «فَعَلَ» للدلالة على الغلبة كان مُتعدياً، وإن كان أصله لازماً، وكان من باب

٩٤- الدمعات، ص ٢.

٩٥- نجاته عبد العظيم الكوفي، بنية الأفعال دراسة لغوية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص ٢٨٢.

٩٦- الكتاب، ٥٥/٤.

٩٧- الكتاب، ٢٣٣/٢، ٢٣٨. بولاق، والأبنية الصرفية في كتاب سيبويه، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

٩٨- الدمعات، ص ٢.

٩٩- الدمعات، ص ٥.

«نَصَرَ» أو «ضَرَبَ» على ما تقدم من أيِّ باب كان. وثانيهما: المُوَالاة، فيكون بمعنى أفعال المتعدّي، ك«واليت» الصوم وتابعته، بمعنى أُولِيْتُ، وأتبعْتُ بعضَه بعضًا، وربَّما كان بمعنى فَعَلَ المضعف للتكثير، كضاعفتالشئ وضعَّفته.<sup>١٠٠</sup>

ومما جاء به الشاعر كان يدلُّ على معنى «فَعَلَ» أصل الفعل، في قوله من الطويل:<sup>١٠١</sup>

**يُجاوِزُ أفناءَ العشيرة فُجُّها** فيها سهول الصابرين حُزون

وعلى معنى «فَعَلَ» الدالة على المشاركة في قوله من الطويل:<sup>١٠٢</sup>

وكان إذا ما **رافق** الوفد سيِّدا كذاك النجيب الألمعي يكون

### أ- بنية الفعل الثلاثي المزيد بحرفين:

وبنية هذا الفعل إما أن تزداد بحرفين قبل الفاء، أو بحرفين تفصل بينهما الفاء والعين، أو بحرفين تفصل بينهما الفاء فقط، ومعنى ذلك أن هذه البنية تأتي على: «انفَعَلَ، وافتَعَلَ، وتفاعَلَ، وتَفَعَلَ، وأخيراً: افْعَلَّ» ولكل بنية من المزيد بحرفين معنى تُفيدُه هذه الزيادة، وتوضيح ذلك في التالي:

### ١- بنية «انفَعَلَ»: «مزيدة بالهمزة والنون»

الذي عليه علماء الصرف أن بنية (انفَعَلَ) مزيدة بالألف والنون؛ إذ لَزِمَتْ أَلْفُ الوصل هذه البنية للتوصل بها إلى النُّطق بالساكن وهو النون<sup>١٠٣</sup>، ومُضَارِعُهَا «يَنْفَعِلُ»، وهي لا تُعدي الفاعل إلى المفعول<sup>١٠٤</sup>، أما المعاني التي تُفيدُها هذه البنية:

### المطاوعة:

أ- مطاوعة فَعَلَ: نحو كسرتَه فانكسر، وانهمر المطر وانهمل<sup>١٠٥</sup>.

ب- مطاوعة أفعل نحو: «أقحمتَه فانقحم وأغلقتَه فانغلق وأسقفتَه فانسقف وأزعجتَه فانزعج»<sup>١٠٦</sup>.

وما جاء منها في القصائد الأربع كان على دلالة مُطاوَعَة فَعَلَ، في قوله من البسيط:<sup>١٠٧</sup>

١٠٠ - يُنظر، الكتاب، ٢٣٩/٢ بولاق، وشذا العرف في فنِّ الصِّرف، ص ٢٨، ٢٩.

١٠١ - الدمعات، ص ٨. «الأفناء من الناس: الأخلاط لا يُدرى من أيَّة قبيلة هم. فُجُّها- الفُجُّ: الطريق الواسع البعيد. يُنظر: مختار الصَّحاح، والمعجم الوسيط.

١٠٢ - الدمعات، ص ٥، المَعِي مَعَ أَقْرَانِهِ -: ظَرِيفٌ، خَفِيفُ الرُّوحِ وَالْحَرَكَةِ .. المعجم الوسيط، «المعي»

١٠٣ - سيبويه، الكتاب، ٢٨٢/٤، وابن جني، المنصف، ٧٣/١-٧٤. ومثل بنية انفَعَلَ البنية المتبقية المبدوءة بالهمزة، وهي: «استفعل، وافتعل، وأفعل»

١٠٤ - المبرد، المقتضب ٧٥/١.

١٠٥ - الكتاب، ٧٦/٤، ٧٧. هارون. والكتاب، ٢٣٨/٢، ٢٤٢ «بولاق»

١٠٦ - الفصل في علم العربية، ص ٢١٨.

١٠٧ - الدمعات، ص ٢، سَخُّ الماء: انصبَّ من أعلى «المعجم الوسيط: سَخَّ.

يا عين لا تبخلي بالدمع **وانهملي** له انه مالا وسحي عبرة دررا

## ٢- بنية «افتعل»: مزيدة بالهمزة والتاء»

هذه البنية مُضَارِعُهَا على: «يَفْتَعِلُ»، والمعاني التي ذكرها الصَّرْفِيُّونَ لها:

أولها- الاتخاذ، كَاخْتَمَ زَيْدٌ، واختدم: اتخذ له خاتماً، وخادماً.

وثانيها- الاجتهاد والطلب، كاكْتَسَبَ، واكْتَتَبَ، أي اجتهد وطلب الكسب والكتابة. وثالثها: المشاركة، نحو: «اجتور القوم واضطربوا، واختصموا، بمعنى» تجاوزوا، وتضاربوا، وتخاصموا، وكاختصم زيد وعمرو: «اختلفا».

ورابعها- الإظهار، كاعتذروا وعظّم، أي أظهر العُذر، والعظّمة.

وخامسها- المبالغة في معنى الفعل، كافتدر وارتدّ، أي بالغ في القدرة والرّدة.

وسادسها- مطاوعة الثلاثي كثيراً، كَعَدَلْتَهُ فاعْتَدَل، وَجَمَعْتَهُ فاجْتَمَعَ.

وربّما أتى مطاوعاً للمضعّف ومهموز الثلاثي، كقرّبته فاقترّب، وأنصفته فانْتَصَف.

وقد يجيءُ بمعنى أَصْلِهِ، لعدم وروده، كارتجل الخطبة، واشتمل الثوب.<sup>١٠٨</sup>

ومن المعاني التي جاءت في الدمعات، ما يلي:

- معنى المُشَارَكَة فِي البسيط:<sup>١٠٩</sup>

أحيا رجال بني المجذوب كُلَّهُمْ طرّاً وكلهم أمسى به **افتخرا**

- معنى الاجتهاد في تحصيل الفعل وطلبه، وذلك في قوله من الطويل:<sup>١١٠</sup>

وكان ذا فطنة فاقت وبادرة وعلمّ الجيل بعد الجيل و**اشتهدرا**

- مطاوعة الثلاثي «فَعَلَ»، وذلك في قوله من الطويل:<sup>١١١</sup>

قد كان يرأف بي والعلمّ كان به لا ضنّ يوماً ولا عن بذله **استترا**

## ٣- بنية «تفاعل»: مزيدة بالتاء والألف»

وَمُضَارِعُهُ «يَتَفَاعَلُ»، و معانيها التي ذكرها الصَّرْفِيُّونَ، اشتهرت في أربعة معانٍ: أولاً- المشاركة بين اثنين فأكثر، فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في

١٠٨ - الكتاب، ٢/٢٢٢، وشذا العرف في فنّ الصَّرْفِ، ص ٣٠.

١٠٩ - الدمعات، ص ٢، طرّت النجوم أشرقت وأضاءت، والمعنى أن المجذوب كان بمثابة القمر للنجوم.

١١٠ - الدمعات، ص، البادر: القمر المكتمل.

١١١- الدمعات، ص ٢.

المعنى، بخلاف فاعل المتقدم، ولذلك إذا كان فاعل المتقدم متعدياً لاثنين، صار بهذه الصيغة متعدياً لواحد، كجاذب زيد عمراً ثوباً، وتجادب زيد وعمرو ثوباً. وإذا كان متعدياً لواحد صار بها لازماً، كخاصم زيد عمرا وخاصم زيد وعمرو. وثانيها- التظاهر بالفعل دون حقيقته، كتناوَمَ وتغافل وتعامى وثالثها- حصول الشئ تدريجاً، كتزايد النيل، وتواردت الإبل؛ أى حصلت الزيادة والورود بالتدريج شيئاً فشيئاً.

ورابعها- مطاوعة فاعل، كباعده فتباعد، والدلالة على إظهار ما اشتق منه: <sup>١١٢</sup>، ومما جاء في الدمعات من هذه البنية، كان بمعنى «فعل»، وذلك في قوله من الطويل <sup>١١٣</sup>:

وكنا تصافينا زمان حادثة الشباب وطاب الصفوفى الودّ منها

#### ٤- بنية «تفعل»: مضارعها: «يتفعل» مزيدة بالتاء، والتضعيف.

معانيها التي قالها الصرّفيون، هي: مطاوعة «فعل» مضعف العين، ك«دربته فتدرب»، وكنبهته فتنبه، وكسرتة فتكسر، والاتخاذ، كتوسد ثوبه: اتخذه وسادة، و التكلف، كتصبر وتحلم: تكلف الصبر والحلم، والتجنب، كتخرج وتهجد: تجنب الحرج والهجوم، أي النوم، والتدريج، كتجرعت الماء، وتحفظت العلم؛ أي شربت الماء جرعة بعد أخرى، وحفظت العلم مسألة بعد أخرى. وربما أغنت هذه الصيغة عن الثلاثي، لعدم وروده، كتكلم وتصدى، وقد تجيء بمعنى «فعل»، وذلك نحو: «تظلم وتهيب، بمعنى «ظلم، وهاب» <sup>١١٤</sup>

ومما جاء به الشيخ عبد الله الطيب من هذه البنية كان على معنى تكلف الفاعل، وذلك في قوله من الطويل: <sup>١١٥</sup>

فنسأل ربّ الناس ستر عيوبنا وصبراً على البلوى وأن تتجملاً

هذا، ولم يُورد الشاعر في دمعاته مثلاً ل«بنية أفعل».

#### ث- بنية الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

أقصى ما يصل إليه الفعل، هو ستة أحرف، ويُرَادُ الفعل الثلاثي - أصل الأفعال - بثلاثة أحرف، وتأتي مجتمعة قبل الفاء، أو أن يأتي حرف منها قبل الفاء، ويتأخر المتبقيان

١١٢ - يُنظر، الكتاب، ٢/٢٣٩، وشذا العرف في فنّ الصّرف، ص ٣١، ٢٢.

١١٣ - الدمعات، ص ٥. تصافى الأصدقاء: أخلص وأحبّ بعضهم بعضاً. وأصفى له الودّ أخلصه له. المعجم الوسيط. «أصفى»، وحداثة الشباب: أوله، والصفو من الشئ: خياره وخالصه.

١١٤ - الكتاب، ٢/٢٣٨، ٢٤٠ وشذا العرف في فنّ الصّرف، ص ٣١، ودروس التصريف، ص ٧٨.

١١٥ - الدمعات، ص ٥.

الفاعل وأبنيته الصَّرْفِيَّةُ في (أربع دمعات على رجال سادات) - لعبد الله الطيب المجذوب

بعدها، أو أن يتأخران إلى ما بعد العين، وهذه البنية: «استَفْعَلَ، وافْعَوْلَ، وافْعَوْلَ، وافْعَالَ»، ولم يأت من هذه البنية في الدمعات، وقد اكتفى شاعرنا بما زيد إلى أصله الثلاثي حرفين فقط، والجدير بالذكر أن هذه البنية يأتي منها اللازم، ويأتي منها المُتَعَدِّي<sup>١١٦</sup>، وقد ذَكَرَ الصَّرْفِيُّونَ، معاني لها، مُطَرِّدَةً في ستة معانٍ، هي<sup>١١٧</sup>:

أولها: الطلب حقيقةً كاستغفرت الله: أي طلبت مغفرته، أو مجازاً كاستخرجت الذهب من المعدن، سُمِّيت الممارسة في إخراجها، والاجتهاد في الحصول عليه طلباً، حيث لا يمكن الطلب الحقيقي. وثانيها: الصَّيرُورَةُ حقيقة، نحو: استحجر الطين، واستحسن المهر: أي صار حجراً وحِصَاناً. وثالثها: اعتقاد صفة الشيء، كاستحسنت كذا واستصوبته، أي اعتقدت حسنه ورابعها: اختصار حكاية الشيء كاسترجع، إذا قال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

وخامسها: القوة، كاستهتر واستكبر: أي قوى هترة وكبره.

وسادسها: المصادفة، كاستكرمت زيدا أو استبخلته: أي صادفته كريماً أو بخيلاً.

ولم تأت هذه البنية في الدمعات، واكتفى الشاعر بما كان مزيداً بحرفين كما تقدم.

### - البنية الصَّرْفِيَّةُ للفاعل من حيث التَّعَدِّي واللُّزوم:

التَّعَدِّي واللُّزوم يختص بتقسيم بنية الفعل من حيث العمل، أو كما يُسمَّيه بعض الصَّرْفِيِّين: من حيث المعنى أو الوظيفة، فإذا تَخَصَّصَ الفعل بفاعله، ولم يتعدَّاه إلى غيرِه، فهو

هذا، ومن أبنية الفعل اللازم التي جاء بها الشاعر في دمعاته، التالي:

١ - بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»: «بفتح العين في الماضي والمضارع»

جاء بها في قوله من الطويل:<sup>١١٨</sup>

وتَضَعُفُ أسبابُ البقاءِ وتَذْهَبُ الغضارةُ منَّا والبهاءُ يبيِّنُ

٢ - بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»: «بفتح العين في الماضي وكسرهما في المضارع»

استخدمها في قوله من الطويل:<sup>١١٩</sup>

ديونٌ سنقضُّها ونُصبحُ بعدها أحاديثٌ لو صخرُ القلوبِ يَلِينُ

١١٦ - الممتع في التصريف، ١/١٩٤.

١١٧ - شذا العرف في فنِّ الصَّرْفِ، ص ٣٢.

١١٨ - الدمعات، ص ٦.

١١٩ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٣- **بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»** بفتح العين في الماضي، وضمها في المضارع» استخدمها في قوله من الطويل:<sup>١٢٠</sup>

يَقُولُ مَشَتْ بِالْأَمْسِ مِنْ خَلْفِ نَعْشِهِ أَلْ جَمُوعٌ وَعَادُوا مِنْهُ وَهُوَ دَفِينٌ

٤- **بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»** بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع» ذكر الصَّرْفِيُّونَ أَنَّ بِنِيَةَ «فَعَلَ» هذه لازمة أكثر من مُتَعَدِّيَّة<sup>١٢١</sup>، ولكن ما جاء في الدمعات منها كان من المتعدي، وسيأتي ذلك.

٥- **بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»** بكسر العين في الماضي، والمضارع» ذكرنا في صفحة سابقة أنَّ هذه البنية تأتي قليلاً في لغة العرب، ولم تذكر هذه البنية في الدمعات.

٦- **بنية «فَعَلَ يَفْعُلُ»** : بضم العين في الماضي والمضارع» استخدمها في قوله من البسيط:<sup>١٢٢</sup>

تَرَى الْكِبَارَ لَدَيْهَا خَاشِعِينَ لَهُ وَمَا تَكَبَّرَ لَكِنْ قَدْرُهُ كَبِيرًا

٧- **تَفَاعَلَ** : مزيد بالتاء والألف» جاء بها في قوله من الطويل:<sup>١٢٣</sup>

وَكُنَّا **تَصَافِينَا** زَمَانَ حِدَاثَةِ الشَّبَابِ وَطَابِ الصَّفْوِ فِي الْوَدِّ مِنْهَا

٨- **«انْفَعَلَ»** : بزيادة الهمزة والنون:

في قوله من البسيط:<sup>١٢٤</sup>

أَمْ لَا نُنْكَفِ عَنْ طَوْلِ الْبِكَاءِ لَهُ لِمِثْلِهِ سَالَ دَمْعُ الْعَيْنِ وَ **انْهَمِرًا**

**أَبْنِيَةَ الْفَعْلِ الْمُتَعَدِّي:**

هو: «ما تجاوزَ الفاعلُ إلى مفعولٍ بهِ واحدٍ، وإلى اثنين، وإلى ثلاثة». <sup>١٢٥</sup>

ومن التعريف السابق يتضح لنا أنَّ للفعل المتعدي أقساماً ثلاثة:

أ - ما يتعدى إلى مفعول به واحد، وهذا كثير.

١٢٠ - الدمعات، ص ٦.

١٢١ - شرح الشافية، ١/٧٢.

١٢٢ - الدمعات، ص ٢.

١٢٣ - الدمعات، ص ٥.

١٢٤ - الدمعات، ص ٣.

١٢٥ - الكتاب، ٤/٣٤، ٤٢.

ب- ما يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ:

- أصلهما المبتدأ والخبر، نحو مفعولي: "ظَنَّ، ووجدَ، ودَرَى، وَعَلِمَ، وَحَسِبَ"  
- ليس أصلهما المبتدأ والخبر، نحو مفعولي: "أعطى، وسأل، ومنع، ومنح، وكسا، وألبس".

ج - ما يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ، وهو باب: "أعلم وأرى" ١٢٦، وشاهده قوله من البسيط: ١٢٧

منه تَعَلَّمْتُ عَلِمًا نَافِعًا وَبِهِ نَلْتُ الرَوَايَةَ عَنْ آبَائِهِ الْفُقَرَا

### ١- الْأَفْعَالُ الْمُتَعَدِّيَّةُ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ:

- بِنِيَّةِ «فَعَلَ يَفْعُلُ»:

في قوله من الطويل: ١٢٨

ولم يَكُ يَخْشَى أَنْ يَرَى النَّاسَ وَجْهَهُ إِذَا قَالَ قَوْلًا أَوْ أَرَادَ لِيَفْعَلَا

- بِنِيَّةِ «فَعَلَ يَفْعُلُ»:

في قوله من الطويل: ١٢٩

طَوَّتْهَا لِمَنَايَا حِينَ غَبْتُ وَلِيَتَنِي شَهِدْتُ وَعِنْدِي لِلْحَبِيبِ حَنِينٌ

مَنْ طَوَّى يَطْوِي اللَّفِيفَ الْمَقْرُونِ

- بِنِيَّةِ «فَعَلَ يَفْعُلُ»:

في قوله من الطويل: ١٣٠

وَكَانَتْ بِلَادِي تَقْبُرُ النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَكَمْ فِيهَا النَّفِيسُ غَبِينٌ

- بِنِيَّةِ «فَعَلَ يَفْعُلُ»:

في قولهمن الطويل أيضًا: ١٣١

أَخْ كَانَ يِرْعَانِي وَكَانَ يِعِينُ وَيَحْفَظُ حَقِّي عِنْدَهُ وَيَصُونُ

١٢٦ - يُنْظَرُ، شَذَا الْعَرَفُ فِي فَنَّ الصَّرْفِ، ص ٤٨.

١٢٧ - الدمعات، ص

١٢٨ - الدمعات، ص ٥.

١٢٩ - الدمعات، ص ٦. تَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ فِي طَوْتِهِ الْمَنَايَا لِأَنَّهُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ، وَقَدْ أَمِنَ اللَّبْسُ.

١٣٠ - الدمعات، ص ٦. النَّفِيسُ: شَيْءٌ نَفْسٌ عَظِيمُ الْقِيَمَةِ، غَبِينٌ: ضَعِيفُ الرَّأْيِ. «المعجم الوسيط: نفس، وغبين»

١٣١ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

- بنية «أَفْعَلَ يُفْعَلُ» :

في قوله من الطويل: ١٣٢

و يُنْشِدُنِي من شعره ثم بيننا مذاكرةً فيها الحديث شجون

- بنية «فَعَلَ يُفْعَلُ» :

في قوله من البسيط: ١٣٣

لَمَّا رَأَى الرَّبْعَ قَدْ كَادَتْ مَعَارِفُهُ تَعْفُو جِلاها ومنها جَدَدُ الأَثَرِ

- بنية «فَاعَلَ يُفَاعَلُ» :

في قوله من الطويل: ١٣٤

و جَارِي ذَوِي التَّجْدِيدِ شَأْوَا فَبَدَّهْمُ وَلَا غَرَوُ إِذْ أَنَّ الأَسَاسَ مَتِينُ

- ما يتعدى لمفعولين :

١- «فَعَلَ يُفْعَلُ» :

وذلك في قوله من الطويل: ١٣٥

فَنَسَأَلُ رَبَّائِنَا سُلْطَفًا بَضْعَفًا وَعَفَوًا وَفِينَا بِالحياة فتون

٢- فَعَلَ يُفْعَلُ :

وذلك في قوله من الطويل: ١٣٦

حَبْرًا يُعَدُّ مِنَ الأَحْبَارِ إِذْ سَلَفُوا وَمِثْلَهُمْ قَدْ وَجَدْنَا ذِكْرَهُ عَطْرًا

هذه بنى الفعلين اللازم والمتعدي في الدمعات، وقد أجاد الشاعر-رحمه الله- في

استعمال البنى الصرفية لهما وفق ما قال به الصرفيون.

**البنية الصرفية للفعل الذي لم يسم فاعله :**

الأصل في الفعل أن يُبنى للمعلوم، والمعنى أن يُذكر فاعله في الكلام، ظاهرًا، نحو:

١٣٢ - الدمعات، ص ٦. شجون: جمع شجن: غصن مشتك، و- شعبة من كل شيء وفي المثل: (الحديث ذو شجون)

فتون وشعب تتداعى، و- حاجة شاغلة، و- احتياج الذكريات. المعجم الوسيط، «شجن».

١٣٣ - الدمعات، ص ٣، الربيع: اسم مكان معارف: أعلام. تعفو: تمحو: جلاها: جمع جلهة، وهي الصخرة العظيمة،

يُنظر، مختار الصحاح، والمعجم الوسيط.

١٣٤ - الدمعات، ص ٧. جاري: سايره، شأوا: شأوت القوم شأواً: سَبَقْتَهُمْ، بَدَّهْمُ: بَدَّ منافسه أي سبقه.

١٣٥ - الدمعات، ص ٦.

١٣٦ - الدمعات، ص ٢.

الفعل وأبنيته الصَّرْفِيَّةُ في (أربع دمعات على رجال سادات) - لعبد الله الطيب المجذوب

«رَحِمَكَ اللهُ»، أو مُسْتَتَرٌ، نحو: «استقم»، فالفاعل هُنَا: ضَمِيرٌ مُسْتَتَرٌ وجوباً تقديره «أنت»، وقد بُنِيَ هذا الفاعل للمجهول، بحيثُ يَحذفُ فاعله، ويُسمَّى بالمبني للمفعول.<sup>١٣٧</sup>

يقول ابن مالك:<sup>١٣٨</sup>

يَنُوبُ مَفْعُولٌ بِهِ عَنِ فَاعِلٍ      فِيمَا لَهُ كَنِيْلٌ خَيْرٌ نَائِلٍ  
فَأَوَّلُ الْفِعْلِ أَضْمَمَنَ وَالْمُتَّصِلُ      بِالْآخِرِ أَكْسَرَ فِيهِ كَوْصَلُ  
وَأَجَلُهُ مِنْ مُضَارِعٍ مُنْفَتِحَا      كَيْنَتْحَى الْمَقُولِ فِيهِ يَنْتَحَى

هذا الفعل يُصاغ من الفعل المُتَعَدِّي، وقد يُصاغ من اللازم بشرط أن يكون نائب الفاعل: «ظرفاً أو جاراً ومجروراً»<sup>١٣٩</sup>، وقد ذكر (ابن مالك) في الأبيات السابقة كيفية صياغته، وما جاء من البنى الصَّرْفِيَّةِ التي لم يُسمَّ فاعلها في الدمعات ما يلي:

### ١ - بِنِيَّةُ: «فِعْلٌ» بِضَمِّ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ مَا قَبْلَ الْآخِرِ.

في قوله من البسيط:<sup>١٤٠</sup>

وَكَانَ اسْلُوبُهُ فِي الدَّرْسِ قَدْ مُرِجَتْ بِهِ الْفَكَاهَةُ وَالذُّوقُ الَّذِي سَحَرَا

### ٢ - بِنِيَّةُ يُفْعَلُ: بِضَمِّ الْأَوَّلِ وَفَتْحِ مَا قَبْلَ الْآخِرِ

في قوله من الطويل:<sup>١٤١</sup>

نَظَرْتُ إِلَى الْعُنْوَانِ لَاحٍ مُفَاجِئًا      بِتَأْيِينِهِ رُكْنَ يَهْدُ رُكِيْنٌ

### ٣ - بِنِيَّةُ تُفْتَعَلُ:

في قوله من الطويل:<sup>١٤٢</sup>

وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ      وَلَكِنَّا فِيهَا نَجُوزُ لَتِيْتَلَى

هذا، وهناك أفعالٌ أخرى مبنيَّةٌ للمجهول على هذه البنى الصَّرْفِيَّةِ غير التي ذكرتُ، وقد اكتفيتُ بالمثل لإثبات القاعدة الصَّرْفِيَّةِ التي ذكرها الصَّرْفِيُّونَ في كتبهم، والله المستعان، وعليه الاستعانة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٣٧ - يُنظر، ابن هشام الأنصاري، الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدم له، فايز ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٦م، ٢/٢٨٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٢/١٢٣، ١٢٤، وتصريف الأفعال في اللغة العربية،

شعبان صلاح، ص٨٢.

١٣٨ - متن الألفية، ص١٧.

١٣٩ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٢/١٢٣، ١٢٤.

١٤٠ - الدمعات، ص٢.

١٤١ - الدمعات، ص٦.

١٤٢ - الدمعات، ص٥.

## خاتمة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، نَبِينَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ، فَأَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَعَانَنِي عَلَى إِكْمَالِ هَذِهِ الْوَرَقَةِ الْعِلْمِيَّةِ عَنْ أُنْبِيَةِ الْأَفْعَالِ فِي أَرْبَعِ دَمَعَاتٍ عَلَى رِجَالِ سَادَاتِ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّيِّبِ الْمَجْذُوبِ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِمَّا خَرَجَ لِي بَعْدَ عَرَضٍ مَادَتَهَا فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ مَا يَلِي:

- من أُنْبِيَةِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ مَا جَاءَتْ عَلَى مَعَانٍ لَمْ يَذْكُرْهَا النَّحْوِيُّونَ، مِنْ ذَلِكَ: بِنِيَّةِ «فَعَلَ يَفْعَلُ» دَلَّتْ عَلَى السُّقُوطِ فِي لَفْظِ «هُوَ يَهْوِي».
- أَنَّ أُنْبِيَةَ الْأَفْعَالِ فِي الدَّمَعَاتِ تَنَوَّعَتْ عَلَى جَمِيعِ أَبْوَابِ الْفِعْلِ مِنْ مَجْرَدِ إِلَى مُزِيدٍ إِلَى صَاحِحٍ إِلَى مَعْتَلٍ...إِلْخ.
- أَنَّ أُنْبِيَةَ الْفِعْلِ الْمَجْرَدَةِ كَثُرَ وَرُودُهَا فِي الدَّمَعَاتِ مَقَارَنَةً بِالْمَزِيدَةِ.
- مَا جَاءَ مُزِيدًا مِنْ أُنْبِيَةِ الْأَفْعَالِ وَصَلَ بَعْدَ الزِّيَادَةِ إِلَى خَمْسَةِ أَحْرَفٍ، وَلَمْ يَأْتِ مِنْهَا يَصِلُ الْفِعْلُ إِلَى سِتَّةِ أَحْرَفٍ مَعَ زِيَادَتِهِ.
- مِنْ أُنْبِيَةِ الْأَفْعَالِ الْمَزِيدَةِ مَا وَرَدَ عَلَى مَعْنَى الثَّلَاثِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ «فَاعَلٌ بِمَعْنَى فَعَلَ».
- الْفِعْلُ اللَّازِمُ فِي الدَّمَعَاتِ اطْرَدَ مَجِيئُهُ، وَاكْتِفَاءُ الْفِعْلِ بِفَاعِلِهِ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى اخْتِصَارِ الْمَعْنَى، وَكَلِمَا قَلَّ اللَّفْظُ قَوِيَ الْمَعْنَى.
- الْفِعْلُ الْمُتَعَدِّي فِي الدَّمَعَاتِ أَكْثَرُهُ مِنَ الْمُتَعَدِّيِ لِوَاحِدٍ، أَمَا مَا تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ فَكَانَ مِنْ أَلْقَابِ الْمُتَعَدِّيِّينَ «مَا أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ، وَمَا لَيْسَ أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ».

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- عبد الله الطيب المجذوب، أربع دمعات على رجال سادات، الدار السودانية للكتب، د.ت.
- ١- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ط ٢ ( دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢ ).
- ٢- ابن القطاع الصقلي، أُنْبِيَةُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْمَصَادِرِ، تَحْقِيقٌ وَدِرَاسَةٌ، أَحْمَدُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الدَّائِمِ، دَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةَ، ١٩٩٩م،
- ٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار ( دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ” د.ت. “ .

- كتاب العروض، تحقيق وتقديم د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، د. ت
- ٤- ابن عصفور، «علي بن مؤمن» الممتع في التصريف. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط ١. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧ م.
- ٥- ابن عقيل «بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلِي المصري، ت ٧٦٩هـ»، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب: منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف، محمد مُحْيِي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- ٦- ابن مالك «جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ت ٦٧٢هـ»، متن الألفيَّة، مكتبة صيدا، بيروت، د. ت.
- ٧- ابن منظور، لسان العرب، ط ٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩ م).
- ٨- ابن هشام الأنصاري، الأشباه والنظائر في النَّحو، راجعه وقَدَّم له، فايز ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٦، ٣، م، ٢/٢٨٣.
- ٩- ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين بن يعيش الموصلي، شرح المفصل، تقديم، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان د. ت.
- ١٠- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر «سيبويه»، الكتاب (ت ١٨٠هـ). تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١٩٨٨ م.
- سيبويه، الكتاب، طبعة بولاق، ط ١، ١٣١٧هـ.
- ١١- أحمد بن محمد الحملوي، شذا العرف في فنِّ الصرف، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
- ١٢- أحمد عفيفي، الحدث النَّحوي في الجملة العربية، دراسة في المعنى، مكتبة الأنجلو المصرية بلا تاريخ.
- ١٣- الأنباري، أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعيد الأنباري، «الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق ودراسة: جودة مبروك محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.

- ١٤- الحسين بن خالويه، ليس في كلام العرب، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ١٥- خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١ ١٩٦٥م.
- ١٦- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق محمود خاطر، بيروت، طبعة جديدة ١٩٩٥م ١٤١٥هـ.
- ١٧- الرضي(محمد بن الحسن الاستراباذي ت. ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٢م.
- ١٨- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت. ٢٤٠هـ»، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن مبارك، دار النفاثس، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.
- ١٩- السيوطي، «عبد الرحمن جلال الدين السيوطي» همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٩٨م.
- ٢٠- عبد الرحيم حسن حمزة، ما بعد الرحيل الأخضر عبد الله الطيب، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم، الخرطوم، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٢١- عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٢٢- عبد الله الطيب المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، دار جامعة الخرطوم للنشر، د.ت.
- ٢٣- عبد الله الطيب المجذوب، ديوان أصدقاء النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٥ ١٩٩٢م.
- ٢٤- علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، بلا تاريخ.
- ٢٥- عمر إدريس عبد المطلب، حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، دار الجناردية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.

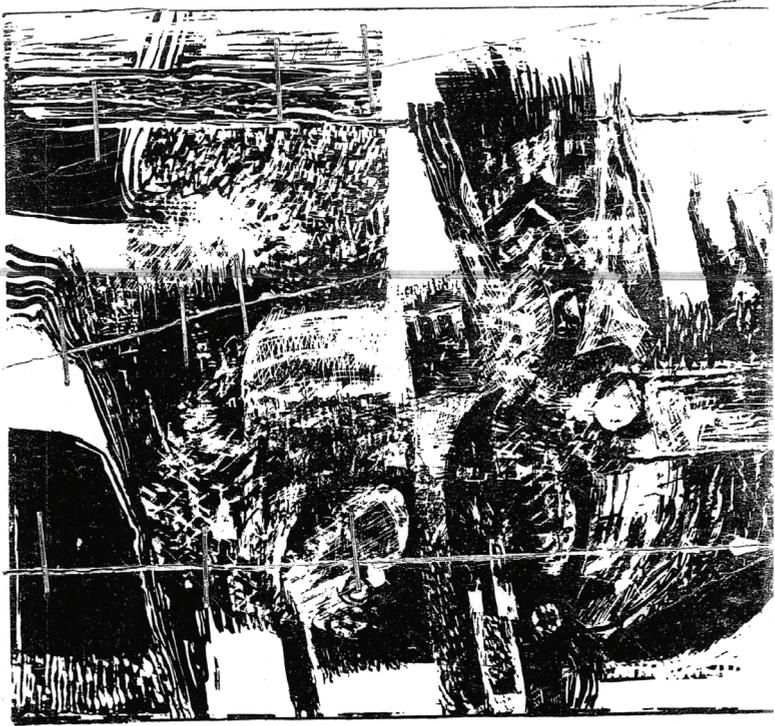
٢٦- محمد مُحيي الدين عبد الحميد، دروس التصريف، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥ م.

٢٧- نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لُغويَّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، ص ٢٨٢.

٢٨- ندوة محنة المثقفين العرب، الدوحة، قطر، نادي الجسرة الرياضي، ١٩٩١ م.

٢٩- نور الدين السالمي العماني، المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣ م.

# اربع دمعات عاجر جالك سادات



الدار السودانية الكنف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله (والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله  
ومحببه أجمعين).

وبعد ، فبين يدي (لقارىء تكريم كلمات إمامه من دمعات  
وَكُفِّنْ لَذِكْرِي أُعْزِزْهُ إِلَى الْقَلْبِ أُعْزِزْهُ عَنِ الْوَطَنِ رَاحِمِي (تميزان عند  
رب السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إِنْ شَاءَ رَبِّي مِنْ أَسْمَاءٍ  
الرَّحْمَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ).

توفي (أستاذي) الشيخ مجذوب جلال الدين رحمه الله في رمضان سنة ١٢٩٦هـ  
فإنهم بفقده ركن من أركان العلم لأني هذا (لقطر ولكن في دار الإسلام كليها) وتوفي  
أخي وصديقي محمد (تلميذ مجذوب) فإنهم بفقده ركن من أركان (الادب والبلاغنة  
لأني هذا) (لقطر ولكن في العالم) (تعزى بأسره) فإننا لله وإنا إليه راجعون.  
وتوفي في أوائل هذا العام (لهجري) أخي وصديقي وزميلتي منذ عهد  
التدريس بكلية غوردون (الأستاذ) (تكبير مندور) (لهدي) فإنهم بفقده ركن  
من أركان (التعليم) (وتدبير أمر) (الثقافة) (والتربية) مع (الفضل) (الجم) (والهروءة)،  
لأني هذا (لقطر ولكن في بلاد العربية) (وإنا لله) (والإسلام) (فإننا لله) (وإنا إليه راجعون).  
ومن قبل توفي (للواء عمر) (الحاج موسى) . وقع علينا نيا منغاه  
كالصاعقة . ولقد كان ملجأ وملاذاً وناصحاً وعوناً لكثير من أبناء  
هذه البلاد وكان راجح (الحلم) (أديب) (النفوس) (ذا تواضع) (وكرم) (يعرفه)  
أبناء الوطن ويأسون لفقده كل الأوسى . فإننا لله وإنا إليه راجعون  
رحمهم الله جميعاً رحمة الواسعة وأغدق عليهم مثائب رضوانه  
والرحمة وأهلهم (تعزاه) (إنه) (سميع) (مجيب).

عبد الله الطيب

### رث شيخنا الجليل السيد الأجل محمد مجذوب بن محمد بن محمد بن جلال الدين بن عبد الصمد بن ابن محمد بن محمد المجذوب

نشه جان دمع (عین فاندرا  
قد كان يملأ في آفاقها للبصرا  
يغشى وحضرته زيد من حضر  
وما تكبر لكن قدوه كبرا  
كثله، مثله بين (تورع سندرا  
العالم (ثبت من برهانه بهرا  
أجاد حاشية منيا ومختصرا  
طريقة (منهج (تعصر) قد مهرا  
والشعر قد صاغ منه (الوشى) والحبرا  
له (نهما) وسجى عزة در را

لاضن يوماً ولا عن بدته (استترا  
وفي (تبيان (عمر) بحر زحرا  
غضاً (موجود) منه (لاى) (إسورا  
رعى (دايتيا) قد تعجز (تنظرا  
ريات (لتريا) ودرأ مثله (نشر  
نلت (لرواية) عن آياته (لنقرا  
ومن طلائف عنه قد روى (لخبرا  
به (لنكاهة) (لذوق) (لذى) سحرا  
وعلم (لجبل) بعد (لجبل) (لشيرا  
بالجود منه مع (لفضل) (لذى) غمرا  
طرا وكلهم (أسمى) به (لنظرا  
ومثلهم قد وجدنا ذكره (لعملرا  
محمد (وجلالك) (لدين) (لنقلرا

نمو (ليك) جلالاً شيخاً (نعمرا)  
خلت بلادك منها (لتمه) علم  
قد كان شيخاً جليلاً حيث حل (ليرى  
بترى (تكبار) لديها (لشاعين) له  
ياعين (فابى) عليه (لن ترى) (أحدراً  
أستاذنا (لشيخ) (مجذوب) (نحوه) (لننا  
علم (لحديث) (حواد) (لنذهب) (لقد  
وكان من قبل في علم (لحساب) (لوفى  
والخط كان نفساً منه (لما سطر  
ياعين (لنسخى) (لنادم) (مع) (لنهمى)

قد كان يرافى (للعلم) كان به  
وكان في (لنحو) (للعرب) (ذاتهم)  
وعارفاً بكتاب (لله) (يقراءه)  
(لنخذرو) (للتبر) (لانتقال) (لانتكت)  
عهدى به مشرف (للقبيل) (لشريح)  
منه تعلمت علماً نافعاً (للبها)  
وهتم عن (لادى) (أيام) (زامله)  
وكان (أسلوبه) في (لدرس) (قد) (لنرجت)  
وكان ذا (لظنة) (فاقت) (و) (لبادرة)  
وكان يقصده (لطلاب) (يغمرهم)  
أحياناً (لبنى) (لجذوب) (كلهم)  
خبرنا بعد من (لأخبار) (لذ) (لأسفلوا)  
وجده (أحمد) (أحيا) (و) (لله)

تَعْفُو جَلاها وَمِنْها جَدَد (أشرا  
وَدأ وشكرا وِرضى) اللهُ مِنْ شَكرا  
ماتاً فَكان عالى (لعاطف) (تحدا  
إلا) (بتغاء) عزاء (لقلب) (أذ فطرا  
وعنه) طيبوا نفوساً طيقوا نفوساً  
ربّ (العباد) فترجوا (أجر) من صبراً  
ومقعد (الصدق) والجنّاتِ وانتهرا  
لمثله سال دمع (العين) وانهمرا

لَمّا رأى (الرّبع) قد كادت معارفه  
سقى (الحيا) قلبه (أى) (كن) له  
عبه نلت حب (الوالدين) وقد  
بلا (أستطيع) وفاءً (بالقرين) له  
فيا بنيه وأهليه عزاء كمو  
صبراً جميلاً فاننا راجعون (إلى)  
لقاه مولاه رضواناً ومرحمةً  
أم بلا تكفكف عن طول (البكاء) له

## كلمة رثاء للواء عمر الحاج موسى رحمه الله

- ١) سلام الله يا عمر بن موسى  
وقد كانت بك (تخرطوم داراً)
- ٢) على (تخرطوم ثم على شراكا  
وكنّا لا نبالى إذ نراكا
- ٣) لؤذك كنت نرعانا وتحمى  
وكنت (تمرّة يا عمر بن موسى
- ٤) وكنت مهذباً وعروفاً فضلاً  
وخلّ مروءة زانت حجاكا
- ٥) وعندك حين نلقاك (رتياح  
إلينا ان تجهمنا سواكا
- ٦) وشيمتك (حبياء وضيك نير  
وتخشى أن تخيب من رجاكا
- ٧) وان الناس قد فقدوك حتى  
كان كانوا جميعاً في ذراكا
- ٨) وبغ منهم قد كان حريف  
شديداً حيفا (نعاى نعاكا
- ٩) فجاد (غيث قبرك كنت غيثاً  
وميمونا ومحموداً مدكا

## أبروسور سدور اسهلقي

نغوايَ مسندوراً فأطرقمت ساعةً  
 نغوهُ فتى قد كان حراً وقادراً  
 ولم يركب مخشى أن يرى الناس وجهه  
 ولا خائفاً في الحق تومئة لا ثم  
 وعهدى به إذ كان حلو فكاهاة (الحديث) يربينا وجهه امتهللا  
 وكان ذكياً (أعنياً وناخذاً) (بصيرة  
 وذاهتوة في نفسه وتجاربه  
 وصاحب تدبير وجب وعفتة  
 وقد كان ذا علم وحلم وجانب  
 وكان بليغاً في الخطاب وحاضراً له  
 وكنا نضاهينا زمان حد (شمة) (الشباب وطاب (تصفو في (لود منهلا  
 فلم نعدت (لأيام بين قلوبنا  
 وحتى عرفنا صدق ما في نفوسنا  
 فجعت بسنعه وكان نغاه في  
 مضى (لجبل حتى صرت يا صاح بعدهم غريباً وسال (دمع والقلب ماسلا  
 عليه سلام (سه (ن مقامه  
 عزاء بنيه والعشيرة و (صبروا  
 وما هذه (لدنيا يدار (هامة  
 فنسأل رب (لناس ستر عيوبنا  
 ونسألهم (لتغفران والعفو والرضا  
 حزيناً وكان (توت حتماً مؤجلا  
 على (لخير نحو (لشر تن يتعجلا  
 (ذا قال قولا أو أراد ليفعل  
 (ذا كره (لحق (لضعيف فاجفلا  
 شمر (لحازم (متعقلا  
 ودقة حس رقة وتأملا  
 وشهناً وبالعرف (لحميد موكلا  
 إلى الله يُلغى عابداً مستبلا  
 جواب وفي حفظ (تودد (أولا  
 سوى أن يزيد (تود حتى تغلغلا  
 من (لحب لا تخشاه أن يتبدلا  
 مناهى فما صدقت ذاك مؤولا  
 لذي (لله في (لغروس في (لدرج (لغلى  
 ففتقم فتى قد كان في (لناس (لفضلا  
 ولكنا فرباً نجون (لستبلى  
 وصبراً على (لبلوى وأن نتجملا  
 وعاقبة (لحسنى وفي (لخلد منزلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رِشَاءُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ مَجْزُوبٌ  
تُرْجِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي ٢٢ - ٢٣ - ١٩٨٤

أَخْ كَانَ يَرَعَاكَ وَكَانَ يَعْينُ  
وَكَانَ رَفِيقَ الْعَمْرِ مِنْ زَمَنِ النَّبِإِ  
دَعَتْهُ الصَّحِيفَاتُ (الذَّوَاتُ) سَوَادَهَا  
نَظَرْتُ إِلَى الْعَمْرَانِ لَأَجِّ مَفَاجِئًا  
لَقَدْ خَفْتُ رَوْيَايَ (لَقَدْ) قَدْ رَأَيْتَهَا -  
يَقُولُ مَشَتْ بِالْأَوْسِ مِنْ حَلَّتْ نَعْسُهُ  
عَلَيْهِ مِنْ (تَوَقَّ) سَالَهُ وَرَحْمَةً  
حُرُوفِ (اسْمِهِ) لَأَشْكُ هَذَا نَعْسُهُ  
دِيُونَ سَنَفْتِيهَا وَنَصِجَ بَعْدَهَا  
وَهَذَا أَقْضَاءُ (اللَّهِ) حُكْمًا وَكَلْنَا  
نَشَبَ وَنَسْتَوِي (لَأَشُدُّ) وَبِعَدِهِ  
وَتَضَعُفَ (أَسْبَابِ) لِنَقَاءِ وَتَذَهَبُ (لِغَضَارَةِ) مَتَا وَ(إِلْتِهَاءِ) يَبِينُ  
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَمُوتَ وَخَلْفَنَا (إِلْتِهَابِ) وَكُلِّ بِالْحَسَابِ رَهْمِينِ  
فَلَسْنَا رَبِّ (النَّاسِ) لَطْفًا بَصْعَتِنَا  
مَضَى (لَمَّا) عَرَّ (الْمَجْزُوبُ) مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ  
مَضَى (لَمَّا) حَلَّ وَ(الْمَجْزُوبُ) وَالْمَطْلُوقُ (الَّذِي)  
مَضَى فِي سَبِيلِ كَلْنَا بِسَبِيلِهَا  
دَعَتْ مَشَاعِرَ (الْعَرَبِ) (لِصَحَافَةِ) وَالَّذِي  
مَضَى حَيْثَا شَاقَ (الْقَلُوبَ) بِسَحْرِ  
وَكَانَتْ يِلَادِي تَقْبِرُ (النَّاسَ) قَبْلَ أَنْ  
حَلُوتَهُ (إِنَّمَا) حِينَ غَبَّتْ وَلَيْتَنِي  
مَلُوتَهُ (إِنَّمَا) حِينَ بَيَّنِّي وَبَيَّنَّنِي  
طَلُوتَهُ (إِنَّمَا) حِينَ بَيَّنَّنِي (إِنَّمَا) بَيَّنَّنِي  
وَكَانَتْ كَدَارِي دَارَةً فَأُزَوِّرُهُ  
وَيَشْدُخُ مِنْ شِعْرِي نَشَمَ بِلِسَانِي

وَيَحْفَظُ حَقِّي عِنْدَهُ وَيَصُوتُ  
رَبِّي أَنْ (أَنْ) عَصْرٌ لِلشَّيْبِ يَحِينُ  
عَرَبٌ هَوَى فَوْقَ (السَّطُورِ) لَعِينِ  
بِتَأْيِينِهِ رُكْنٌ يَهْدِي رُكْنِي  
وَبَعْضُ (الرُّؤْيَى) تَأْوِيلُهُنَّ يَقِينِ  
سَعَى قَبْرِهِ غَيْثٌ عَلَيْهِ هَتُونِ  
إِلَّا (أَيَّامَ) (لِحَيَاةِ) دِيُونَ  
أُحَادِيثُ لَوْ صَحَّرَ (الْقَلُوبَ) يَلِينِ  
إِلَى (تَمُوتُ) أَيَّامٌ تَنَا وَسَنِينِ  
خَشِيبٌ وَتَبْدُو فِي (الْأُدِيمِ) غَمُونِ  
وَتَضَعُفَ (أَسْبَابِ) لِنَقَاءِ وَتَذَهَبُ (لِغَضَارَةِ) مَتَا وَ(إِلْتِهَاءِ) يَبِينِ  
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَمُوتَ وَخَلْفَنَا (إِلْتِهَابِ) وَكُلِّ بِالْحَسَابِ رَهْمِينِ  
وَعَفْوًا وَهَيْئًا بِالْحَيَاةِ فَتَوَاتُ  
نَظِيرٌ وَلَا دَانَ (إِلَيْهِ) قَرِينِ  
سَيِّبِي يَسَارٌ فَهَذِهِ (وَيَمِينِ)  
لَنَا حَرَكَاتٌ عِنْدَهَا فَهَسُوكُونُ  
مَجَالِسِ (أَهْلِ) (لِقَبُولِ) كَانَ يَزِينِ  
وَمُدَّتْ رَهَابٌ نَحْوَهُ وَعَمِيُونَ  
يَمُوتُوا وَكَمْ فِيهَا (لِلنَّفْسِ) غَبِينِ  
شَهَدَتْ وَعِنْدِي (لِلْحَبِيبِ) حَنِينِ  
بِعَادٌ وَبَوْنٌ فِي (الْبِلَادِ) بَسِيُونَ  
سَابِكِي عَلَيْهِ (وَالْفَوَادِ) حَزِينِ  
وَأَشْدُو لِبَشْعِي (وَالْقَرِيضِ) حَتُونِ  
مَذَكَّرَةٌ فِيهَا (لِلْحَدِيثِ) شَجُونِ

صبرٌ جايقاع (ترويح رصين  
 ولا عرق إذ أن الأساس متين  
 بكون (حماق) و(لسان مبيئ)  
 كذا (ك) (لنجيب) (لا تمع) يكون  
 وشيمه لظن في (خطاب) وبين  
 وكم صلحت دنيا (ك) ودين  
 وفكر وذكور (الوداد مكيت)  
 وإرت (مروءات) سلفن (شمين)  
 وميثاق صدق بينهن أمين  
 أخت وهوى سنو به وخذين  
 شفتنا شروح منهنمو ومتون  
 وكان وسر الله فيه كنين (١)  
 مدعناه ماء (لمنين) منه معين (٢)  
 ورؤك لا يلقى على يهون  
 بفاس وح دمع عليك سخين  
 وحادت بعجري دمعهن جفون  
 مرهتهن من وجد عليك شقوق  
 قشيب وإذ منا (لذواجب) جوت  
 منير وشعر عندهم وضوت (٣)  
 وبديهما حني (القرين) صرحتون (٤)  
 تلتيه به دال (تديك) وضوت (٥)  
 بإششاده (الشمات) من رزين

له من (أساليب) (لتصنيف) مذهب  
 وفيه مع (تعنى) (الشريف) عبارة (المليخ)  
 و(جاري) دوي (لتجد) يد (شأوا) فبهم  
 وكان إذا (لتقى) (الكلام) (فأده)  
 وكان إذا (مارفق) (لوهند) سيذا  
 سماحة (أخلاق) (وشر) (تقوى)  
 وكانت تجيد (تخط) (وإرسم) كفتا  
 وكنتا (رضيحي) (جاذبيته) (نفس)  
 كما كانت (الأرحام) (بجمع) بيننا  
 وفرض (علاقات) من (تبر) (ولتقى)  
 وولده قد كان من بعد (الذي)  
 جئنا (جناة) (لعلم) عند (مشايخ)  
 وقد كان عبد الله شيهي (يحبنا)  
 سقنا من (المشمولت) (إماء) (حيقا)  
 بكيتك (يامهدى) فتدك (فاجع)  
 بكيتك في (وحدى) (ششيخ) (وعبرة)  
 تركت (يراعى) عنده (وهدا) (وق)  
 همت (قطرت) (وتظلمن) (مدار) (معاً)  
 ذكرك (أذكت) (معاً) (وشابنا)  
 وكان (بواتينا) (لصحاب) (فمنهمو)  
 زماناً (نرى) (لكردي) (فيه) (وصارحاً)  
 وشيخ (بني) (العباس) من آل (مكر)  
 (أذما) (نبري) (وليشتر) في (تسمات)

(١) شيخنا (فتية) عبد الله (القرين) أحمد بن جلال (الدين) (المجذوب) عم (والد) (المفتي) (رحمهم) (الله)  
 أجمعين توفي سنة ١٩٢٥ م (٢) (المشمولت) : وعاء (بناه) (لذي) (هبت) (عليه) : (ريح) (التي) (كان) (٢٤) منير هو  
 الأستاذ منير صالح عبد القادر (الوديع) (الشاعر) (حفظه) (الله) ، وكان (الفتي) (رحمه) (الله) (صديقاً) (أثيراً)  
 (٤) (لكردي) (وصالح) ها (الشاعر) (عبد) (الله) (حسن) (كردي) (وصالح) (عبد) (القادر) (والد) (الأستاذ) (منير)  
 وكان (الله) (يشأ) (جلال) (بالشعر) (وفهم) (منهما) (قبل) (نشره) ، كان (ذلك) في سنة ١٩٤٠ م  
 (٥) شيخ (بني) (العباس) (أخ) هو (الشاعر) (المشهور) (محمد) (سعيد) (العباسي) (رحمه) (الله) ، و (منير) (بشادي)  
 (أخ) (اختصار) (اسم) (لحمزة) (أمر) (ترجي) (أخ) (بفأ) (أخ) (جده) (الشيخ) (أحمد) (الطبيب) (بن) (الشيخ) (العرف) (الصالح)  
 رحمه الله.

ولم يكن (السراج عما بمعزل  
ولا كرف بيته) الذين دعا هم  
مضى عني ذو (لذكاو ذكاوه  
ألم به (لذكاو) فما وهي  
وكان فني قد كنت أنت نجيب  
وذلك جيل قد مضى وكاننا  
مضى صوتك (تهادى) وقد كنت بعك  
فقد جاء هذا (لثوت) فيك يروعا  
يجاور (أضاء) (لثوية) فنجوها  
عاش أنتي فيها وراء عمومها  
خصوصية تلي فيها قد تركتني  
خلفت أختي تما أختي مات (أنجحت  
صروف زمان فإرجات) فضباتها  
ولولاك لم (أبسر) سمرقند أنتي  
صديقي صديق (لعمرم) أول (العبا  
ذكرتك (إذ داري) بفايس بجيبه  
وهأنذا أجي عليك بحرقة  
ههل سمعت صوتي فيارت نوعتي  
عليك من (لثوت) ساد ورحمة

ولاهو عتا باللقاء ضسيت (٦)  
إني حسبي ميل لس (ركون (٧)  
يشع به طرف له وجبين (٨)  
له لبه (والحد من سنين  
ونكرمه) والحق من تصوت  
بدان (غتراب) (الظلام) كيرين ...  
عزلة لناو (لجمن منك) حسنين (٩)  
بكاريتي منها (لجيبك) عهوت  
وفيها سهو (لصابرين) حزنون  
خصمت وفي قلبك عليك حنون  
وحيداً هنا للدهر كيف يخون  
من (لدهر) أيكار (إني) وعون  
ملوك ذوابات لها وهروب  
برؤيتها حقاً (إليك) هدين  
إني أن أرق عصر (لشيب) يحين  
وهانت ذرا تحت (لثرب) دفين  
وملء فؤادي رنة (أبين  
وددت بها نو أستطيع (أبين  
وأنت بفرح وس (لجنان) قمين

عبد الله (لطيب) ١٩٨٢ / ٣ / ١٥

- (٦) السراج هو (شيخ (لطيب) (السراج) (لغوى) (الأديب) (شاعر) توفي سنة ١٩٦٣ م قتيلاً في داره رحمه الله  
(٧) كرف بنتح (لكاف) (لثو) هو (الأستاذ) (الأديب) (شاعر) محمد عبد (لقادر) كرف (حفظه) الله .  
حسن هو (الأستاذ) حسن (بدري) رحمه الله كانت له مكتبة معروفة (للكان) بأمر (درمان) يحتج  
عندها الأديباء و (بلساجون) (استأثر) (بأكثرهم) (لجما) (رحمة) (الله) عليهم .  
(٨) (بن عاي) (يو) (لذكاو) هو (الأستاذ) (الأديب) (شاعر) محمد محمد (علي) رحمه الله .  
(٩) (لهادي) هو (قنبلة) (الأستاذ) (القاضي) محمد (لهادي) (شقيق) (صفي) رحمه الله (عليها) (رحمة) (واسعة) .  
(١٠) (لذكاو) (لذكاو) (فادحات) (فلك) (الفرح) (والنفس) (في) (لذكاو) (نضالها) (وإن) (تم) (توتيتها) (فلك) (لجبر)  
بالإضافة (والصائب) (والصروف) (شعب) (بنات) (لدهر) (فلهدا) (سج) (وصفها) (بأنها) (ملوحات) (لذوا) (لذوا)  
(والقرون) (كما) (كان) (لثوب) (العبدي) .

## دور القرآن الكريم في قراءة وتوظيف حركة التاريخ

د.بخيتة حمد أحمد الجزولي<sup>(١)</sup>

### مستخلص البحث

بما أن القرآن الكريم يمثل دستور نهضة إنسانية شاملة، لذا فإنه استخدم عنصر التاريخ في كثير من آياته المباركة كمادة أساسية في تشكيل البنية الثقافية للعقل المسلم، وعليه عمل القرآن الكريم على توظيف أحداث ووقائع الماضي بشكل يؤدي لنتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة، ومارس القرآن الكريم عملية التوظيف لحركة التاريخ عبر مراحل منها العرض والتجميع للأحداث والوقائع التاريخية المختلفة وفق صور وأساليب متنوعة، كذلك مرحلة استخلاص القوانين والسنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية مستمدة من صميم الأحداث والوقائع للتاريخ، وأن القرآن الكريم يوظف التاريخ للاتعاظ والاعتبار بما جرى للمجتمعات السابقة، كما انطلق القرآن العزيز في توظيفه لحركة التاريخ من الغايات الأخلاقية التربوية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية في بناء الإنسان والحياة بناءً صالحاً، وقد شمل التوظيف القرآني، للتاريخ مجالات مختلفة من الحياة منها مجال الاتعاظ والعبرة وقد اشار القرآن الكريم لهذا المجال، كذلك مجال الفكر والثقافة الذي أحدث فيه القرآن الكريم ثورة هائلة من خلال إثارة الكثير من الموضوعات التي كان يجهلها الإنسان، أيضاً مجال الفكر والسياسية والحكم فإن الإسلام دين سياسة وعمل سياسي، وأن القرآن الكريم كثيراً ما تحدث عن الفكر والعمل السياسي الإسلامي من خلال عروضة التاريخية، كذلك القرآن الكريم عمل على توظيف حركة الجهاد والمرابطة، والقرآن الكريم حشد العديد من آياته نحو فريضة المرابطة والجهاد قال تعالى: (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) سورة الأنفال الآية (٣٩).

كذلك من مجالات توظيف القرآن الكريم لحركة التاريخ مجال الاجتماع والحضارة، وهناك العديد من العروض التاريخية الواردة في القرآن المجيد في هذا المجال، قال تعالى: (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) سورة هود الآية (٦١) كذلك أشار القرآن الكريم لحركة المجتمع، وأعطى القرآن الكريم المجتمع كيانه وشخصيته ودوره المسؤول في التاريخ، كذلك أشار القرآن الكريم إلى حركة الحضارة وعناصر هذه الحضارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى نهوض المجتمعات والحضارات وانحطاطها، وعليه إذا أردنا الاهتداء إلى فقه حركة التاريخ والتوصل إلى تفسيرها وتعليلها ومعرفة عناصرها الأساسية بعلمية وموضوعية فإن القرآن الكريم خير سبيل إلى ذلك كما أخبرنا الحق سبحانه وتعالى: ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) سورة النساء الآية (٢٦).

١ - استاذ مساعد - جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - كلية التربية.

## الفصل الأول أساسيات البحث

### مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وعلى أصحابه المجاهدين ومن والاه إلى يوم الدين.

أن دراسة حركة التاريخ البشري، تتطوي على أهمية بالغة بما تحمله من فوائد جلية، ومعطيات هامة بالنسبة للأمم والشعوب سواء على مستوى قياداتها الحاكمة، أو نخبتها المفكرة أو فئاتها المثقفة أو عموم جماهيرها التواقفة إلى العيش الكريم ناهيك عن خطورتها البالغة، لما تتضمنه من اشارات متنوعة، وتوظيفات هادفة وتحليلات هامة تتعلق بواقعنا الراهن بكل ألوانه واشكالاته الحاضرة. ولعل من أهم الفوائد المرشحة عن دراسة حركة التاريخ أنها تعرف الفرد والأمة بموضع كل منهما ودوره في مسيرة الحياة الإنسانية، فالتبصر بحركة التاريخ والوعي التام بعناصره يزود الإنسان بالرؤية الواضحة لمجريات الواقع الإنساني في الماضي والحاضر ويمنحه القابلية على مرونة التحكم في صياغة المستقبل وسيجنب الجميع أهوال الزمان وغصص الدهر.

وبما أن القرآن الكريم يمثل دستور النهضة الإنسانية الشاملة لذا فإن استخدام عنصر التاريخ في كثير من آياته المباركة كمادة أساسية في تشكيل البنية الأساسية والثقافية للعقل المسلم لترشيد حركته في عمليات البناء والإبداع الحضاري فيعمل على توظيف وقائع وأحداث الماضي بشكل يؤدي إلى نتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة لتحديد مواقفنا أمام الأحداث ولا يهدف القرآن الكريم من توظيف التاريخ إلى استرجاع الماضي وأحياء النزعة التاريخية التي تحاول اختزال الحاضر والمستقبل وتجميدهما في الماضي، بل يهدف إلى تعميق الرؤية العملية للإنسان وإثراء تجربته بتجارب الماضي لجعله أكثر قدرة على ممارسة الدور الحضاري في بناء الحاضر وعليه جاء القرآن الكريم ليحفل بمئات الآيات المباركة التي تعالج قضايا التاريخ وتستخلص منها القيم الإنسانية والتوجيهات الحضارية التي تفيدنا رحلة الأمم السابقة في مراحل قوتها وضعفها.

كما جاء في خطابه سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) (٢).

### أسباب اختيار الموضوع:

١. حاجتنا الماسة نحن المسلمين في هذا العصر لمعرفة وفهم كيف تجري حركة التاريخ وما هو دورنا، وموقعنا فيها وكيف نكتشف ذواتنا ونبث فيها روح الإبداع والتجديد والتأصيل على هدى القرآن الكريم.
٢. أن للقرآن الكريم أثر بالغ وحضور دائم في إثراء ميادين المعرفة البشرية في مختلف نواحي الحياة.
٣. سبب آخر هو تلك الصيحة المحمومة التي أطلقتها بعض دوائر الأبحاث الاستعمارية تحت عنوان نهاية التاريخ.

## مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن هنالك علاقة وثيقة بين القرآن الكريم وحركة التاريخ ولا بد من توضيح هذه العلاقة من خلال طرح بعض الأسئلة الفرعية:

١. هل للقرآن الكريم دور في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة؟
٢. إلى أي مدى استخدم القرآن الكريم عنصر التاريخ في آياته المباركة؟
٣. هل يهدف القرآن الكريم من توظيف التاريخ إلى استرجاع الماضي وإحياء النزعة التاريخية فقط؟
٤. كيف سعى القرآن المجيد في توجيه الفكر والثقافة الإسلامية في اتجاه البناء الحضاري؟
٥. ما هو الهدف من دراسة القرآن المجيد من منظور اجتماعي دقيق؟

## فرضيات البحث:

١. نعم للقرآن دور في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة لأن القرآن الكريم يوظف التاريخ للاتعاظ والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يوسف ١١١. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ النازعات ٢٦.
٢. اتخذ القرآن الكريم عنصر التاريخ في جل آياته من أجل غايات أخلاقية وتربوية تتصل بطبيعة بناء الإنسان والمجتمع بناء صالح.
٣. يهدف القرآن الكريم إلى تعميق الرؤية العملية للإنسان وإغناء تجربته بتجارب الماضي حتى يصبح أكثر قدرة على ممارسة الدور الحضاري في بناء الحاضر والإعداد للمستقبل ، لذلك حفل القرآن الكريم بمئات الآيات التي تعالج قضايا التاريخ.
٤. وضح القرآن الكريم ذلك عندما حدد للمسلم رؤيته للعالم وتاريخه ومستقبله من خلال أصول الدين المتمثلة في الركائز العقدية ، الوحدانية، النبوة .
٥. إن دراسة القرآن الكريم من منظور اجتماعي دقيق تقودنا إلى أن هذا الكتاب المجيد العظيم قد بيّن منهج الحضارات الإنسانية ودلّ على سنن إقامتها وبيّن عوامل أو أسباب هلاك الأمم ودمار الحضارات وألزم الناس بإتباعها ليسعدوا في الدنيا والآخرة ومن ذلك قوله تعالى عن قوم هو: ﴿وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود ٦١

## أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في الآتي:-

- أولاً: أثر الوعي بالقرآن الكريم في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة
- ثانياً: توضيح صلة التاريخ بالقرآن الكريم .
- ثالثاً: معرفة الثقافة القرآنية عن حركة التاريخ وتوظيفها .
- رابعاً: معرفة الملامح المهمة والعامّة لتوظيف القرآن الكريم لحركة التاريخ.

## أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث للآتي:

١. التاريخ بالنسبة للإنسان ليس مجرد ماضي قد تصرموا أنتهى بل نهر متجدد كبير يجري مع الزمن وقد بدأت حركة التاريخ منذ أن خلق الله تعالى آدم وقال للملائكة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>
٢. إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الذي تعرفنا من خلاله بصدق وموضوعية على تاريخ الأمم السابقة والأجيال الغابرة ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.
٣. وعليه فإن دراسته بوعي وتأمل كفيلة بأن تعلمنا كيف نقرأ تاريخنا المعاصر.
- القرآن الكريم لكونه المصدر الإلهي الأول نحو توجيه الإنسان وبناء الحياة بالدعوة الجادة إلى النظر والتدبر في حركة التاريخ، لمالها من آثار معرفية وعملية على حاضر الإنسان ومستقبله.
٤. تبيان آية القرآن الكريم في كيفية استثمار حركة التاريخ وتسخيرها دينياً نحو بناء الإنسان والحياة بتوظيفه للتاريخ في مجالات مختلفة.

## حدود البحث المكانية :

دراسة التاريخ من خلال آيات القرآن الكريم في العالم الواسع.

الحدود الزمانية: مارس ٢٠١٥م.

## منهج البحث:

منهج تاريخي تحليلي استنباطي لا استنتاج العلاقة بين القرآن الكريم وحركة التاريخ.

٢ - سورة الحجر، الآية (٢٩).

٤ - سورة طه، الآية (٩٩).

## مصادر جمع المعلومات :

المصادر الأولية الكتاب والسنة والكتب التاريخية.

## الصعوبات التي واجهة الباحث :

١ . المعلومات عن هذا الموضوع مبعثرة في طيات العديد من المصادر والمراجع.

٢ . قلة الإمكانيات.

## تنظيم البحث :

يشتمل البحث على خمسة فصول في الفصل الأول أساسيات البحث ويشتمل على المقدمة ، مشكلة البحث ، الفرضيات، أسباب اختيار البحث، أهداف البحث، وأهميته ومناهجه وحدوده المكانية والزمانية ، ومصادر جمع المعلومات والصعوبات التي واجهة الباحثة .

الفصل الثاني: يشتمل على مجالات التوظيف القرآني للتاريخ

والفصل الثالث: يوضح حركة المجتمع في التاريخ

والفصل الرابع: يوضح حركة الحضارة في القرآن الكريم

وجاء الفصل الخامس يوضح نهوض المجتمعات والحضارات وانحطاطها في القرآن الكريم ثم الخاتمة، النتائج والتوصيات.

## الفصل الثاني

### مجالات التوظيف القرآني للتاريخ

انطلق القرآن الكريم في توظيفه لحركة التاريخ من الغايات الأخلاقية التربوية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، في بناء الإنسان والحياة، بناء صالحاً فعليه تعامل مع التاريخ بنظرة إيجابية حركية شمولية، دون أن يتوقف عند جزئيات الواقع والأحداث إلا بمقدار ما تكون شواهد ورموز تخدم تلك الأغراض التربوية الإنسانية وشمل التوظيف القرآني للتاريخ مجالات مختلفة من الحياة<sup>(٥)</sup> منها.

### المبحث الأول: مجال الاتعاظ والعبرة

وردت مفردات (العبرة) والموعظة) والذكرى) و(الهدى) في الآيات القرآنية التي تحدثت عن وقائع التاريخ لتكشف عن طبيعة المغزي والمعنى القرآني من رواء ذلك فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، القرآن الكريم اتخذ عنصر التاريخ في آياته الكريمة لغايات أخلاقية تربوية، تتصل بطبيعة بناء الإنسان والمجتمع بناءً صالحاً وبما أن هوية ورسالة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي رسالة تربوية، فالتاريخ ينبغي أن يخدم الرسالة التربوية الأخلاقية في علاقات المسلم الداخلية والخارجية.

كما ينبغي أن يخدم الرسالة والروح الرسالية في العالم وكلما حدث في سلوك المسلم أو سلوك الجماعة الإسلامية انحراف عن الأخلاقية أو انحراف عن الروح الرسالية في ممارسة الحياة والتعامل مع الآخرين فإن التاريخ يستعمل إلى جانب الرسائل التربوية الأخرى والتنظيمية لتصحيح النظرة الخطأ وتقويم مسار الفرد والمجتمع<sup>(٩)</sup>، وقد تنبه كل مؤرخي الإسلام لهذه الوظيفة التاريخية (الموعظة والاعتبار) قال: علي بن الحسين المسعودي عن التاريخ إنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحقق

٥- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، الطبعة الرابعة، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م، ص: ٩٠٠.

٦- سورة يوسف، الآية (١١)

٧- سورة هود، الآية (١٢٠)

٨- سورة النحل، الآية (٨٩)

٩- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ مرجع سابق، ص: ٩١.

والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليتها منه تقبّس وآداب سياسة الملوك وغيرها منه نلتمس<sup>(١٠)</sup>.

وقال أبو علي، مسكويه الرازي أني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت أخبار البلدان وكتب التواريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا تزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبهها وشكلها ورأيت هذا الضرب من الأحداث إذا عرف له مثال مما تقدم، وتجربة لمن سلف فاتخذ إماماً يقتدي به حذر مما ابتلي قوم، تمسك بما سعد به قوم، فإن أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وصار جميع ما يحفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له، وقد دفع إليها، وأحتك بها، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه<sup>(١١)</sup>.

قال: شمس الدين السخاوي عن التاريخ وهو علم غزير النفع كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله، وجرب الأمور بأسرها وباشر الأحوال بنفسه فيعزز عقله ويصير مجرباً غير غر ولا غمر<sup>(١٢)</sup>، أما في العصر الحديث، فقد ذهب لورد اکتون في رسالة إلى كريبتون إلى المعنى نفسه بقوله: (إن القانون الخلفي هو سر سلطة التاريخ وهيبته وفائدته وأن التاريخ أن يكون حكماً بين المتخاصمين ودليلاً للحائرين.

والملاحظ أن القرآن الكريم، عندما يقدم تعاليمه وتوجيهاته التربوية والأخلاقية للإنسان والمجتمع يستعين بدروس وشواهد من أحوال الماضينوما يجري عليهم من طوارق الدهر ونوازل الأيام وما تعرضوا له من النكبات والآلام، وما أصابهم من الهلاك والدمار، ولعل هذا الجانب هو السمة البارزة من سمات القرآن الكريم وإن لم تكن أثنى سماته ولا أصلها<sup>(١٣)</sup>.

### المبحث الثاني: مجال الفكر والثقافة:

القرآن الكريم أحدث ثورة هائلة في عالم الفكر والثقافة الإنسانية، من خلال إنارته العديد من الموضوعات التي كان يجهلها الإنسان، ما دفعه نحو البحث والعلم والمعرفة واخرجه من الخرافة والجهل لأن الجهل الذي لا يعترف به تتولد منه في الغالب ضلالات<sup>(١٤)</sup>.

وهذا ما عاشه الناس قبل الإسلام خصوصاً عرب الحجاز وبدو نجد كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١٥)</sup>.

١٠- محمد عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م، ص: ١٧.

١١- أبو علي مسكويه، تجارب الأمم، تحقيق الدكتور أبو القاسم أمام، دار سروش، طهران، إيران، (١٩٧٠/٥١٤٠م) ج ١، ص: ٢١.

١٢- السخاوي، مصدر سابق، ص: ١٤.

١٣- محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٠م، ص: ٨.

١٤- جان فوراستيه، معايير الفكر العلمي، ترجمة فايزكم نقش، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤م، ص: ٣٧.

١٥- سورة الجمعة، الآية (٢٠).

والفكر في المفهوم الحضاري هو المعلومات والشرائع والمناهج والقيم التي تقوم شخصية الأمة الثقافية والحضارية، وتعطيها سمتها المميزة لها عن الأمم الأخرى ويرسم لها دورها في حركة التاريخ<sup>(١٦)</sup>. أما الثقافة فهي السلوك أو نمط الحياة وطريقة العمل والتفكير والشعور الذي يميز مجتمعاً من المجتمعات<sup>(١٧)</sup>، القرآن الكريم يحرض العقل البشري نحو التفكير الهادف والمنتج عند إجماله النظر والتأمل في آيات الله تعالى المنبثقة في الأفق والأنفس قال تعالى: ﴿سُنِّيهِمْ آيَاتًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَّ يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١٨)</sup>، ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup>. وقد تنوعت وسائل وأدوات التفكير في القرآن الكريم ومنها التفكير في التاريخ وفي حياة ومصير الأمم السابقة<sup>(٢١)</sup>، قالتعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢٢)</sup>. كما أثار القرآن الكريم الفكر البشري، نحو البحث والمعرفة، لتشخيص السنن والقوانين التي تحكم حركة التاريخ، والتأمل في سيرة الماضين يقول: تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾<sup>(٢٣)</sup> ويقول: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>(٢٤)</sup>، وعاقبة الذين من قبلهم، هي من صميم الدراسة التاريخية (عاقبة) ربط بين سبب ونتيجة، لا مجرد رصد لواقع تاريخي هذه العاقبة تحدث إذا توفرت مقدماتها وهذا الترابط هو سنن أو قوانين الحياة<sup>(٢٥)</sup>. وكما يقول: محمد إقبال (التاريخ) أو بتعبير القرآن أيام الله وهو ثالث مصادر المعرفة الإنسانية بناء على ما جاء في القرآن الكريم<sup>(٢٦)</sup>، لهذا تعددت الآيات التي ترد فيها عبارات الحث والترغيب في السير في الأرض والنظر في أحوال الماضين وما أصابهم، وكثيراً ما تختتم بعبارات لعلمهم يتفكرون، أفلا يعقلون، ولعلمهم يفقهون..... الخ وأن الهدف من السير في الأرض هو اكتشاف السنن ما دام الواقع المعاش لا يتيح للمرء

١٦- الشيخ محمد مهدي، مرجع سابق، ص: ٢٢٥.

١٧- إبراهيم الحيدري، الحضارة والمدنية أطروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع، الجزائر، عناية ١٩٨٣م، ص: ٤٤.

١٨- سورة فصلت، الآية (٥٢).

١٩- سورة البقرة، الآية (٢٤٢).

٢٠- سورة الحديد، الآية (١٧).

٢١- الشيخ مرتضى المطهري، التربية والتعليم في السودان، بيروت، دار الهادي ١٩٩٣م، ص: ٢٢٥.

٢٢- سورة الأعراف، الآية (١٧٦).

٢٣- سورة محمد، الآية (٣).

٢٤- سورة آل عمران، الآية (١٣٧).

٢٥- عبد العزيز كامل، القرآن والتاريخ، مجلة عالم الفكر، ١٩٨٢م، ج ٢، ص: ٤٤.

٢٦- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، القاهرة، ١٩٦٨م، ص: ١٥٩.

أن يرى الصورة كاملة بكل أبعادها والسير في الأرض ليس سيراً في مكان فقط ولكنه أيضاً سير في الزمان حتى نرى قصة البشرية كاملة في رشدتها وغيها، والعواقب التي آلت إليها<sup>(٢٧)</sup>، وقد غاص القرآن الكريم بالفكر الإنساني نحو أعماق التاريخ وبادياته الأولى، عندما ما نقله إلى النظر والتأمل في الصفحات الأولى، لخلق الإنسان والظروف والعمليات التي رافقته قال: تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢٩)</sup>. فقد خص القرآن المجيد مشاهد خلق الإنسان الأول وما مر به من صراع حاد مع عدوه إبليس ذلك الصراع الذي شكل بداية الانعطاف الحضاري في حركة التاريخ<sup>(٣٠)</sup>، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَال يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَتَلَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١﴾.

حيثما تنقلنا في أرجاء القرآن الفسيحة لقراءة الآيات والمقاطع الخاصة بحركة التاريخ البشري، وجدناها ترتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالنظرة العقدية للإسلام، فهي تحمل بين طياتها أفكاراً ومفاهيم تدخل في تأسيس المنظومة العقائدية لهذا الدين، وتؤسس

٢٧- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الشامية ١٩٩٨م، ص: ٢٣.

٢٨- سورة العنكبوت، الآيات (١٩-٢٠).

٢٩- سورة العنكبوت، الآية (٢٠).

٣٠- محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق، ص: ٤٠.

٣١- سورة البقرة الآيات من (٣٠-٢٩).

ثقافة المسلم الشاملة للكون والحياة بذلك تكون العروض التاريخية في القرآن الكريم قد أعطت العقيدة الإسلامية تصوراً تاريخياً واضحاً للكون منذ الخلق حتى يوم القيامة، وربطت بين المبدأ أو المنتهي بحلقات الأنبياء، وأعطت لمبدأ الخلق صورة لا تقل عنها وضوحاً صورة الآخرة وجعلت ما بين الطرفين فترة عبور<sup>(٣٢)</sup>.

أذن الفتح القرآني الجليل القائل بأن للساحة التاريخية سنن وضوابط هو الذي مهد إلى تنبيه الفكر البشري<sup>(٣٣)</sup>، أن يتعمق في دراسة حركة التاريخ، ليخرج بالعقل الإنساني من نظرتة السطحية الظاهرة للتاريخ إلى النظرة العميقة الواعية التي تربط بين الأسباب والمسببات، فجعلت من العقل البشري (عقلية تركيبية) تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من قوة حشود الظواهر بحثاً عن العلائق والارتباطات، ووصولاً إلى الحقيقة المرجاة<sup>(٣٤)</sup>.

### المبحث الثالث: مجال السياسة والحكم:

يحتل الفكر السياسي والمفاهيم السياسية، مساحة واسعة من الفكر الإسلامي فالإسلام دين سياسة وعمل سياسي ويعتبر العمل والجهاد السياسي في الإسلام في طليعة مهام ومسؤوليات الإنسان المسلم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup>.

وكثيراً ما تحدث القرآن الكريم عن الفكر والعمل السياسي الإسلامي خلال عروضه التاريخيه، حيث العلاقة الوثيقة بين أحداث التاريخ والعلوم السياسية فقد بين البروفيسور (سيلي) مدى الارتباط الوثيق بينهما بقوله: ( إن علوم السياسة هي ثمرة التاريخ وإن التاريخ هو جذر علم السياسة )<sup>(٣٦)</sup>.

إن استرداد التاريخا لوقائع التي وردت في القرآن الكريم ودراستها وتحليلها وفقاً لمنهج الاستقراء والاستدلال والمقارنة يكشف عن طبيعة وجهة التاريخ السياسي الذي عاشته البشرية منذ بدء الخليفة حتى يومنا الحاضر كما يضع بين أيدينا تجربة سياسية هائلة كفيلاً بأن تمنحنا ثقافة ووعياً سياسياً يمنعنا من السقوط في أحضان الضلال ومرديات الهوى بذلك يصبح التاريخ هو المرابي الشريف للمدنيات الحديثة ولقد مارس

٢٢- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م، ج ١، ص: ٥٨.

٢٣- سميح عاطف الزين، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م، ص: ٢١.

٢٤- عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ص: ٤٩.

٢٥- سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

٢٦- باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٢م، ص: ٥١.

الأنبياء عملهم وفق سياسية منهجية عملت على إشاعة العدل ونشر الحق وإحلال الوفاق الاجتماعي بين الناس ولا تتحقق سلامة المجتمع من الضلال والفساد الا بسلامة فكره وعمله السياسي.

ويقرر القرآن الكريم ما للفساد السياسي من أثر كبير في تدمير المجتمع بفعل الدور الذي تلعبه السلطة السياسية الغاشمة في حياة الشعوب والأمم<sup>(٢٧)</sup> كما في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup>.

يؤكد القرآن الكريم أن فعل القوى الحاكمة المجرمة في مجتمعاتها يقوم على أساس التسلط والاستكبار إرضاء لمصالحهم ويؤدي ذلك إلى تدمير هذه المجتمعات وهذا ما أشارت إليه بلفظ ملحة سباً فيما حكاها القرآن الكريم على لسانها لذلك كان في طبيعة أهداف السياسة النبوية عبر التاريخ إطلاق حريات الناس وتخليصهم من كل الأغلال والقيود التي يفرضها الطغاة<sup>(٢٩)</sup> قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ أَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

ويميز القرآن الكريم في عروضه التاريخية نوعين من السلطات الحاكمة منها السلطة المستبدة وهذا النوع هو النموذج الفرعوني الطاغوتي الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قولته تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٤١)</sup>.

النوع الثاني السلطة الراعية للمجتمع وهو النوع الذي جسده نبي الله داؤود عليه السلام الذي آتاه الله مع النبوة الملك والسلطان وكذلك السلطة التي تعتبر نموذجية وجسدت مفهوم الرعاية للأمة هي سلطة الرسول الأكرم ﷺ التي عبر عنها القرآن الكريم أجل تعبير قالته تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤٢)</sup>.

فالحاكم في الإسلام أخ للرعية وأمين على مصالحها والقرآن الكريم في ذكره لقصص

٢٧- المرجع نفسه، ص: ٥٤.

٢٨- سورة الأنعام، الآية (١٢٣).

٢٩- ملحم قربان، المنهجية السياسية، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩٢م، ص: ٢٥.

٤٠- سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

٤١- سورة القصص، الآية (٢٨).

٤٢- سورة التوبة، الآية (١٢٨).

الأمم السالفة ذكر نماذج للفكر والعمل السياسي الواعي منها ما مارسته تلك المرأة بلقيس ملكة سبأ عند وصولها كتاب سليمان عليه السلام يدعوها فيه للدخول في طاعته التي من طاعة الله تعالى<sup>(٤٣)</sup>، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ × أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ × قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون × قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ × قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ × وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٤﴾ .

ونجد في العروض التاريخية التي تضمنتها آيات القرآن الكريم حديثاً موسعاً حول موقف (الملأ) كل ملأ في التاريخ وهم الحاشية أو الطبقة المحيطة بالملك أو صاحب السلطان وهي بمثابة هيئة المستشارين في نظم السياسة المعاصرة<sup>(٤٥)</sup>.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ × قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٦﴾ ، وهكذا يوظف القرآن الكريم كثيراً من أخبار الماضي نحو التثقيف والتوعية السياسية لأثرها في مسيرة حركة التاريخ<sup>(٤٧)</sup>.

ويميز القرآن الكريم في عروضه التاريخية بين نوعين من السلطات الحاكمة:

النوع الأول: هو السلطة المستبدة التي تكون وظيفتها الأساسية تغذية نفسها وتدعيم مركزها. أما النوع الثاني فهو عكس الأول: السلطة النموذجية التي جسدت مفهوم الرعاية للأمة والحفاظ على مصالحها وهي سلطة الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٨﴾ .

٤٣- محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق، ص: ٤٨.

٤٤- سورة النمل، الآيات (٢٩-٣٥).

٤٥- محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات وسقوطها، القاهرة المعهد العالمي بدون تاريخ طبع، ص: ٧٦.

٤٦- سورة الأعراف، الآيات (٥٩-٦٠).

٤٧- ملحم قربان، مرجع سابق، ص: ٣٧.

٤٨- سورة التوبة، الآية (١٢).

## المبحث الرابع: مجال المرابطة والجهاد:

وأوضح القرآن الكريم أهداف وغايات الجهاد بدقه اختياره لمصطلح (الجهاد) فقد تجنب استخدام لفظه الحرب وغيرها من الكلمات التي تؤدي إلى معنى القتال واستخدام كلمة الجهاد إلى معنى بذل الجهد والسعي فالعنوان الكبير تتدرج فيه المرابطة والجهاد في القرآن الكريم هو (سبيل الله) <sup>(٤٩)</sup> حيث ينادي القرآن الكريم بأعلى صوته ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ <sup>(٥٠)</sup>.

فالمؤمنون يقاتلون في سبيل الله وفي خط الله تعالى وهو خط صلاح البشرية ونهوض الحضارة، أما الذين كفروا يقاتلون في خط الفساد وعرقلة حركة التاريخ وهكذا تتحصر دوافع القتال في سبيل الله بالباعث الأسمى وهو الإيمان بالله تعالى والتصديق برسله وبالمطلب العاجل وهو العمل على أعلاء كلمة الله ونشر دينه وبناء الحضارة الإسلامية وبالغاية القصوى هي ابتغاء مرضاة الله ونيل ثوابه الذي أعده للمحسنين <sup>(٥١)</sup>.

ولابد من التنويه إلى أن منهج السلام العالمي في الإسلام هو من طبيعة هذا الدين وقد عملت جميع الرسالات الإلهية عبر التاريخ على إشاعة السلم، ونشر روح السلام بين بني البشر فالله تعالى هو السلام، ويدعو عباده كافة إلى الدخول فيه قالتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ <sup>(٥٢)</sup> (١) تبين هذه الآية الكريمة أن الإيمان وحده هو القادر على إحلال السلام في النفس الإنسانية بعد أن يحل تناقضاتها الداخلية، وعلى إحلال السلام في المجتمع البشري بعد أن يقيم القاعدة الإنسانية الفطرية القويمة التي تقوم عليها علاقات الأفراد في جميع مجالات الحياة <sup>(٥٣)</sup>.

أن القرآن المجيد يحشد العديد من آياته نحو فريضة المرابطة والجهاد قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ <sup>(٥٤)</sup> وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ <sup>(٥٥)</sup>. قالتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ <sup>(٥٦)</sup>.

٤٩- أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، بيروت، بدون تاريخ طبعة، ص: ١١.

٥٠- سورة النساء، من الآية (٧٦).

٥١- عبد الرحمن حسن حنيفة، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، دمشق، ١٩٧٠م ص: ٢٩٥.

٥٢- سورة البقرة، الآية (٢٠٨).

٥٣- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، ج٢، ص: ٤٩.

٥٤- سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

٥٥- سورة البقرة، الآية (١٩٠).

٥٦- سورة التوبة، الآية (٧٢).

ومن خلال دراسة آيات المرابطة والجهاد الواردة في القرآن الكريم والتي تحدثت عن مختلف الصراعات بين الحق والباطل وما حصل بين إتباعها عبر التاريخ نستنتج أن مشروعية الجهاد والمرابطة نابعة من أصل مبدأ السلم والسلام العالمي.

فالجهاد تدافع بين بني البشر يحرك الحياة ويدفع بها نحو الغايات النبيلة كما يمنح الناس استقرارهم ويصلح أوضاعهم وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٥٧)</sup>، فالجهاد سبيل لإخماد كل فتنه تثيرها القيادات الشيطانية المتآمرة على الإنسان لإغوائه وجره نحو منحدرات الشر والفساد وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٥٨)</sup> ويؤكد القرآن المجيد، أن ترك الجهاد، والفرار من الزحف، مدعاة إلى تعرض المجتمع إلى العذاب والإذلال قال تعالى: ﴿إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

فأي أمة امتنعت عن الجهاد، ابتليت في حياتها بالذل والفقر والهزيمة وعلى العكس فإن الأمم المجاهدة، تكون صاحبة مجد وعزة وسيادة وهذا ما أوضحه الإمام علي كرم الله وجهه في خطبة قال: فيها أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله توب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالإسهاب واذيل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف<sup>(٦٠)</sup>.

وقد يرهن التاريخ على إن الشعوب التي تتصرف في معركة البقاء هي الشعوب التي تتصرف بالشجاعة والجد والصبر<sup>(٦١)</sup>.

### المبحث الرابع: مجال الاجتماع والحضارة:

لم ترد كلمة (مجتمع) في القرآن المجيد بل جاءت بديلا عنها كلمات أخرى مثل (الأمة) والقرية) و(القوم) للدلالة على مفهومها كما في قوله: تعالى( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت

٥٧- سورة الحج، الآية (٤٠).

٥٨- سورة الأنفال، الآية (٣٩).

٥٩- سورة التوبة، الآية (٣٩).

٦٠- ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، ج ٢، ص: ٧٤.

٦١- محمود الشرفاوي، التفسير الديني للتاريخ كتاب القاهرة، الشعب، ١٩٧٥م، ج ١، ص: ٢٥٩.

ولکم ما کسبتم<sup>(٦٢)</sup>. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٦٣)</sup>، وکم أهلکنا من قرية بطرت معیشتها<sup>(٦٤)</sup> (وما کان جواب قومہ إلا أن قالوا أخرجوهم من قریتکم إنهم أناس یتطهرون)<sup>(٦٥)</sup> یعنی مصطلح المجتمع جماعة من الناس يعيشون معا في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة كما ینظرون إلى أنفسهم ککیان متمیز<sup>(٦٦)</sup>، فالمجتمع إذا جماعة من الناس يعيشون في کيان اجتماعي واحد ویتأثرون بعامل مشترك في العقائد والأهداف (وقد عرف مالک بن نبي واصفاً المجتمع هو ليس مجرد مجموعة من الأفراد هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقاً لنظام معين)<sup>(٦٧)</sup> ومثال لذلك المجتمع الإسلامي الذي أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام والذي سادته نظام معين له طابعه الإنساني الأصيل قائلتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٦٨)</sup>، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وعليه المجتمع عبارة عن جماعة إنسانية تتحرك في مسار تاريخي معين وتبدأ من نقطة محدودة في الزمان يمكن أن تطلق عليها مصطلح ميلاد.<sup>(٦٩)</sup>

أمامصطلح الحضارة ففي معاجم اللغة العربية فهو مشتق من الفعل (حضر) وكلمة حضارة تقابل كلمة بدوة وكذلك كلمة حضارة تقابل كلمة بادية والحضارة الإقامة الحضر والحضر هي المدينة والقرى هي الريف فالحضارة ضد البدوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وقد عالج بن خلدون مفهوم الحضارة في مقدمته فاعتبر الحضارة غاية في البدوة وان أصل الحضارة في اللغة هو الإقامة والاستقرار في المدن واستخدم القران الكريم مصطلح القرية والقرى في حديثه عن إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى المجتمعات البشرية<sup>(٧٠)</sup>، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾<sup>(٧١)</sup> ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾<sup>(٧٢)</sup>

٦٢- سورة البقرة، الآية (٢٤).

٦٣- سورة فاطر، الآية (٢٤).

٦٤- سورة الأعراف، الآية (٨٢).

٦٥- طلعت همام، سين وجيم عن علم الاجتماع، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م، ص ٥.

٦٦- مالک بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، ١٩٨٩م، ص ١٧.

٦٧- المصدر السابق، ص ٢٠.

٦٨- سورة التوبة، الآية (٧١).

٦٩- مالک بن نبي، مصدر سابق، ص ٢١.

٧٠- أحمد إبراهيم الشريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ١٩٨١م، ص ١١.

٧١- سورة الأعراف، الآية (٩٤).

٧٢- سورة الفرقان، الآية (٥١).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(٧٣)</sup>، وبما أن القرية اسم يطلق على المدينة الكبيرة وهي مدينة زعماء الأمة ورؤسائها وهي تسمى في عرف المصطلحات الحديث بالعاصمة ومنه نستوحي أن القرآن الكريم يرى أن الحضارة تبدأ من القرى ثم تعم ما حولها وأن الحضارة جزء من التاريخ أو هي نتاج جانبي للتاريخ وأن هنالك تداخل عميق وترابط بين حركة المجتمع الإنساني وبين حركة الحضارة وأن دراسة القرآن الكريم من منظور اجتماعي دقيق يدلنا على أن هذا الكتاب الكريم قد بين منهج الحضارات الإنسانية وسنن إقامتها وعوامل أسباب هلاك الأمم ودمار الحضارات قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾<sup>(٧٤)</sup> وعليه فإن القرآن الكريم يؤكد الترابط بين المجتمع والحضارة والتاريخ وإن المجتمعات الحضارية قد ساهمت بشكل واضح في صناعة التاريخ<sup>(٧٥)</sup>.

٧٢- سورة هود، الآية (١١٧).

٧٤- سورة هود، الآية (٦١).

٧٥- سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، ج٢، ص٢٠-٢٥.

## الفصل الثالث

### حركة المجتمع في القرآن الكريم

**المبحث الأول: كل مجتمع له عمر محدود يعبر عنه القرآن الكريم بالأجل:**  
 لحركة المجتمع في الحياة أثر فاعل في تحديد وتوجيه مسيرة حركة التاريخ إذ هي نتيجة نشاط المجتمع الإنساني وفعله في الزمن، وقد أعطى القرآن الكريم للمجتمع كيانه وشخصيته ودوره المسؤول في التاريخ حيث أعتبر له وجوداً وأجلاً وكتاباً وعملاً وطاعة ومعصية ولو لم يكن للمجتمع وجود حقيقي لا يصح نسبة كل هذه الفعاليات الحركية له فالقرآن الكريم يقرر لكل مجتمع كيانه وشخصيته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى وفق خصوصيات معينة<sup>(٧٦)</sup> منها.

كل مجتمع له عمر محدود يعبر عنه القرآن الكريم بـ (الأجل) قالتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(٧٧)</sup>، الأجل هو أمد مضروب لحياتها (الأمة) مقدر فيما وضع الخالق سبحانه وتعالى من السنن لوجودها ونلاحظ في هاتين الآيتين الكريميتين أن الأجل أضيف إلى الأمة إلى الوجود الاجتماعي للناس وليس لهذا الفرد وبالذات أو ذلك إذاً لكل إنسان بوصفه الفردي أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي وهذا المجمع الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالأمة له أجل، له موت، له حياة، له حركة ويؤكد القرآن الكريم حتمية هذا الأجل بالساعات كواقع لا مفر منه بالنسبة للأمم التي حادت عن جادة الحق<sup>(٧٨)</sup> قالتعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ × مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾<sup>(٧٩)</sup>.

### المبحث الثاني: كل مجتمع له كتاب يختص بحياته:

قالتعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾<sup>(٨٠)</sup>، قالتعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ × هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨١)</sup> هذه الآيات تدل أن لكل مجتمع كتاب وصحيفة أعمال تسجل فيها كل أعماله وتصرفاته التي يمارسها كما أن لكل فرد من الأفراد كتاباً يختص

٧٦- أحمد إبراهيم شريف، مرجع سابق، ص: ٢٢.

٧٧- سورة الأعراف، الآية (٣٤).

٧٨- السيد محمد الباقر الصدر، المدرسة القرآنية، مؤسسة الطبع الأستانة، بدون تاريخ طبع، ص: ٥٦-٥٧.

٧٩- سورة الحجر، الآيتان (٤-٥).

٨٠- سورة الحج، الآية (٤).

٨١- سورة الجاثية، الآية (٢٨).

به، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعماله أو تصرفاته إلا أحصاها. قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ  
الزَّمَانَةَ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك  
اليوم عليك حسيباً ﴿<sup>(٨٢)</sup> .

وجود هذا الكتاب الجامع لأعمال المجتمع يعني أن الفعل التاريخي للمجتمع هو الذي  
يحرك التاريخ ليس الفرد، وبذلك يتحمل المجتمع نفسه نتائج أعماله ويحاسب عليها،  
دون تمييز بين من يستحق أو لا يستحق يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ <sup>(٨٣)</sup> ، قال ابن عباس أ: ( أمر الله المؤمنين إلا  
يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب ) <sup>(٨٤)</sup> ، لأنه إذا وقعت الواقعة أخذت مجراها  
وأثرت أثرها طبيعية كانت أو اجتماعية ولا تدخل في حسابها الاشقياء والابرياء ) <sup>(٨٥)</sup> .

٨٢- سورة الإسراء، الآيات (١٣-١٤).

٨٣- سورة الإسراء، الآيات (١٣-١٤).

٨٤- تفسير القرطبي، ج٧، ص٢٤٨.

٨٥- الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير المبين، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ص: ٢٣٠.

### المبحث الثالث: كل مجتمع له عمله وسلوكه الخاص به:

ينسب القرآن الكريم لكل أمة عملاً خاصاً وسلوكاً معيناً فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٨٦)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٨٧)</sup>.

قال: السيد محمد رشيد رضا أي ومن قوم أيضاً جماعة عظيمة يهدون الناس بالحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى ويعدلون به دون غيره إذا حكموا بين الناس لا يتبعون فيه الهوى، ولا يأكلون السحت والرشي فالظاهر المتبادر أن هؤلاء ممن كانوا في عصره وبعد عصره حتى بعد ما كان من ضياع أصل التوراة ثم وجود النسخة المحرفة بعد السبي، فإن الأمم العظيمة لا تخلو من أهل الحق والعدل، وهذا من بيان القرآن الكريم للحقائق، وعدله في الحكم على الأمم<sup>(٨٨)</sup>. وإذا كان لكل أمة عملها وسلوكها الخاص بها، فذلك يعني أن لها تاريخها الخاص بها قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨٩)</sup>، فالآية الكريمة تشير إلى أن هذا التاريخ هو تاريخ الأمم السابقة فيما عملت وفيما كسبت ولستم مسؤولين عن كل أعمالهم في قليل أو كثير، بل هم المسؤولون عن كل أعمالهم أما أنتم فلكم تاريخكم المستقل المتمثل في أعمالكم التي تكسبون بها الجنة أو النار فعليكم أن تواجهوا مصيركم من خلال ذلك وتحذروا خطواتكم العملية من خلال دراستكم للنتائج المصيرية لخطوات الآخرين<sup>(٩٠)</sup>.

٨٦- سورة الأعراف، الآية (١٨١).

٨٧- سورة الأعراف، الآية (١٥٩).

٨٨- السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٤٧/٥١٣٦٦م ج٩، ص: ٣٦٣-٣٦٤.

٨٩- سورة البقرة، الآية (١٣٤).

٩٠- السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، الطبعة الثانية، مكتبة التفاسير ١٩٩٨م، ج٣، ص: ٤٤.

### المبحث الرابع: لكل مجتمع شعوره و ذوقه الذي يتميز به عن غيره:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾<sup>(٩١)</sup>، إن تزيين الأعمال للأمة عبارة عن سنة الله تعالى في أعمالها وعاداتها وأخلاقها المكسوبة والموروثة وهذه الآية تدل على أن كل أمة لها شعور واحد ومقاييس خاصة، وأسلوب خاص للتفكير وأن كل الإدراك والشعور الاجتماعي لكل أمة يختص بها وأن كل أمة لها مقاييسها الخاصة في الحكم ولكل أمة ذوق إدراكي خاص بها وربما تستحسن أمة عملاً بينما تستقبحه أمة أخرى فالجو الاجتماعي الخاص للأمة يصنع ذوقها الإدراكي وعندما يكون للأمة شعور واحد يسود كل أفرادها فمعنى ذلك أنه إذا صدر فعل عن أي فرد من أفرادها كأنما صدر ذلك الفعل عن الجميع لذا فإن القرآن الكريم أحياناً ينسب الفعل الصادر عن الفرد إلى الجميع وعندما ينزل العذاب الإلهي فإنه يعم الجميع كما هو الحال في قصة ثمود، حيث أن الذي عقر الناقة شخص واحد لكن القرآن الكريم اعتبرهم جميعاً مذنبين ونسب الفعل إليهم<sup>(٩٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا × إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا × فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا × فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا × وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾<sup>(٩٣)</sup>، وأن الذي عقرها هو الأشقى ولكنهم جميعاً حملوا النتيجة وعدوا أنهم عقروها لأنهم لم يضربوا على يده بل استحسنوا فعلته وهذا مبدأ من المبادئ الإسلامية الرئيسية في التكافل في التبعية الاجتماعية في الحياة الدنيا وأن القرآن المجيد ينسب الطاعات والمعاصي لكل فرد من الأفراد ويحمله جزاء أعماله التي اكتسبها بنفسه ليلاقي جزاءه قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَّعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>(٩٤)</sup>، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾<sup>(٩٥)</sup>، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(٩٦)</sup>، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٩٦)</sup>، سنة الله في الخلق تحتم أن يكون حصاد الإنسان من جنس ما زرع<sup>(٩٧)</sup>.

٩١- سورة الأنعام من الآية (١٠٨).

٩٢- محمد سيد رضا، مرجع سابق، ص: ٣٦٤.

٩٣- سورة الشمس، الآيات (١١-١٥).

٩٤- سورة البقرة من الآية (٢٨٦).

٩٥- سورة المدثر، الآية (٣٨).

٩٦- سورة الزلزلة، الآيات (٧-٨).

٩٧- سيد قطب، مرجع سابق، ١٩-٣٩.

## الفصل الرابع

### حركة الحضارة في القرآن الكريم

تنظم مكونات الحضارات ثلاثة عناصر أساسية لا غنى لواحد منها عن آخر وهي إنسان (كينونة وزمان) وهو الكائن المعد لتحمل المسؤولية المؤهل للقيام بالدور الحضاري الذي يدخل الزمان في كينونته باعتبار الإنسان حقيقة زمانية لا تفصل عن الزمان.

فكر (عقيدة وثقافة) وهو الموجة المعنوي لخطوات الإنسان نحو بناء الحضارة أشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية) يدعي بالجانب المادي من الحضارة أو ما يسمى بالمدينة وقد غذى القرآن الكريم هذه العناصر الحضارية الثلاثة الإنسان، الفكر، الأشياء أو الموجودات بشكل فاعل في سبيل تحقيق الانجاز الحضاري للإنسانية<sup>(٩٨)</sup>

### المبحث الأول: الإنسان صانع الحضارة في القرآن الكريم:

حظي الإنسان باحترام بالغ، وتقدير لا يوصف في ظل القرآن الكريم حيث شرفه تعالى بمقام شامخ ومسؤولية عظيمة حيث جعله خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجود له قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿فَإِذَا سُوِّتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٩٩)</sup>، تحدث القرآن الكريم عن أعباء وخطورة هذه الخلافة للإنسان بوصفها أمانة عظيمة أشفق الكون عن حملها، قالتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(١٠٠)</sup>. وقال: تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّن الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١٠١)</sup>، كل ذلك حتى يؤدي الإنسان دوره في الاستخلاف كدحا متواصل طوال مسيرة حياته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ قِيَهُ﴾<sup>(١٠٢)</sup> وهذه الآية تؤكد أن هذه الخلافة حركة دائبة نحو قيم الخير والعدل والقوة لذلك كرس الأنبياء جهودهم عبر التاريخ على صقل الإنسان وتهذيبه<sup>(١٠٣)</sup>.

والإنسان سيد الأرض بصلاحه تصلح الحياة وتدفع إلى الرقي والازدهار وعلى العكس فإن فساده وخراب شخصيته يجر هذا العالم إلى الظلام الدامس ولذلك استحقت بعض المجتمعات لعنات و غضب الله تعالى عليها.

٩٨- مالك بن نبي، مرجع سابق، ص: ٢٧.

٩٩- سورة ص، الأيتان (١٧-٧٢)

١٠٠- سورة الأحزاب، الآية (٧٢).

١٠١- سورة الإسراء، الآية (٧٠)

١٠٢- سور الإنشفاق الآية (٦)

١٠٣- السيد محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، بيروت، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص: ٢٢.

## المبحث الثاني: الفكر موجه للحضارة في القرآن الكريم:

وهو ما يصطلح عليه بالمقوم الثقافي للحضارة ويقصد به ذلك النشاط الفكري، الغني، وما يصدر عنه من ضروب المعرفة والتصورات الجمالية وبهذا يدخل في نطاق المقوم الثقافي للحضارة جميع الفنون والفلسفات على اختلاف مذاهبها وألوانها إذ أن الحضارة هي كل معقد ومركب نسيج متشابك من أفكار الإنسان ومعتقداته ونشاطاته وفي القرآن الكريم دعوة جادة إلى تنشيط العقل والروح نحو بناء هذه الموجة الحضارية وقد حثت آيات القرآن الكريمة الإنسان بشكل موسع إلى التبصير بحقيقة نفسه ووجوده وارتباطه بالكون ليتعرف عن وعي على آيات الله تعالى في الأفاق والأنفس<sup>(١٠٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١٠٥)</sup>، وقد دعا القرآن الكريم إلى دراسة حركة التاريخ وكيف بدأ الخلق والنواميس الاجتماعية والتعرف على آيات الله تعالى في خلقه وأن الغفلة عن إدراك آيات الله تعالى في هذا الكون تفقد الإنسان ميزاته الأساسية وأمانته التي حمله الله إياها والسلطان الذي أعطاه له ويصير الإنسان المكرم في أسفل سافلين<sup>(١٠٦)</sup>.

فالتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١٠٧)</sup> وخطى القرآن الكريم خطوة أبعد من عملية التفكير والتنقيف عندما دعي إلى توجيه هذا الفكر وهذه الثقافة توجيهاً حركياً داخل المجتمع على كل المستويات الروحية والأخلاقية وقد منح الله تعالى أنبياءه العظام الحكمة<sup>(١٠٨)</sup>، ليعلموها للناس قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١٠٩)</sup>، فالحكمة هي توظيف وتوجيه الكتاب نحو التمسك به في الخط العملي في الحياة والحكمة هي القدرة على توجيه الأفكار وعندما تحدث القرآن المجيد عن ملك داود عليه السلام قرن معه الحكمة باعتبارها عنصراً أساسياً في مسيرة الحكم والملك وهي أساس بناء الحضارة الإنسانية وعمل القرآن الكريم على توجيه الفكر والثقافة الإسلامية في اتجاه البناء الحضاري فكذلك كان من أولى مهام الأنبياء عليهم السلام بناء الأخلاق وتشديدها في النفوس وهو الهدف الأسمى الذي جاء الإسلام من أجل تحقيقه وصدق رسول الله عليه السلام حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)<sup>(١١٠)</sup>.

١٠٤- أحمد إبراهيم الشريف، مرجع سابق، ص: ٦٤.

١٠٥- سورة فصلت، الآية (٥٣)

١٠٦- جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ١٩٨٤م، ص: ١٨٢- ١٨٤.

١٠٧- سورة الأنفال، الآية (٢٢)

١٠٨- مالك بن نبي، مرجع سابق، ص: ٦٧.

١٠٩- سورة الجمعة، الآية (٢)

١١٠- غوستان لوبون، السنن النفسية لتطوير الأمم، الطبعة الثانية، مصر، دار صادر، ١٩٧٥م، ص: ١٧٢.

### المبحث الثالث: الأشياء أو الموجودات وأثرها الحضاري في القرآن الكريم؛

يؤكد القرآن الكريم في آيات عديدة أن الله تعالى قد سخر مافي الكون لخدمة الإنسان، ليقوم بدوره الحضاري في حظ الاستحلاف في الأرض قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(١١١)</sup> وقالتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١١٢)</sup>. وتفسير ذلك أن الله تعالى قد وضع للبشر كنوزاً في السماء والأرض والبحار والأنهار والأشجار والدواب والزواحف والطيور وعلى الإنسان أن يعمل وفق القواعد والأسس العلمية الصحيحة وأن الله سبحانه وتعالى لم يضع هذه الكنوز وضعا عشوائيا بل حسب معدلات وقواعد علمية محدودة وقد بين القرآن الكريم من خلال التاريخ نماذج لعلاقة بين الإنسان والطبيعة وكيفية استثارها وتسخيرها بشكل متوازي كما حصل لداوود وسليمان عليهما السلام فاستطاعا أن يبنيا حضارة سامقة وذلك ماحدثنا به القرآن المجيد وقد أشارت العديد من آيات القرآن الكريم إلى قمة الاندماج الحضاري الفاعل بين الإنسان الكامل والقوى غير المبرئية والطبيعية<sup>(١١٣)</sup>. وهذا لا يتحقق إلا في ظل رسالة الإسلام وذلك ما تصرح به الآية المباركة قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١١٤)</sup>.

وعليه تمثل مسألة الإيمان بالله تعالى في حركة الدين المعامل الأساسي والحضاري الذي يدفع الإنسان المؤمن بإرادته لأن يمتزج مع الزمن والتراب لتوجه نحو الاتجاه الصحيح في الحياة لأن العقائد والمبادئ تنزل إلى أعماق الأمة وتخالط وجدان الإنسان وبالتالي تصبح القدرة الحقة المحركة للتاريخ الاجتماعي والحضاري للأمم وعليه كانت مناهج الأنبياء تركز على العقيدة قبل كل شئ وهذا ما أعتمه القادة المصلحون والثوار الاجتماعيون والمحاربون عبر التاريخ لتحقيق أغراضهم ونيل أهدافهم<sup>(١١٥)</sup>.

١١١- سورة إبراهيم، الآيات (٣٢-٤٣)

١١٢- سورة الجاثية، الآية (١٣)

١١٣- عبد الحلیم عویس، تفسير التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الصحوة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص: ٢٢.

١١٤- سورة الأعراف الآية (٩٦).

١١٥- محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ص: ١٨٨-١٨٩.

## الفصل الخامس

### نهوض المجتمعات والحضارات والانحطاط في القرآن الكريم

#### المبحث الأول: العدل والظلم:

المجتمعات والحضارات كيانات حية قابلة للنهوض والانحطاط وللحياة والموت وتحدث القرآن الكريم عن دور الرسول ﷺ في أحياء ونهوض المجتمع قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup>، فهي دعوة إلى الحياة بكامل صورها وبكل معانيها أنه يدعوهم إلى عقيدة تحي القلوب والعقول يدعوهم إلى شريعة من عند الله سبحانه وتعالى توضح تكريم الإنسان إلى منهج للحياة وللحياة وللحياة والتصور يدعوهم إلى القوة والعزة والرفعة بعقيدتهم ومنهجهم يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله وأن هذا الدين منهج حياة كاملة منهج واقعي تنمو الحياة في ظله و تترقى<sup>(١١٧)</sup>.

كما تحدث القرآن الكريم أيضاً عن انحطاط المجتمعات وسقوط الحضارات قالتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾<sup>(١١٨)</sup>.

وعليه فإن القرآن الكريم يطرح على البشرية خلال عروضه التاريخية أهم الأسباب والعوامل لقضية نهوض المجتمعات والحضارات ونذكر منها على سبيل المثال.

#### ١. العدل والظلم :

العدل يشكل أحد العناصر الأساسية في تركيبة البناء الاجتماعي فهو له تأثيره الكبير على بقية العناصر الأخرى التي تؤلف البناء الاجتماعي والعدل في مختلف مجالات الحياة فهو امتداد للعدل الكوني مما يتعين معه أن يكون الإنسان عادلاً في سلوكه منسجماً مع البيئة الكونية وإلا كان غربياً شاذاً<sup>(١١٩)</sup>.

والأمة التي يسودها العدل وهي الأمة الراقية والمتقدمة حضارياً وهي التي يشعر فيها كل إنسان بكرامته وحرية وينعم بالأمان الذي يسود الأمة كلها<sup>(١٢٠)</sup>.

١١٦- سورة الأنفال، الآية، (٣٥).

١١٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص: ١٤٢٤.

١١٨- سورة الإسراء، الآية، ٥٨.

١١٩- أنيس الأبيض، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ١٤١٤/٥١٩٩٤م، ص: ٩٤.

١٢٠- كريم جبر الحسن، عملية النهوض الحضاري، بيروت، ١٤١٢/٥١٩٩٣م، ص: ٢٠٨.

وكما هو معلوم أن الظلم ضد العدل وهو أكبر عامل فساد في المجتمع وانعدام الحضارات قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(١٢١)</sup>، قال الفخر الرازي: (أن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك والمعنى أن الله سبحانه تعالى يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم على الصلاح وعدم الفساد<sup>(١٢٢)</sup>، فالآية المباركة تفيد أن المجتمع إذا كان عادلاً بمعنى أن الناس لا يظلمون أنفسهم ولا يتظالمون فيما بينهم، فهذا المجتمع مع كفره بالله تعالى يبقى قائماً أو ليس من سنة الله تعالى إهلاك الناس بكفرهم فقط ولكن إذا مارسوا الظلم إلى جانب كفرهم فإن عاقبتهم ستؤول إلى الدمار والهلاك وفي هذا السياق يقول القرطبي في تفسيره للآية المذكورة أن الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى يضاف إليه الفساد كما أهلك قوم شعيب ببغي المكيال والميزان وقوم لوط باللواط ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك<sup>(١٢٣)</sup>.

كذلك بين القرآن الكريم في قصة فرعون وبني إسرائيل كيف أن أهل مصر من آل فرعون بعد أن وصلوا إلى مستوى الرقي والازدهار الحضاري، حل بهم العذاب والدمار بسبب الظلم والطغيان الذي مارسه فرعون وجنوده بحق بني إسرائيل قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١٢٤)</sup>، فالآية المباركة تعتبر طغيان فرعون واستعلاءه على بني إسرائيل وظلمه بأشكال مختلفة بإثارتا للنعرات الطائفية بينهم وقتل أبنائهم واستحياء نساءهم كان السبب في افساد مجتمع أهل مصر وانعدام حضارتهم كما يؤكد القرآن الكريم في آيات أخرى أن الظلم سبب محق المجتمعات الغابرة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لُرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١٢٥)</sup>، كذلك قال: تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾<sup>(١٢٦)</sup>

وقد أوضح ابن خلدون في مقدمته سنن سقوط الحضارات وانعدام المجتمعات وذهاب الدول فرأى أن الظلم مؤذن بخراب العمران كما أشار إلى ذلك في عنوان (في أن الظلم مؤذن بخراب العمران) فقال: واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم

١٢١- سورة هود الآية(١١٧)

١٢٢- الفخر الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ص:٧٦.

١٢٣- تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص:٦٧.

١٢٤- سورة القصص الآية(٤).

١٢٥- سورة إبراهيم الآية(١٣).

١٢٦- سورة هود الآية(٦٧).

الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك بانقطاع النوع البشري<sup>(١٢٧)</sup>.

ويقول الأمام الماوردي عن أثر الجور في خراب العمران ودمار المجتمعات: ليس شئ أسرع لخراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل<sup>(١٢٨)</sup>.

### المبحث الثاني: الاتحاد والتفريق؛

أن الوحدة والتآلف والتحابب والتعاون كلها عناوين تنصب في وحدة البناء الاجتماعي والحضاري للإنسانية وقد جاءت الآيات القرآنية المباركة تؤكد على ذلك قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١٢٩)</sup>، كذلك قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١٣٠)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٣١)</sup> وإنما كان الاختلاف أو التنازع أو التفريق سبباً من أسباب انحطاط الأمم وسقوطها باعتباره علة في تشتتها فيؤدي إلى ضعفها لأن قوتها وهي مجتمعة أكثر من قوتها وهي متفرقة وقوة كل فرقة هي ضعف من قوة الأمة مجتمعة وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجري العدو عليها فيطمع فيها ويحتل أرضها ويستولى عليها ويستعيدها ويمسح شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها<sup>(١٣٢)</sup>. أن سقوط بغداد وانحيار الدولة العباسية كان من أهم أسباب الخلاف والتفرقة بين الخليفة ووزرائه وبين طوائف الشعوب ومذاهبها بحيث يتفق بعضهم مع هولاء كوضد الحكم العباسي الأمر الذي أدى إلى عملية السقوط المرعب لبغداد<sup>(١٣٣)</sup>، ويذكر القرآن الكريم بما جرى للأمم السابقة من هلاك وعذاب ودمار بسبب تفرقها واختلافها قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١٣٤)</sup>.

١٢٧- ابن خلدون، المقدمة، الطبعة الأولى، دار النشر للطباعة، ١٩٩٨م، ص: ١٨٦.

١٢٨- الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٧٨م، ص: ١٤١.

١٢٩- سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

١٣٠- سورة المائدة، الآية (٢).

١٣١- سورة الانفال، الآية (٤٦).

١٣٢- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص: ١٣٩.

١٣٣- كريم جبر حسن، عملية النهوض الحضاري، بيروت، دار المنهل، ١٩٨٧م، ص: ٢٠٠.

١٣٤- سورة آل عمران، الآية (١٠٥).

والمراد بالذين تفرقوا أهل الكتاب حيث افرقت اليهود بعد نبیهم موسی إلى إحدى وسبعین فرقة والنصارى إلى اثین وسبعین فرقة بعد نبیهم عیسی وأما السر لهذا التأكيد والاهتمام باجتماع الأمة واتحادها فلأن الشقاق مادة الفساد ولأن الأمة المتفرقة لا تصلح للحیة (135).

### المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدمهما :

يمثل هذا المبدأ فرضاً من الفرائض الثابتة في جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء جيلاً بعد جيل يقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ × يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (136)، في هذه الآية بين الله تعالى أنه ليس كل أهل الكتاب على حد سوا بل منهم مجتمعات صالحة مؤمنة بالله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حيث مدحهم بوعیهم وعملهم بهذه الفريضة كما مدح الله تعالى المسلمين كأمة ومجتمع لوعیهم وعملهم بها قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (137).

فعدم الالتزام بهذا المبدأ يمثل عاملاً كبيراً في فساد المجتمع وانحيار الحضارة فالمجتمعات التي يمارس أفرادها المنكرات كالبغي والظلم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك ولا يتناهى أفرادها عنه سوف يؤدي كل ذلك إلى هدم المجتمع وسقوطه كما يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ × كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (138). يبين هذا النص الشريف أن سبب اللعنة التي حلت بالمجتمع الإسرائيلي كانت نتيجة لعدم التزامهم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المعاصي والمآثم والمحارم (139)، واللعن هنا ليس عقاباً روحياً أخروياً فقط إنه هنا يأخذ معنى سياسياً إن اللعن هو البعد والطرده عن رحمة الله ورعايته وهذا يعني أن الملعون يتعرض للنكبات السياسية والاجتماعية التي تؤدي به في النهاية إلى الانحطاطها والدمار (140).

و جاء في تعليق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على هذا النص المبارك أنه قال: (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتضطره

١٣٥- الشيخ محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، دار الأنوار، ٢٠١١م، ج ٢، ص: ١٢٧.

١٣٦- سورة آل عمران، الآيات (١١٣-١١٤).

١٣٧- سورة آل عمران، الآية (١١٠).

١٣٨- سورة المائدة، الآيات (٧٨-٧٩).

١٣٩- تفسير ابن كثير، ج ٢، ص: ٨٥.

١٤٠- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق، ص: ١٢٨.

على الحق أطراً<sup>(١٤١)</sup>، ولتتصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم<sup>(١٤٢)</sup>.

أيضاً قال: I ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعداب من قبل أن يموتوا<sup>(١٤٣)</sup>.

وعليه كل ما تمسك المجتمع في حضارة ما أكثر بمبادئ القيم والأخلاق والأمانة والصدق والصبر والإخلاص كلما تقدم ذلك المجتمع أكثر فأكثر وعلى العكس فإذا افتقد هذه الأسس الأخلاقية سار في اتجاه الانحطاط والتفكك حتى يسقط ويذكر القرآن الكريم مصير الأمم السابقة التي جنحت بأخلاقها وسلوكها عن سواء السبيل وارتكبت الذنوب والفواحش فكانت عاقبتها وخيمة مثل قوم لوط وشعيب وغيرها قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ × إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ × وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ × فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ × وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١٤٤)</sup>.

قال: تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٤٥)</sup>.

هكذا فإن المصير الذي لاقته المجتمعات السابقة يؤكد إن السلوك الأخلاقي المنحرف هو طريق الانهيار الحضاري كما ذكر غوستاف لوبون من أسباب سقوط الأمم وانحطاطها هو الانحطاط الأخلاقي عندما قال: (نحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت إلى انهيار الأمم وانحطاطها وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها)<sup>(١٤٦)</sup>.

وأن غياب الفضائل والقيم الأخلاقية الفاضلة عن المجتمع يدفعه إلى الانغماس في الترف والشهوات فيجعل ذلك المجتمع محارب لكل مساعي الخير والصلاح في الحياة قال

١٤١- معناه تعطفوه عليه، انظر لسان العرب أ طر ج، ١، ص: ٩١.

١٤٢- رواه عبد الله بن مسعود، سنن ابن ماجه، ج٢، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٤٢٣٧، ص: ٥٢٥.

١٤٣- رواه جرير سنن أبي داود، ج٢، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي رقم الحديث ٣٢٩، ص: ٥٦٢.

١٤٤- سورة الأعراف الآيات (٨٠-٨٤).

١٤٥- سورة الأعراف، الآيات (٨٥).

١٤٦- غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، مصر دار المعارف، ١٩٥٧م، ص: ١٧٢.

تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(١٤٧)</sup>.

في سياق هذه الآية المباركة يقول: العلاقة بن خلدون إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حمله على ارتكاب المذمومات والردائل وتفقد الفضائل السياسية منهم جملة وهكذا تنهار المجتمعات وتسقط الحضارات بسبب الفساد الأخلاقي وهذا ما تعانيه الحضارة الغربية منذ زمن بعيد كذلك انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان يسمى بالقوة العظمى كذلك المجتمعات الأمريكية . وذلك قوله تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا × أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾<sup>(١٤٨)</sup>.

١٤٧- سورة الإسراء، الآية (١٦).

١٤٨- سورة فاطر، الآيات (٤٣-٤٤)

## الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .  
هذه الدراسة تناولت دور القرآن الكريم في توظيف وقراءة حركة التاريخ ، وأن القرآن الكريم يمثل دستور النهضة الإنسانية الكاملة ، وعليه استخدم عنصر التاريخ في كثير من الآيات المباركة ولذلك عمل على توظيف وقائع التاريخ الماضية حتى تكتمل الرؤية العملية للإنسان وفي القرآن الكريم آيات عديدة تحث على السير في الأرض والنظر في الكون ودراسة ماضي وتاريخ الأمم السابقة حتى يتمكن الإنسان من أخذ العبرة والعظة في حياته.

## النتائج والتوصيات :

### النتائج :

أولاً: القرآن الكريم استخدم عنصر التاريخ في كثير من الآيات المباركة لتوضيح وقائع وأحداث الماضي حتى تكتمل عملية العظة والاعتبار .

ثانياً: آيات القرآن الكريم مليئة بالقيم الإنسانية والتوجيهات الحضارية التي تعبر عن رحلة الأمم السابقة .

ثالثاً: يحث القرآن الكريم على التدبر والنظر في حركة التاريخ .

رابعاً: لا بد للمسلم أن يعمل في حياته من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية كتاباً وسنة .

خامساً: أن مثل هذه الدراسات توضح العلاقة الوثيقة بين آيات القرآن الكريم وتاريخ الأمة .

### التوصيات :

أولاً: أوصي كل مسلم أن يساهم في إيجاد الأرضية الصالحة لتطبيق أحكام الله .

ثانياً: لا بد من البحث في مسيرة تاريخ البشرية من ناحية قرآنية حتى يتم الوصول إلى الحقائق الحضارية .

ثالثاً: لا بد من التدبر في آيات القرآن الكريم من ناحية تاريخية حتى يتم التعرف على أحوال الأمم الماضية من خلال تاريخها .

رابعاً: يعيش مجتمعنا الإسلامي اليوم في واقع مؤلم وعليه لا بد للقائمين على الأمر ان يهيئوا للدعاة والعلماء المسلمين ما يساعدهم على نشر الدعوة والتمكين لها .

خامساً: إن طلاب العلم اليوم بحاجة للثقافة وفقه القرآن الكريم والسنة النبوية علماً وعملاً وسلوكاً وقلباً وغالباً .

المصادر والمراجع:

المصادر:

— القرآن الكريم

— السنة النبوية الشريفة.

— المراجع:

١. أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.
٢. أبو علي مسكويه، تجارب الأمم، تحقيق الدكتور أبو القاسم أممي إيران، طهران، دار سروش (١٤٠٧/١٩٨٧م).
٣. أحمد إبراهيم الشريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ١٩٨١م
٤. أنيس الأبييض، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ١٤١٤/١٩٩٩م.
٥. إبراهيم الحيدري، الحضارة والمدنية أطروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع، الجزائر، عنابة ١٩٨٣.
٦. ابن خلدون، المقدمة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٧. ابن أبي حديدن شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨/١٩٥٩م. للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.
٨. باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٢م
٩. جان فورآستيه، معايير الفكر العلمي، ترجمة فايزكم نقش، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤م.
١٠. جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ١٩٨٤م.
١١. رواه جرير سنن أبي داوود، ج٢، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي رقم الحديث ٣٣٩.
١٢. رواه عبد الله بن مسعود، سنن ابن ماجه، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، رقم الحديث ٤٣٣٧.
١٣. السيد محمد الباقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، بيروت، دار المعارف ١٩٧٩م.
١٤. السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، مكتبة التفاسير الطبعة الثانية ١٩٩٢
١٥. السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٦٦/١٩٤٧م
١٦. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، الطبعة الرابعة، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م،

١٧. الشيخ مرتضى المطهري، التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، دار الهادي ١٩٩٣م.
١٨. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، دار الهادي
١٩. الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير المبين، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣م،
٢٠. عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الصحوه، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م
٢١. محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٧م
٢٢. محمود الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ كتاب القاهرة، الشعب، ١٩٧٥م.
٢٣. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم الملاي
٢٤. سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بدون تاريخ طبع.
٢٥. طلعت همام، سين وجيم عن علم الاجتماع، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
٢٦. عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي، بدون تاريخ طبع
٢٧. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، دمشق، ١٩٧٠م
٢٨. عبد العزيز كامل، القرآن والتاريخ، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، ١٩٨٢م.
٢٩. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الثانية، بيروت، الدار الشامية
٣٠. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٩٨م
٣١. عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ
٣٢. غوستان لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، مصر دار المعارف، ١٩٥٧م.
٣٣. غوستان لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف، ١٩٧٥م ترجمة عادل زعيتر.
٣٤. كريم جبر الحسن، عملية النهوض الحضاري، بروت، دار المنهل، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م
٣٥. محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس حمود، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٦. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، ١٩٨٩م.
٣٧. محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، دار الأنوار، ٢٠١١م

٣٨. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ٣٩. ملحم قريبان، المنهجية السياسية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م

٤٠. محمد عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م

٤١. محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٧م

٤٢. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

## التربية البيئية رؤية تأصيلية

د. ابراهيم الصادق سالم<sup>(١)</sup>

### مستخلص البحث

هدف هذا البحث إلى تشكيل ملامح فلسفة تربوية بيئية تعمل على تجسيد قيم إيمانية في مجالات الحياة المختلفة ينتج عنها وعي لدى الفرد والمجتمع يجعلهم ايجابيين في التعامل.

• اتبع الباحث المنهج الكيفي التحليلي وذلك بتحليل مضمون النص ومن ثم التفاعل بها سلوكياً داخل البيئة وخارجها.

### • توصل الباحث إلى نتائج:

- محافظة الإنسان على البيئة واجبة بحكم انه مكلف ومستخلف
- الشعور بقدسية الحقوق والواجبات تولد الموائمة التي تدفع الإنسان لتجويد العمل.
- القيم المعيارية مصدرها الوحي - وهي الضابطة لحركة الإنسان المسلم.
- الخبرة المربية صمام الأمان لأي مشكلة.

### • أهم التوصيات لهذا البحث:-

- ضرورة تبني فلسفة تربوية للبيئة في مناهج مراحل التعليم المختلفة
- إعداد كوادر متخصصة من معلمي رياض الأطفال والتعليم العام لترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية المرتبطة بصحة البيئة.
- معالجة المشكلات البيئية من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءاً بالأسرة وانتهاءً بالجامعة.

١- استاذ فلسفة التربية المشارك- جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم- السودان.

## المقدمة :

إن الله قد منح الإنسان المحيط البيئي وزوده بالقابليات والاستعدادات والقدرات على التعرف على قوانين الخلق ثم تحويل مايتلقاه من معارف وتوجيهات وموجهات إلي ممارسات وتطبيقات عملية في الأرض وما حولها .

إن الانتظام مع هذا التصميم الإلهي يتطلب الاسترشاد بمنطق الشرع والعقل ليحافظ الإنسان على عوامل التوازن العقلي والنفسي والجسدي في حياته ليظل محتفظاً بإنسانيته محكماً من السقوط وليبقى منسجماً مع القوانين التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها وليتعرف على الأساليب الصحيحة للتعامل مع خالقه ومربيه ومع العالم المحيط به من بيئات.

لقد أصبح من الضرورة تنمية سلوك الفرد بما يتمشي وأهمية المصادر الطبيعية وغيرها من مقومات البيئة . ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تربية بيئية تجعل أهدافها تبصير أجيال الحاضر والمستقبل بمهمة الاستخلاف والأعمار حتى يمكن إكسابهم اتجاهات وقيم بيئية شأنها المحافظة علي البيئة .

هذا لا يتأتى إلا بإدراك متكامل للإنسان في إطار بيئته. مما دفعني إلى محاولة إيجاد ملامح لفلسفة التربية البيئية التي هي جزء من فلسفة التربية الإسلامية لتكوين وعي بيئي واتجاهات فردية تجعله ايجابياً في تعامله وسلوكه مع البيئة .

## المشكلة :

تناولت عدد من الدراسات العربية طرق حماية البيئة وموقف الإسلام منها وعن الأخلاقيات البيئية . لكنها لم تتوصل إلي مرتكزات أو مبادئ تشكل ملامح الفلسفة التربوية للبيئة تنتج عنها أحكام معيارية ومثل عليا تتصل بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة يسعى إلي تحقيقها حتى تكون بمثابة موجّهات لسلوكياته تجاه البيئة التي يعيش فيها .

لذا يمكن صياغة هذه المشكلة في الأسئلة التالية :

- ١/ ماهي ملامح الفلسفة التربوية للبيئة .
- ٢/ ما هو دور تلك الملامح في صياغة سلوكيات الفرد .
- ٣/ ماهي القيم البيئية التي تكون تلك الأحكام والمبادئ المعيارية.

## أهداف البحث :

- ١/ تشكيل ملامح الفلسفة التربوية للبيئة .
- ٢/ إيضاح دور التربية في تطور علاقة الإنسان بالبيئة .
- ٣ إبراز مفهوم الأعمار تكليفا وعبادة من خلال ممارسة العمل اليومي .
- ٤/ إدراك ما يترتب علي اختلال توازن العلاقات البيئية وتأثيرها علي الحياة .

## أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تحقيق الآتي :

- ١/ تكوين وعي بيئي لدى الفرد ثم المجتمع يجعله إيجابياً في التعامل .
- ٢/ تحرير فكر التفاعل بين العوامل الاجتماعية والحضارية والطبيعية وفقاً للضوابط الإسلامية .
- ٣/ تجسيد قيم تمكن من صياغة البيئة والمحافظة عليها .
- ٤/ القدرة علي اتخاذ القرارات المناسبة في إصلاح وإصحاح البيئة .
- ٥/ تقديم التعاليم الإسلامية كرسالة حضارية إصلاحية غايتها الحفاظ علي النوع البشري ورقية .

### منهج البحث :

المنهج الوصفي التحليلي وذلك بتحليل مضمون النص وما ينتج عنه من قيم يتعامل معها ويتفاعل بها الفرد سلوكيا داخل البيئة وخارجها.

### مصطلحات البحث :

#### ١ - فلسفة التربية :

فقه تربوي يستهدف توضيح المقاصد والغايات النهائية للتربية وتوضيح طرق البحث والتربية المؤصلة إلى هذه المقاصد والمعايير التي يحكم بها علي هذه القضايا .

٢- **البيئة** : هي إطار معيشة الإنسان الذي يؤثر فيه ويتأثر به .

٣- **القيم البيئية** : هي مجموعة الأحكام المعيارية والمبادئ والمثل العليا المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات حتى تكون بمثابة موجّهات لسلوكه تجاه البيئة .

### منهج البحث :

المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك بتحليل مضمون المبادئ وما نتج عنها من قيم يتعامل ويتفاعل بها الفرد في سلوكياته داخل البيئة وخارجها.

### الدراسات السابقة :

١ / دراسة سردار ١٩٩١ م .

موقف الإسلام من الأخلاقيات البيئية .

هدفت الدراسة : إلى موقف التراث الإسلامي من الأخلاقيات البيئية .

منهج الدراسة : المنهج الوصفي التحليلي .

نتائج الدراسة : المبادئ والأخلاقيات البيئية تحظى باحترام وإجلال في إطار التراث الإسلامي .

### أهم التوصيات:-

- مناهج السلوك والتطور في العالم الإسلامي يغلب عليها الطابع الغربي .

- الحلول القابلة للتطبيق فيما يختص بواقع البيئة المتأزم موجود في النظرة الشاملة للإسلام .

٢/ دراسة الكيلاني ١٩٩٢ م

هدفت الدراسة الى معرفة موقف الإسلام وتوجهاته البيئية .

منهج الدراسة: الوصفي التحليلي.

## خلصت الدراسة إلي :

- البيئة أمانة أودعها الله لدي الإنسان ينتفع بها ويرعاها ويحسن التعامل معها .
- أن يعرف البشر حق الله وحقهم في هذه البيئة .
- أن يعرف الناس جمال البيئة ويحافظوا علي أسباب ذلك الجمال .

## اهم التوصيات :

تجسيد القيم الاسلامية في رعاية البيئة .

٣/ دراسة السقاف ١٩٩٤م نحو فلسفة إيمانية للتربية البيئية

- هدفت الدراسة الى وضع فلسفة ايمانية في التعامل مع البيئة تقوم على الاستخلاف والعلم والعدل والإعتدال والعمل.
  - اتبعت الدراسة المنهج: التحليلي للنصوص المشتملة على القيم الإيمانية.
  - توصلت الدراسة إلي وضع ملامح لفلسفة تربوية إيمانية للبيئة.
- أهم التوصيات:

- التربية الايمانية هي المخرج في تنمية البيئة والمحافظة عليها
- الإنسان ذو طبيعة مزدوجة الشهوانية الجسدية والنورانية الروحانية
- إن سلوك الإنسان وفقاً للطبيعة المزدوجة لا تفرداً لأي منها .
- الاختلاف في نسب الامتزاج هو المسئول عن تنوع السلوك البشري في درجاته بين الشدة واللفظ وبين الكفر والإيمان .

## التعقيب علي الدراسات :

جميع الدراسات نقدت البرامج الخاصة بالتربية لبيئته ، علي الرغم من نشاطها وبعضها نسبت إلي أنها لم تحقق النجاح المطلوب لإهمال الجانب العقدي والقيمي وإلى الأخلاقيات البيئية اللازمة . وعلى الرغم أن بعض منها وضعت ملامح فلسفة تربوية إيمانية إلا أنها وضعت الملامح كإطار ولم تهتم بالقيم المجسدة لمحتوي تلك الملامح .

## المبحث الثاني

### الإطار النظري والدراسات السابقة

#### فلسفة التربية البيئية.

الإنسان فرد أو جماعة أوجدها الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا بوظيفتين هما المهام والمقام.

مهام الإنسان هي العبادة قال تعالى: - (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) سورة الذاريات .

مقام الإنسان هي الخلافة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠

#### المطلب الأول العبادة.

العبادة لغة تعني كمال الطاعة لكمال المحبة.

**اصطلاحاً:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأفعال والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات في جميع المبادئ الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها (ماجد عرسان الكيلاني ٢٠٠٢).

والمحبة التي تقضي إلى الطاعة لاستمرار الإإذا ذاقت ثمرتها ولمست نتائجها مافيها السعادة وقوام الحياة. لذلك اشتمل مفهوم العبادة في التربية الإسلامية على ثلاثة مظاهر.

#### أ- المظهر الشعائري:

يتمثل في ممارسات ترمز إلى إشكال الحب والطاعة التي يعبد بها الإنسان الخالق عز وجل، ويتطلب من التربية التعريف بتفاصيل الشعائر والممارسات الدينية الصحيحة والتدريب على أدائها، وثمره هذا المظهر هو التوازن النفسي.

**ب- المظهر الاجتماعي:** موضوعه الثقافة والقيم والعادات والتقاليد والنظم، وتطبيقه يتطلب من التربية التعريف بشبكة العلاقات الاجتماعية ابتداءً من دائرتها الأسرية وانتهاءً بدائرتها الإنسانية، وان تدريبهم على فهم دراسة الاجتماع البشري وتعاقب الحضارات وتنوع الأحوال والأحداث واكتشاف قوانينها وعلاقاتها، والنتائج التي تترتب عليها وثمره هذا المظهر التطبيق العملي.

### ج- المظهر الكوني:

موضوعه العلوم الطبيعية والتطبيقية التي توفر للإنسان دخول مختبر الأفقوايراز المعجزات وبراهينها وتوفير الشواهد التي تكشف عن عظم صنع الله وقدرته، وتطبيق هذا المظهر يتطلب من التربية أن تعرف الإنسان اكتشاف القوانين التي تنظم الكائنات الحية والطبيعة واكتشاف خصائصها وتدريبه على أشكال وطرق التعامل معها والانتفاع بها. وثمرة هذا المظهر القناعة العقلية.

والمحصلة النهائية لعمل هذه المظاهر الثلاثة هي اليقين في النفوس والاستقامة في السلوك والعلاقات الاجتماعية (ماجد عرسان ٢٠٠٢م).

### المطلب الثاني المقام (الإستخلاف- العمل الصالح المصلح - العدل والاحسان):- الاستخلاف:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠ هذا الإستخلاف تشريف وتكريم للجنس البشري إذ خص به البشر دون سائر المخلوقات. وقضت إرادة الله إن يتمتع الإنسان بالقدرة العقلية على التعلم والقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع والإرادة الحرة لاختيار أسلوب الحياة التي يعد إليها.

إن دور الإنسان في مهمة الاستخلاف لا يحددها حد فكل ما تحقق النفع للعباد هو من الاستخلاف - وفقاً لما يحبه الله ويرضاه وفي الحديث (الخلق عيال الله انفعهم لعياله أحبهم إلى الله). مسند ابي يعلى باب ثابت البناني عن انس رقم ٣٢٢٤ ص ١٧٩٦ .

### ومن مظاهر النفع للاستخلاف في البيئة :-

- عدم الإسراف قال تعالى ﴿يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأعراف: ٣١
- إمطة الأذى عن الطريق أذى مادي أو معنوي.
- استغلال المرافق العامة التي تشترك فيها مع الناس ومن ثم احترام القوانين واللوائح التي تنظم ذلك.
- عدم هدر الموارد بالاكْتفاء بما يفي بالحاجة حتى لا يترك باقيا نفايات أو قمامة.

- أن يكون حلقة إيجابية تزيد ما كان من خير وتمحو أو تقلل ما كان من شر.
- جمع القلوب على الخير أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر.
- رَأب الصدع وجمع النَّائِي توحيداً لصف المسلمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ آل عمران: ١٠٣ الاستخلاف يأتي بالثبات والصبر لكنه يقتضي مسؤولية التخطيط للنجاة من العدو ومسؤولية الثبات إمامه في إيضاح الدعوة ومرحلة الصبر على الفتنة وتحمل الأذى في سبيل الله وأي بيئة تخلو من متاعب... (منير الغضبان ٢٠٠٢م)

ومن مستلزمات هذا الاستخلاف العمل الصالح والعدل والإحسان .

#### العمل الصالح - المصلح . ( ماجد عرسان ٢٠٠٥م )

هو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقات التي دونتها فلسفة التربية الإسلامية بين إنسان التربية الإسلامية من ناحية وبين الخالق والكون والإنسان والحياة الأخرى من ناحية أخرى.

- فالعلاقة بين الإنسان والله هي علاقة تعبدية .
- العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخيرية .
- العلاقة بين الإنسان والإنسان علاقة عدل ورحمة .
- العلاقة بين الإنسان والحياة علاقة ابتلاء وامتحان .
- العلاقة بين الإنسان والأخرة علاقة جزاء والعمل لكي يكون منجياً لصاحبه لابد أن يكون صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود: ١١٧ . أي أن الصلاح لابد أن يتعدى لغيره حتى يصبح مصلحاً . **مبادئ العمل الصالح - المصلح** : ( ماجد عرسان الكيلاني ٢٠٠٢م )

- ١- تكامل مظاهر العمل الديني والاجتماعي والكوني. العمل الديني يتضمن أهداف الحياة ومقاصدها. والعمل الكوني والاجتماعي يتضمن الوسائل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف والمقاصد . فالأهداف والمقاصد دون وسائل عقيمة . والوسائل دون الأهداف والمقاصد ضالة . كما أن الديناالإسلامي ينهى عن العطالة والبطالة قال تعالى

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْمًا مُّهِتًا وَكَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بَرُسُلَنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَةٌ أَسَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ أَجْرًا كَثِيرًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الحديد: ٢٦ - ٢٨

- ٢- العمل الصالح لا يقتصر على جلب الخير النافع وإنما يتعداه إلى محاربة الشر الضار. العمل الذي هدفه محاربة الشر هو الصالح . بينما العمل الذي هدفه جلب النافع هو المصلح والإنسان الصالح والمصلح هو النموذج الذي تسعى التربية الإسلامية إلى إخراجه .
- ٣- العمل الصالح والمصلح قسمان أخلاقي وناجح . اجتماع الصنفين ضروري .

العمل الأخلاقي غير الناجح لا يجلب منفعة ولا يدفع ضرر والعمل الناجح غير الأخلاقي لا يجلب سعادة ولا أمناً. ولقد أشار علماء الإسلام إلى صلة النجاح بالصواب وأطلقوا على صفة الأخلاق الإخلاصي واشترطوا أن يكون العمل صائباً مخلصاً . فان كان مخلصاً غير صائباً لا يثمر وان كان صائباً غير مخلصاً لا يقبل

٤- العمل الصالح المصلح- نافع العمل مقصود به منفعة العامل **قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ البقرة: ١٦٤**

**قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيِّهِ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ ﴿١٧﴾ الرعد: ١٧** وفي الحديث النبوي اللهم إنيا أعوذ بك من علم لا ينفع ( صحيح مسلم كتاب الذكر - ج ١٧ ص ٧١ .

- ٥- الإعداد والتدريب والتربية على العمل الصالح - المصلح لا يترك بروز العمل الصالح لجهود الأفراد وحدهم أو المحاولات التلقائية والخبرات السطحية أو المؤسسات التقليدية. بل يعمل على توفير بيئاته ومؤسساته ووسائله وتطوير خبراته لأنه ورد في القرآن الكريم أن العمل الصالح مقروناً بالإيمان والعلم والحكمة والتعاون والبر والتقوى.

**المطلب الرابع - العدل والإحسان (ماجد عرسان الكيلاني ٢٠٠٥م) قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ**

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ النحل: ٩٠ العدل يعني الإنصاف. أما الإحسان يعني التفضل والزيادة في المعاملة الحسنة (كنز العمال ج ٢ ص ٤٥١) العلاقة التي تقيمها فلسفة التربية الإسلامية بين الإنسان والإنسان هي علاقة العدل والإحسان

**حدود علاقة العدل :** العدل هو الحد الأدنى للعلاقات بين الإنسان والإنسان ولا يجوز تجاوزه إلي ما هو أدني منه حتى في حالات الغضب والتعرض للأزمات أو الشهوات حتى لا تصبح النفوس عرضة للهوى والتحيز.

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة: ٨ والعادل هو العلاقة بين الإنسان والإنسان حين يكون الفرد أو الجماعة حكما بين طرفين آخري . وهذه الحالة لا يقوم الإحسان مقام العدل لأنه لا يجوز التفضل بحقوق الغير وممتلكاتهم إلي ذلك كانت التوجهات ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ النساء: ٥٨

### دوائر العدل : ( ماجد عرسان الكيلاني ٢٠٠٥م )

للعدل دوائر وميادين تتدرج في سعتها حسب دوائر الانتماء البشري وهي :

١/ دائرة النفس.

٢/ دائرة الأسرة.

٣/ دائرة القربى.

وفي هذه الدوائر الثلاث يقول الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ النساء: ١٣٥

٤/ دائرة الأمة التي ينتمي إليها الفرد أو الجماعة ذوو العلاقة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمْتًا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَقَىٰءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٤٠﴾ الحجرات: ١٤٠ إن شيوع علاقات العدل ورسوخها في علاقات الإنسان بالإنسان ثمرته النضج الفكري والتقدم الحضاري فالمجتمع الذي يشيع فيه العدل يوفر الفرص للواعين والقادرين ليقودوا التقدم والبناء والإنتاج .

وهذا مما يحافظ علي بقاء النوع البشري بطاقاته ومقدراته التي تدفعه إلي أن يتقدم ويتحفز داخل البلاد وخارجها ، فتواجه سياستها بالرضي وتنداح علاقتها وتؤمن ممتلكاتهم ومواطنوها من أي أذي أو ضرر .

وتجسيد العدل في العلاقات الإنسانية مطلب من مطالب التربية الإسلامية وسمة من سمات الصفة التي يريدها الله لقيادة الحضارة الإسلامية الإنسانية جمعاء قال تعالى ( وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُوْنَ بِنَايِحَقُّوْ بِهِيْعِدْلُوْنَ ﴿ الأعراف ١٨١

وحين تسود علاقة العدل يشيع الاستقرار والأمن وتتجسد علاقة الانتماء لبني الإنسان وتذوب علاقات العصبية والقبلية والقومية والعرفية والمذهبية

### علاقة الإحسان : (محمد قطب ١٩٩٥م)

الإحسان هو العلاقة المطلوبة حين تكون علاقة الإنسان بالإنسان علاقة مباشرة لا وسيط بين الطرفين فهي العلاقة التي تربط الحاكم بالمحكوم والفني بالفقير والعالم بالجاهل والقوي بالضعيف والمقيم بالمسافر والزوج بالزوجة والولد بالوالدين والدولة المتقدمة بالدولة المتخلفة .

لو عامل المحسنون المحسنين إليهم بالعدل لانتهدت إلى وجوب قطيعتها ووقف العطاء عنها لأنهم لن يجدوا عن المحسن إليهم الجزاء المقابل أو الأجر المماثل ، فيقع المحسنون في المن والأذى وهذا ما يثير عن المحسنين إليهم العزة والأنفة فتفسد العلاقات بين الطرفين . ومن هنا كان التحذير الإلهي للمحسنين ألا يذهبوا إحسانهم بالمن والأذى.

وكان إرشادهم للتعامل مع الله والأمل بأجره وجزائه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ البقرة: ٢٦٢

### دوائر الإحسان :-

تتدرج علاقة الإحسان حسب دوائر الانتماء البشري فتبدأ بدائرة النفس قال تعالى ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَتْمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَسْأُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَتْبِرًا ﴿ الإسراء: ٧

دائرة الأسرة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

السَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ النساء: ٣٦

دائرة الأقارب والدائرة القومية ثم الدائرة الإنسانية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ البقرة: ٨٣

ويرى الباحث إن ادراك قيم هذه العلاقة للعدل والإحسان وتجسيدها في ميادين الحياة وأنماط السلوك وشبكة العلاقات الاجتماعية لأمرهم . ولأن التربية البيئية ترسخ هذه العلاقة في أصولها وان تشيعها في أهدافها وتجسدها في مناهجها وتطبيقاتها حتى تصبح نعمة للبشرية وإيماناً وتقدماً ورقياً حقيقياً فالعدل يكون البقاء للنوع الإنساني بالإحسان يتم الارتقاء وهو الهدف بل الغاية للتربية جميعاً .

## المبحث الثاني

### التصور الاسلامي للتربية البيئية

#### المطلب الأول: أهداف التربية البيئية

تتبع أهداف التربية البيئية في التصور الإسلامي من أهداف التربية الإسلامية (أبو صالح محب الدين وآخرون ١٤٠٧هـ ص ٩٥) وهي:-

- ١- بناء إنسان متكامل الجوانب الشخصية.
- ٢- بناء خير أمة أخرجت للناس .
- ٣- بناء خير حضارة إنسانية إسلامية.
- ٤- عمارة الأرض معنوياً ومادياً وفق شرع الله .
- ٥- المحافظة على البيئة ومكوناتها من الإسراف والتخريب
- ٦- تنمية موارد البيئة وتطويرها بالطريقة السليمة التي تحفظ البيئة وتراعي صحة الإنسان .
- ٧- عدم تلوث البيئة بأي شكل من الأشكال
- ٨- الاقتصاد باستهلاك الماء وجميع مصادر الطاقة
- ٩- نشر الوعي البيئي المترتب على المحافظة «عدم التلوث ، عدم إساءة الاستخدام
- ١٠- تنمية الوعي الديني بأن الإساءة إلى البيئة أو احد مكوناتها مخالفة لأمر الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ( عبد الله بن سليمان الفهد ١٩٩٩م) ص ٤٠٨ .

نلاحظ من هذه الأهداف أنها وحدة متكاملة الهدف منها تحسين مستوى المعيشة كما وكيفا . كما أنها تعتمد على التشريع النابع من عقيدة الإسلام وهي التي وصفت تصوراً كاملاً عن الإنسان وعلاقته بالمحيط الحيوي الذي يعيش فيه قال تعالى ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ الجاثية: ١٣

#### المطلب الثاني :- منهجية التعامل مع البيئة :- (ماهر اسماعيل الجعفري ٢٠٨٨م)

النهج الإسلامي للتعامل مع البيئة منهج المنفعة المتبادلة بين الإنسان وبيئته بل جعله خليفة وشرفه بالاستخلاف عن بقية الكائنات وأهله بمؤهلات الخلافة التي تجعله يعمر الأرض بالإعمال الصالحة في ظل منهج الله وحدوده. فما عليه إلا أن يتبع الصراط المستقيم في استغلال مواردها والمحافظة عليها ومن تلك المنهجية.

#### استخلاف الإنسان في الأرض :-

قضت حكمة الله أن يستخلف الإنسان في الأرض وعليه أن يؤدي شكر نعمة الاستخلاف

والاختيار أولاً ثم حفظ الأمانة التي خلف فيها للانتفاع والاستمتاع بخيراتها وهذا ما يبحث الإنسان على بذل أقصى غاية تسمح بها ملكاته لتطوير هذه البيئة والمحافظة عليها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أَوْدِيَانَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١١٩) ﴿ الأعراف: ١٢٩

هذا العدو قد يكون كل من العدو البشري أو فقر أو جهل ....

الحديث (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون) صحيح مسلم ج ٤ رقم ٢٠٩٨.

- المحافظة على التوازن البيئي :- (احمد عبد الكريم سلامة ١٩٩٩ م)

يحتوي النظام البيئي على عناصر وموارد حية وعناصر غير حية تتعايش فيه عناصره وموارده في نظام متكامل وتسير على منهج طبيعي ثابت ومتوازن تحكمه القدرة الإلهية دون أدنى تدخل بشري.

ويعبر القرآن عن مبدأ التوازن في مخلوقات الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ (١٩) ﴿ الحجر: ١٩.

فكل شيء في الكون مخلوق بحكمة ومخلوق لغاية ليؤدي وظيفته ويحقق الغاية من خلقه. فعلى الإنسان معرفة تلك الحكمة ويجتهد في استلال القوانين التي تحقق تلك الغاية وفقاً للحكمة المنشودة

**التنمية المستدامة :-** (فاطمة عبد الله الخليفة ٢٠٠٤ م. ص ١١٤)

تقوم أسس حماية البيئة على البناء والتنمية والأعمار. هناك الكثير من الشواهد التي تدعو إلى حماية البيئة وإحيائها وعدم الإفساد بها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمُ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣٢) ﴿ المائدة: ٣٢

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( مامن مؤمن يغرس غرساً فيأكل منه طائر أو بهيمة أو إنسان إلا كان له به صدقة) رواه مسلم والرازي والترمذي.

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضرورة اعمار الأرض وغرس فسائلها قال صلى الله عليه وسلم (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها

فله بذلك أجر) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦٣/٤

**المطلب الثالث :- حماية التنوع الإحيائي :-** ( عبد الله بن سليمان الفهد ١٩٩٩م )  
لقد اهتم الإسلام بحفظ التنوع والسلالة في الإنسانوالأنعاموالأشجار وهو ما يؤدي إلى توازن بيئي بديع .ولكل مخلوق في الحياة دور يؤديه لاستمرار حياته وحياة غيره .

وتدل قصة سيدنا نوح عليه السلام على اهتمام الإسلام بالمحافظة على التنوع الحيوي  
قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ  
إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ هود: ٤٠

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اغتربوا ولا تنحلوا اغتربوا ولا تضووا ) (ابن قتيبة  
الديناوري-غريب الحديث -الجزء الثالث-ص٧٣٧) أي تباعدوا تزوجوا من غير ذي  
القربى ولا تنحلوا يعني ضعف الجسم ولا تضعفوا يعني ضعف العقل.هذا مع إن التنوع  
البشري في الجنس يؤدي إلى تلحق المجتمعات فتوسع صلة القربى بين الناس وتزول  
الفوارق الاجتماعية وما أحوجنا في السودان لذلك التزاوج لإزالة التمرد.

أما الكائنات الحية غير الإنسان من حيوان أو نبات فان ذلك يؤدي إلى تحسين النوع والنسل  
ويكسب الكائن المناعة ضد الأمراض ويكسب ماهو مرغوب فيه .فالتهجين والتلقيح  
الصناعي للأبقار والتطعيم للأشجار أنتج نوعاً من السلالات ذات صفات مرغوب فيها  
كاللحم أو اللبن أوإنتاج ثمار محسنة .

### المحافظة على البيئة :-

التدهور البيئي يحدث نتيجة الجهل أوالإعراض عما كلفهم الله به قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ  
فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ  
غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ يَبْدُلُ نُهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ  
وَشَقَىٰ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ سبأ: ١٥ - ١٧

وقال صلى الله عليه وسلم (لاتبظروا النعم فتصبح نفمة ) الإبانة الكبرى ٤٥٩ باب  
التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون .

والبطر هو غمت الحق والنعمة هي المصيبة.وقال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن  
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ إبراهيم: ٧  
فالشكر يزيد النعم والكفر يزيلها .

**ترشيده الاستهلاك :-** ( محمد قطب ١٩٩٩ ص١٠٨ )

الترشيد في الإسلام مبدأ ثابت ومستقر ويطبق في جميع الظروف والترشيد لا يفهم منه التقدير والبخل وقلة الإنفاق بل هو وسط حد الكفاية .

الإسراف والبخل نقيضان غير مرغوب فيهما وهذه الآيات تدل على ذلك

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ﴿٦٧﴾ الفرقان: ٦٧

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ﴿٣٩﴾ الإسراء: ٣٩

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَبْنِي عَادٌ مِّنْ ذُرِّيَّتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ الأعراف: ٣١ - ٣١ الحكمة من النهي عن الإسراف في كل شيء للآتي كل دفعة فطرية مزودة بضمانين في وقت واحد ضمان الألم وضمان اللذة .احدهما ضمان الألم الناشئ عن عدم تحقيق الرغبة .الأخر هو اللذة الكامنة في تحقيق الرغبة. والدافع الفطري هو خلاصة ذلك المزيج والمحصلة هي تساوي الألم مع اللذة والذي يسرف يصيبه النهم ويظل دوماً جائعاً يبحث عن صيد جديد لذلك ذم الإسلام الإسراف في كل شيء . فليس هم الحياة مجرد أداء المطالب بل جمالها يتمثل في حسن الأداء .

#### ارتباط الإنسان بالبيئة :- ( سيد قطب ١٤٠٢هـ )

حرص الإسلام على تعميق صلة المسلم ببيئته وإدراك عناصرها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾ العنكبوت: ٢٠ وحث الله العزيز القدير على التفكير والتدبر وفي مجال

التفكير ودوام النظر

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١١٠﴾ آل عمران: ١٩٠ قال صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) رواه ابن

مردويه وعيد بن حميد عن ابن عباس .التفكير الناتج عنها هو الفكرة المربية .

هذه الحقيقة في هذه الآية تمثل احد مقومات التصور الإسلامي عن هذا الكون والصلة الوثيقة بينه وفطرة الإنسان والتفاهم الداخلي الوثيق بين فطرة الكون والصلة الوثيقة بينه وبين فطرة الإنسان ودلالة هذا الكون على خالقه وهي ذات أهمية في تقدير موقف الإنسان من الكون واله الكون .

الصلة والارتباط بالبيئة دعوة إلى التفكير في قدرة الله ودعوة إلى استثمار مافيهما بهدف الإعمار

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ هود: ٦١

وقال صلى الله عليه وسلم ( أن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخفكم فيها فينظر كيف تعملون) رواه مسلم ج٤ رقم ٢٠٩٨. تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيئة بروح الحب والمودة الصافية وقال لجبل احد الذي بجوار حصن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( طلع احد فقال هذا جبل يحبنا ونحبه). صحيح البخاري- ٢٧٥٤- باب فضل الخدمة في الغزو ص١٥٠٤....

#### المطلب الرابع :- حماية الموارد الطبيعية والمحافظة عليها :- ( )

حث الإسلام الإنسان على التصرف في الموارد الطبيعية باعتدال وتوازن ونهى عن استنزافها وسوء استخدامها واستغلالها ومنها:-

##### أولا الماء :-

أشار الإسلام إلى فضل الماء ودوره في الحياة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

المؤمنون: ١٨

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء وإفساده فقال (لا يتبول أحدكم في مستحمة) صحيح الجامع. ونهى عن الإسراف في الماء قال صلى الله عليه وسلم (لا تسرف. ولا تسرف) سنن ابن ماجه-٤٢١- كتاب الطهارة -باب ما جاء في القصد في الوضوء.

##### ثانياً الهواء :-

تعتمد الكائنات على الهواء في التنفس وإنتاج الطاقة عدا التي تتنفس تنفساً لاهوائياً . ولا تقتصر أهمية الهواء على التنفس . فالرياح لواقح للسحب من اجل تكوين المطر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

بِخَيْرِينَ ﴿٢٢﴾ الحجر: ٢٢ ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجمع القمامة في

الأفتية حيث قال (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا إفتائكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباد في دورهم ) المدري باب ما جاء في النظافة.

##### ثالثاً النبات :-

دعا الإسلام إلى استزراع النبات وحمايته والزرع معجزة أوضح القرآن الكريم هذه المعجزة

بِتصَوُّورِ فَنِي بَدِيْعٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٣٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٣٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٣٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٣٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٤٠﴾ وَفَيْكِهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَثَلًا لَكُمْ وَلِيَأْتِعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ عيس: ٢٦ - ٣٢

تحكي هذه الآيات قصة طعام الإنسان هل له يد فيها ؟ هل له من تديبير فيها؟ أن الذي أخرج له للحياة هو الذي اخرج طعامه

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُمْ أََمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الواقعة: ٦٣ - ٦٥

ويحثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على الزراعة فقال ( مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكله طير أو إنساناً أو بهيمة إلا كان له صدقة ) رواه البخاري-٥٦٧٢- باب رحمة الناس والبهائم ص١٨٦٨

#### رابعاً الحيوانات :-

هي أهم مماثلة لعالم الإنسان  
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام: ٣٨

أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفق بالحيوان فيقول (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لاهي أطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض) صحيح لبخاري-٣١٥٥- باب خمس من الدواب فواسق ص٣٧٩.....

ويقول صلى الله عليه وسلم ( في كل ذي كبد رطبة اجر) صحيح البخاري-٢٢٥٥- باب ص سقي الماء- ص٢. نهى الرسول الكريم من العبث بالطيور والحيوان وتعذيبها واتخاذها هدفاً للصيد يقول صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً) النسائي - كتاب المساجد ج٢٠ ص١٧٩. ويقول صلى الله عليه وسلم ( إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) صحيح مسلم-٣٧٠٩- باب الأمر بإحسان الذبح والقتل -٧٧١.

إن النظرة الإسلامية المتكاملة للإنسان المتحرر من التمرکز حول الذات والنظرة الإسلامية المتكاملة حول الكون التي تأخذ في الاعتبار مصالح المجتمع ولا تهمل شيئاً من خلق الله هو جوهر الوعي البيئي المطلق مصداقاً

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَسَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ آل عمران: ١٠٤

## المبحث الثالث

### القيم البيئية

#### المطلب الأول القيم البيئية ومرتكزاتها.

تعرف القيم البيئية بأنها مجموعة من الأحكام المعيارية والمبادئ والمثل العليا المتعلقة بمضامين واقعية ينشرها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات ويسعى إلى تحقيقها حتى تكون بمثابة موجّهات لسلوكياته تجاه البيئة (عصام الدين هلال...٢٠٠٧م)

**مرتكزات مفهوم القيم البيئية :-** ( محمود عوض الله و ابو السعود ١٩٩٠م )  
يرتكز مفهوم القيم البيئية على الآتي:-

- ١- ينبغي على الإنسان فهم الكيفية التي يستخدم بها الموارد البيئية .
- ٢- أن يكون الإنسان صادقاً أميناً في تعامله مع البيئة ومواردها .
- ٣- أن يسعى الإنسان إلى تحقيق ثنائية التوافق بينه وبين البيئة .
- ٤- أن يعي الإنسان عدالة الحقوق والواجبات في صيانة الموارد البيئية .

#### المطلب الثاني :- تصنيف القيم البيئية .

كي يسهل الفهم والتعامل على أساس قيمي فقد صنفت هذه القيم حسب النشاط المعتاد في البيئة اقتصادي ، سياسي ، حضاري ، تخطيطي، صحة، أمن. كما جاء عن (عصام الدين هلال ٢٠٠٧م).

أولاً : قيم المحافظة على الموارد الطبيعية:-

- أ- الموارد الطبيعية الدائمة.
- ١- المحافظة على الهواء من التلوث.
- ٢- المحافظة على الماء من شواطئ وبحار وبرك وبحيرات.

#### الموارد الطبيعية المتجددة :-

- المحافظة على رقعة الأرض المزروعة وزيادة المساحة الخضراء.
- المحافظة على الثروة النباتية.
- المحافظة على الثروة الحيوانية.

ثانياً: المحافظة على الموارد الطبيعية غير المتجددة:-

-المحافظة على الثروة المعدنية

-المحافظة على المحميات الطبيعية كحظيرة الدندر.

ثالثاً: قيم المحافظة على الصحة العامة:-

١- النظافة .

٢- الرعاية الصحية.

٣- التوافق البيئي بين الإنسان وبيئته.

٤- حفظ الإنسان.

٥- الأمن الصناعي.

رابعاً: قيم بيئية تخطيطية وتشريعية.

١- التخطيط البيئي .

٢- النظام البيئي .

٣- احترام القوانين .

٤- الإدارة البيئية.

خامساً: قيم بيئية حضارية:-

١- نبذ المعتقدات الخرافية .

٢- التوازن الخدمي بين الريف والحضر.

٣- حماية التراث الحضاري .

٤- المشاركة في تحسين البيئة .

سادساً: قيم بيئية تعليمية :-

١- التنظيف البيئي.

٢- التنقية من التلوث الثقافي .

٣- إدراك البعد الزمني.

٤- المحافظة على القيم الجمالية.

سابعاً: قيم بيئية سياسية واقتصادية:-

١- ترشيد استخدام الموارد.

٢- قيم السلام والسلم.

ويرى الباحث أن يجمل هذه التصنيفات تحت ثلاث بيئات وهي:

- قيم البيئة الصحية أن تكون الموارد طهورة صالحة للاستخدام والاستعمال من قبله وأبعده مثل الماء وغيره حتى تحفظ تبلل الموارد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٤٨ ﴾ الفرقان: ٤٨

وهذا يخص كل ما يعيش في الماء.

- قيم للحفاظ على كل من يعيش على اليابس وامتنالا لقوله تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦ ﴾ الأعراف: ٥٦

- قيم للاستمتاع بجمال النظر أو الأكل أو الشرب أو الاستعمال الأمثل لهذه المخلوقات أو أي كانت مائية أو برية وهي قيم الجمال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ خُدُوًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوْا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ٣١ ﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذٰلِكَ نَفِصِلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ٣٢ ﴾ الأعراف: ٣١ - ٣٢

### المطلب الثالث: خصائص القيم البيئية.

إن القيم البيئية ضرورية وحقيقية في حياتنا لا يمكن تجاهلها إذ تتوغل في كل المواقف فهي جزء لا يتجزأ من حياتنا ، وتبني لنا للتغلب على المشكلات فهي تعالجنا لذا فهي بمثابة المحك لنا بكيفية التعامل الايجابي مع البيئة .

ومن تلك الخصائص (فوزية دياب ١٩٩٦م)

- القيم البيئية مكتسبة

الإنسان بن بيئته فتكون الاتجاهات والقيم نتيجة احتكاكه بالموافق داخل البيئة.

- ٢- القيم البيئية مجتمعية لا بد من قيم يجتمع عليها الناس مثل ترشيد الاستهلاك الاستغلال الرشيد والقيمة الجمالية فالقيم الإسلامية عالمية وقيم البيئة منها.

٣- القيم البيئية شخصية.

يؤمن بها الشخص وينفذها على المستوى الذاتي.

٤- القيم البيئية تاريخية .

لا يمكن فهمها بدون فهم التطور التاريخي. ومادام التاريخ رواية ودراسة لا بد من أن تستمد من مساره الموضوعي .

٥- القيم البيئية مترابطة .

متبادلة العلاقات بين التأثير والتأثر في إطار البناء الاجتماعي والثقافي وما ينطوي عليه من معايير يكتسبها الفرد من البيئة فتصبح من اللا شعور وأساسا لاستجاباته.

٦- القيم البيئية مرتبة ترتيباً هرمياً.

هذا يعني أن لبعض القيم البيئية الأولوية في حياة الفرد عن باقي القيم فالقيم في إطارها نسق لاتتخذ ترتيباً ثابتاً وذلك تبعاً للظروف البيئية ويرى أن هذا مما يسهل التزكية في البيئة بترتيب الأولى ثم الأولى حتى نعطي نسقاً إيجابياً في توجيه السلوك.

٧- القيم البيئية موجّهات للسلوك

ترتبط بجميع ميادين الحياة وتتغلغل داخل نفوس الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع تتبدى في السلوك الشعوري واللا شعوري وتعتبر فضلاً عن ذلك مرجعاً في الحكم على السلوك.

٩- القيم البيئية تتصف بالعالمية.

لذا لا بد من التوجه العالمي من أجل الحفاظ على البيئة وهذا ما يفسح المجال واسعاً للقيم الإسلامية فقط نحتاج إلى تجسيدها في نماذج حياتية تستوعب حركتنا في إطار خارج عن قيد الزمان والمكان.

## الخاتمة :

لقد تم بحمد الله هذا البحث بعنوان التربية البيئية رؤية تأصيلية .  
ناقش البحث فلسفة التربية البيئية وأهدافها وقيمها التي تحكم تلك الفلسفة وقد توصل  
البحث إلي نتائج وتوصيات أهم تلك النتائج هي :

## النتائج :

- ١ / الشعور بقدسية الحق والواجب هي التي تولد المواءمة التي تدفع الإنسان لتجويد العمل .
- ٢ / علي الإنسان أن يحافظ علي البيئة فهو مكلف ومستخلف .
- ٣ / حرية الإرادة تعني القيام بمسؤولية التكليف .
- ٤ / القيم المعيارية هي الضابطة لحركة الإنسان المسلم .
- ٥ / الخبرة المربية صمام الأمان لأي مشكلة .

## من أهم التوصيات التي توصل اليها الباحث هي :

- ضرورة تبني فلسفة تربوية للتربية البيئية المعاصرة .
- ضرورة إعداد كوادر متخصصة من معلمي رياض الأطفال والتعليم العام لترسيخ القيم الدينية والبادئ التربوية الإسلامية المرتبطة بعلاقة البيئة الطبيعية وعناصرها .
- ضرورة معالجة المشكلات البيئية من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية .
- تدريب المعلمين علي تعلم وتفعيل بعض المفاهيم البيئية المعاصرة .

## المصادر والمراجع :

- أولا المصادر:-
- القرآن الكريم
  - أبوالحسين مسلم بن الحجاج - صحيح مسلم -وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر- الطبعة الأولى- ٢٠١٣ م
  - علاء الدين علي المتقي - كنز العمال - مؤسسة الرسالة-بيروت-١٩٧٩ م
  - محمد بن يعيسى- صحيح الترمذي - تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر ٣٧٩هـ.
  - محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري -الإسلامي-تركيا المكتب-١٩٧٩ م

ثانياً المراجع:-

- أبو صالح محي الدين وآخرون - أصول التربية الإسلامية - الرياض .
- أحمد عبد الكريم سلامة - قانون حماية البيئة الإسلامية - دار الفكر العربي الأزهر ١٩٩٩م .
- رانيا عبد المعز الجمال - التربية البيئية رؤى وتوجهات معاصرة - دار الجامعة الإسكندرية ٢٠١١م .
- سيد قطب - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - بيروت - دار الشروق ١٤٠٢هـ .
- عبدالله بن سليمان الفهد - المدرسة البيئية فلسفتها وأهميتها - أهدافها قيمها ومنهجها في التربية الإسلامية - جامعة الأزهر ١٩٩٩م .
- عصام الدين هلال - التربية البيئية - مكتبة الأسرة - القاهرة ٢٠٠٧م .
- عصام الدين هلال - التربية البيئية مرجع سابق .
- فاطمة عبدالله آل خليفة - التربية البيئية في الإسلام - دار الفكر العربي القاهرة ٢٠٠٤م .
- فوزية دياب - القيم والعادات الاجتماعية - دار الكتاب المصري للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٦م .
- ماجد عرسان الكيلاني - فلسفة التربية الإسلامية - دار القلم: دبي ٢٠٠٢م .
- ماجد عرسان - أهداف التربية - المعهد الإسلامي العالمي - ولاية بنسلفينا ٢٠٠٥م .
- ماهر إسماعيل الجعفري - نحو فلسفة إيمانية للتربية البيئية - الشروق - الأردن ٢٠٠٨م .
- محمد قطب - التربية الإسلامية
- محمود عوض الله وأبو السعود محمد - دراسة تحليلية للقيم البيئية المتضمنة في كتب العلوم للمرحلة الإعدادية - المؤتمر العلمي الثالث ١٩٩٠م .
- منير الغضبان - التمكين في السيرة النبوية - الشروق - الرياض ٢٠٠٥م .
- منى قاسم - التلوث البيئي والتنمية الاقتصادية - الدار المصرية اللبنانية - ٢٠٠٠م .